مكتبة
مؤمن قريش

دلال عباس

نصرت أمين

مجتهدة عالمة في الزّمن الصّعب

دار المحجة البيضاء

نصرت أمين

مجتهدة عالمة في الزّمن الصّعب

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

ISBN: 978-614-426-894-0

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/ ٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/ ٢٨٧١٧٩ - ٠١/ ٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/ ٥٥٢٨٤٧

E-mail: almahajja@terra.net.lb

info@daralmahaja.com

www.daralmahaja.com

دلال عباس

نصرت أمين

مجتهدة عالمة في الزّمن الصّعب

دار المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل إنسانة تبحث عن نموذج «عادي»
لتقتدي به

المحتويات

مقدّمة..... 9
أربعون حديثًا..... 31
موضوع الحجاب أو السّتر 41
رسالتها إلى الأخوات المؤمنات 55
نظرتها إلى المعاد 93
السيدة وأخلاق الإسلام 103
العرفان في نظر السيدة أمين 105
ارتباطها بأهل البيت (ع) 111
تفسير «مخزن العرفان» 161
أجوبتها عن شتات الأسئلة 165
مكانتها العلميّة 183
السيّدة نصرت أمين معلّمة 195
المصادر والمراجع 215

مقدّمة

منذ قرن وربع القرن، في إحدى اللحظات الحرجة والخطِرة من تاريخ إيران، وفي ظلّ الحكم الملكيّ المطلق للسلالة القاجارية (1779ـ1925م)، ولدت السيّدة نصرت أمين الملقّبة بـ«بانو ايراني» (السيّدة الإيرانيّة)، وهو اللقب الذي اشتُهرت به في حياتها.

ولئن كان من غير المستغرب أن نقرأ في التاريخ الإسلاميّ أسماء نساء كانت لهنّ أدوارٌ حاسمة في مجالات عدّة، فإنّ سماع اسم امرأة عالمة فقيهة مجتهدة، أقرّ بعلمها واجتهادها وفقاهتها وتفوّقها العلماء الأعلام من معاصريها، أمرٌ مثير للدهشة والاستغراب عند بعضهم، لا سيّما أنّها وُلدت في أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ؛ حيث كانت الأميّة متفشيّة في أوساط الغالبيّة العظمى من أبناء الشعب الإيرانيّ رجالًا ونساء (كحال الشرق بمعظمه، وبمختلف دوله وإثنياته ومن ضمنهم العرب).

أما المدينة التي وُلدت فيها، فهي إصفهان، التي وصفت بأنها «نصف العالم»، عندما اتخذها الشاه عباس الأول الصفويّ عاصمة لملكه، فصارت عروس الشرق، وموئل العلماء الأعلام القادمين إليها من مختلف الأقطار[1]، ولما تولّى القاجاريّون السلطة، نقلوا عاصمتهم إلى طهران[2].

---

(1) بدأ حكم الصفويين منذ العام 907هـ/ 1502م وانتهى العام 1135هـ/ 1722م، أما الشاه عباس الكبير، فقد حكم من العام 995هـ/ 1587م حتى العام 1038هـ/ 1628م. وهو يعدّ أهم الملوك الصفويين. (انظر: دلال عباس، **بهاء الدين العاملي أديبًا وفقيهًا وعالمًا**، المقدمة التاريخية).

(2) وهي الرّي التي دفع الطمع بولايتها عمر بن سعد بن أبي وقّاص لأن يفعل ما فعل.

لم تعد إصفهان عاصمة المملكة، لكنّها ظلّت مركزًا لعدد كبير من علماء الدين، وموطن العوائل العلمائيّة الشهيرة، وليس بعيدًا منها نمتْ حوزة قمّ العلميّة، المنبثقة من حوزتها.

كانت إصفهان كذلك مركز الصناعات اليدويّة والحِرفيّة المتنوّعة، وموطن كبار التجّار الذين توارثوا التجارة كابرًا عن كابرٍ مع الشرق والغرب، منذ أربعة قرون، أي في عهد الشاه عباس الأول، وخمود نيران العداوة بين العثمانيّين والصفويّين، ثمّ ازدهار التجارة بين الدولتين، وبينهما وبين أوروبا.

كانت طبقة التجّار المتموّلين تنمو منذ ذلك الحين، بعيدة أو قريبة من الطبقة الحاكمة، مستقلّة، طالما أنّها تؤدّي إلى الدولة ما يتوجب عليها من رسوم تعسّفيّة أحيانًا. أمّا المتديّنون من أفرادها، فكانت علاقتهم وثيقة بالمرجعيّات الدينيّة، يؤدّون إليها الزكاة والخمس، هذه المرجعيّات التي حافظت طيلة العصور على استقلاليّتها؛ لأنّ تمويلها ذاتيّ وشعبيّ، وليست بحاجة إلى الدعم الحكوميّ (باستثناء الموظّفين لدى الحكّام من فقهاء السلاطين).

في 25 ذي الحجة 1312هـ/ 20 حزيران 1895م، ولدت طفلة في عائلة تاجر غني متديّن من تجّار إصفهان، اسمه الحاج محمد أمين التجّار، كان قد رزق قبلها بثلاثة بنين، سمّاها أبوها نصرت (نصرة)، كأنّه كان يستشرف ما سيؤول إليه أمرها في ما بعد. وتوفيت كما تذكر مريدتها وتلميذتها السيّدة علوية هُمايوني ليلة 1 شهر رمضان 1403هـ/ 13 حزيران 1983م[1].

---

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانی بانو ايرانی: مجتهده نصرت السادات امين**، ص23. تقول السيدة هُمايوني إنّ أستاذتها السيدة نصرت أمين، خافت أن يلحق بسيرتها شيء من المبالغة، بعد أن اشتهرت، وكبر إعجاب الناس بها، فدوّنت بعض تفاصيل حياتها في مخطوط صغير أودعته لديها السيدة هُمايوني، وكان ما توقعته السيدة، فقد أوصل بعض =

والدها الحاج محمد علي، الملقّب بأمين التجّار، هو ابن السيّد حسن، وحفيد العلّامة الزاهد السيّد مير معصوم الحسينيّ الخاتون آبادي (ت 1155هـ/ 1743م)، أحد علماء إصفهان الأعلام الزهّاد، وقد حُكي عنه ما يدلّ على إيمان الناس، في عصره وبعده، بكراماته الظاهرة والباطنة[1].

أمّا الأمّ فهي من عائلة الجنابيّين، وهي عائلة متديّنة من السادة الأشراف في إصفهان، اشتُهر من أفرادها في العصرين الصفويّ والقاجاريّ أعلام علماء، وشعراء، وأدباء، وخطّاطون، وقد لُقّبوا بالجنابيّين نسبة إلى الجدّ الأعلى الذي كان لقبه جناب، وهو أبو طالب ابن ميرزا نصير، الشاعر رئيس الخطّاطين في الديوان الأعلى في إصفهان في عصر السلطان حسين الصفوي (تولى الحكم عام 1105هـ/ 1694م)[2].

ولدت الفتاة في مرحلة من مراحل تاريخ إيران كانت الأجواء السياسيّة فيها ملبّدة بالاضطرابات، وبالمشاكل الداخليّة والخارجيّة[3].

كان الملك القاجاري ناصر الدين شاه يُمضي أيّام حكمه الأخيرة لإيران، وقد ورّط البلاد في مشاكل لا حصر لها، بما وهبه وبذله وحباه للأجانب من دون وازع أو منطق، ومن دون أن يرعوي (حاله كحال الملوك في العصور والأمصار كلّها، يعتقدون أنّهم قد وُرِّثوا البلاد والعباد)، في عصر انفصلت فيه عن إيران نواح عدّة، كانت تاريخيًّا من ضمن أراضيها،

= الذين كتبوا عنها عمرها إلى 97 سنة، وأوصله آخرون إلى 99 سنة، وهذه أخطاء من جملة المبالغات التي لحقت بحياتها، وقد وصل عمرها إلى 90 سنة بالحساب القمري، و88 سنة بالحساب الميلادي، ففي المخطوط «ولدت في أواخر شهر ذي الحجة الحرام، سنة ألف وثلاثمئة وثاني عشر القمريّة الهجرية»، (المصدر نفسه).

(1) انظر: المصدر نفسه، ص21، نقلًا عن: محمد علي مدرس، **ريحانة الأدب**، مج5، ص266.

(2) ذكر علي أكبر دهخدا بعضهم في موسوعته **لغتنامه دهخدا**، مادة جناب، مج3، ص7861.

(3) للاطّلاع على الأوضاع السياسيّة في هذه الحقبة، انظر: محمد تقي بهار (ملك الشعراء)، **تاريخ مختصر احزاب سياسى ايران**.

لعدم كفاءة الشاه وبسبب تفرنجه القِشريّ، وحياة البذخ والإسراف[1] التي لم يكن همّه منها أكثر من الاحتفاظ بالعرش، وبأبّهة الملك الفارغة، والرحلات الترفيهيّة إلى أوروبا، التي كانت تصل أحيانًا إلى ستّة أشهر، غارقًا في الملذّات، يسمع من حين لآخر أخبار ما يجري في البلاد، من دون أن يرفّ له جفن، وكان عرضة لانتقاد علماء الدين والمفكّرين التقدّميّين، وكلّ الحريصين على سيادة وطنهم[2].

حين ولدت الطفلة نصرت أمين، كانت بريطانيا وروسيا القيصريّة هما اللتان تحكمان إيران فعليًّا، ولم يكن الملك القاجاري أكثر من حجر شطرنج تحرّكانه على هواهما، أو أكثر من دمية تفعل ما يمليه عليها القنصل البريطانيّ، أو القنصل الروسيّ، مثله كمثل ذلك الخليفة العباسيّ الذي قيل عنه إنّه:

خليفة في قفص بين وصيف وبُغا يقول ما قالا له، كما تقول الببّغا

لقد أعطى البريطانيّين والروس الكثير من الامتيازات، وقدّم لهم أكثر ممّا كانوا يتوقّعون، ولم تكن المراسيم والقرارات الملكيّة أكثر من تنفيذ عمليّ لما يدور في أذهان القناصل، وما يدبّرونه، ولم يكن على الشاه سوى التوقيع، (مريحًا نفسه من عناء التفكير). لقد وصل سوء الأحوال في عهد ناصر الدين شاه إلى الأوج، ولم يهب حكمه إيران سوى الخراب والذلّ والهوان، وكان الناس فريقين[3]: أكثريّة مطلقة تعيش في فقر مدقع، تنهش أجسامها الأوبئة، وعقولها الأميّة والجهل والخرافة وقلّة غنيّة منقسمة بدورها إلى طبقتين: أهل الحكم ومن يدور في فلكهم، والمستفيدون

(1) المصدر نفسه؛ زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص28.

(2) المصدران نفساهما.

(3) الحقيقة أنّ الكاتبة سيمين دانشور قد صوّرت الظروف الاجتماعيّة الناجمة عن هذا الواقع السياسيّ بدقّة في روايتها **سون وشون**.

من الفساد المستشري؛ وكبار الإقطاعيّين في المناطق؛ وكبار التجّار في المدن، ولا سيّما إصفهان، وكانوا يشكّلون فئة خاصّة، فالمتديّنون منهم يؤدّون فريضة الخُمس والزكاة إلى الحوزات العلميّة[1]، وكانت عائلة نصرت أمين من هذه الفئة. أمّا ثقافيًّا فكانت الأكثريّة الشعبيّة أميّة، أو أقرب إلى الأميّة، وقلّة من تابع الدراسات الأكاديمية أو الدينية. أما اجتماعيًّا فالأكثر متمسّكون بالتقاليد عن وعي أو عن غير وعي، وقلّة يقلّدون الغرب كالحجل، في المظهر من دون المخبر، في طريقة الحياة واللباس، وكلّ ما له علاقة بالترف والمظاهر الخارجيّة الزائفة، والبعد من الدين، والتظاهر بالإلحاد (دليلًا على التقدّم والرقيّ). أمّا الفقهاء فكانوا فريقين: علماء ينهون ويعظون ويحذّرون من مغبّة ما يحدث، وهم قلّة حتمًا، ومتعالمون قِشريّون، يزيدون الناس تخلّفًا على تخلّفهم؛ متفيقهون بحسب تعبير شيخنا البهائي.

في هذه الحقبة أيضًا بدأت تتشكّل ملامح تيّار قديم جديد، سيقوى في ما بعد، هو التيّار القومي الآري المتعصّب، الذي سنعرف من بين دعاته أشخاصًا لم يكونوا ـ لسخرية القدر ـ من ذوي الأصول الآريّة أو الفارسيّة، يدعون إلى التخلّي عن الإسلام لا تفرنُجًا، وإنّما من منطق قوميّ متعصّب، ويدعون أيضًا إلى العودة إلى الحضارة الفارسيّة قبل أن يفتح العرب المسلمون إيران[2].

كانت نصرت أمين في الثانية من عمرها حين اغتيل ناصر الدين شاه،

---

(1) لمعرفة دور كبار التجار المتديّنين في صنع مستقبل إيران، انظر: «البازار»، ترجمة: دلال عباس، دائرة معارف العالم الإسلاميّ، مج 1، ص338ـ457.

(2) الحقيقة أنّني عرفت هذا التيّار من قرب، في مرحلة إعدادي لأطروحتي عن بهاء الدين العاملي منذ أربعين عامًا، من خلال العبارات الواردة في معظم المراجع التاريخيّة، التي كان مؤلّفوها ينتمون إلى هذا التيار القديم ـ الجديد، والذي هو امتداد للحركة الشعوبيّة في العصر العباسي، ثم تعمّق على يد الفردوسي، ثم كان يعلو أو يخفت بحسب الظروف.

وتُوّج وليّ عهده مظفر الدين شاه، الذي لم يكن أكثر كفاءة من أبيه، ولو لم يصدر في عهده دستور المشروطيّة (الحكومة الدستوريّة)، لقاضاه التاريخ على نحو آخر. وقد خُلع وعُيّن ابنه محمد علي شاه مكانه، وبعد ثلاثة أعوام من حكمه خلعه الدستوريّون، وعيّنوا وليّ عهده أحمد ميرزا ملكًا مكانه، وكان لا يزال في الثالثة عشرة من عمره، وكانت البلاد غارقة في الفوضى، يديرها الساسة الداخليّون والخارجيّون، ولم يكن أحد متيقظًا لما يخطّط له ذلك الرقيب في الجيش رضا خان الذي أصبح بين ليلة وضحاها قائدًا للجيش، ثمّ رئيسًا للحكومة، فملكًا مطلق الصلاحيّات، واضعًا يده على القسم الأكبر من أراضي مازندران، وجاعلها ملكًا خاصًّا له ولعائلته[1].

في هذه الأعوام حصل الكثير في إيران باسم التحديث (شكلانيًّا)، وتنامى التيّار القومي المتعصّب المعادي للإسلام، الذي أتى به العرب، كما كان يقول دعاتهم ويكتبون، وتبنّاه رضا خان برعونة، كما تبنّاه من بعده ابنه محمد رضا شاه، وبدأ الصراع الفكريّ بين المدافعين عن الدين وما قدّمه لإيران، وبين المناهضين له، وانتهى الصراع، كما نعلم، بانتصار الثورة الإسلاميّة التي أعادت لإيران هويّتها الإسلاميّة، لكنّ التيار القومي المعادي لمّا يهدأ.

لقد شاركت العالمة نصرت أمين في هذا الصراع الفكريّ قولًا وفعلًا، مدافعة عن الإسلام.

حين تخطّت نصرت أمين عهد الطفولة، وخطت أولى خطواتها نحو اليفاعة، باتت نظرتها إلى الحياة أكثر وضوحًا وجلاء يومًا بعد يوم، وبات

---

(1) للاطلاع على كيفية وصول رضا خان إلى السلطة، انظر: محمد تقي بهار، **تاريخ مختصر أحزاب سياسي إيران**؛ «**السلالة البهلويّة**»، ترجمة: دلال عباس، دائرة معارف العالم الإسلامي، مج6؛ موقع دلال عباس الإلكترونيّ، www.dalalabbas.com، المقالات المترجمة.

نبوغها جليًّا لأنظار المحيطين بها. كبرت ابنة أمين التجار الصغرى المدلّلة، وبدأت تنظر إلى ما حولها نظرة تختلف عن نظرة أيّ فتاة من أترابها، غنيّة مخدومة في تلك المرحلة، لكن تديّن الأبوين عصمها من ولوج حياة الأغنياء، أو بالأحرى حياة نساء الطبقة الغنيّة، القائمة على التمظهر، والخالية من المعنى.

لقد كانت، كما قالت في مذكّراتها، تشعر منذ صغرها بذلك الخيط اللامرئيّ، الذي يربطها بالخالق (عزّ وجلّ)، وبالعشق الخالص للباري، في حنايا قلبها الصغير، وحين كان أترابها من الفتيات يلعبن في الحدائق والمتنزهات، ويتفاخرن بالأثواب المستوردة الباهظة الأثمان، التي اشترتها لهنّ أمهاتهنّ من متاجر طهران المشهورة، ويحفظن أسماء مصمّميها الأجانب، كانت هي تتطلّع إلى السماء، وتفكّر بالأرض وما عليها ومن عليها.

تكتب في مذكّراتها[1] أنّها كانت تحبّ أن تعرف علاقة الأشياء في ما بينها وعلاقتها بالخالق، وتبحث عن ضالة لا تعرف كنهها، متعلّق قلبُها بها، متشوّقٍ إليها، وتريد أن تصرف سنوات عمرها في طلبها، وتقول إنّها كانت تشعر بثقل نظرات الآخرين إليها، تلك النظرات، التي توحي بالاستغراب والتعجّب أو الشفقة. إلّا أمّها التي كانت تسمع نبضات قلبها الصغير، وكلامه، وتصدّقه، فلم يكن عالم الطفلة غريبًا عن عالم الأمّ، تلك المرأة المؤمنة المتعبّدة، التي ـ لربما ـ كان لها عالم شبيه به في صغرها، فلم تشأ أن تعكّر عليها صفوها؛ بل هيّأت لها الظروف المؤاتية، فأدخلتها حين بلغت الخامسة من عمرها كتّاب السيّدة خديجة بيغم التي كانت توصف بالشدّة، واسمها وحده يثير الرعب في نفوس الفتيات، تقول في السيرة: «ثمّ لمّا بلغت إلى حدّ التمييز بين الشّين والزّين، أقدم أبواها في تربيتها، وواظبا

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانی بانو ايرانی: مجتهده نصرت السادات امين، ص29ـ31؛ نصرت أمين، معاد يا آخرين سير بشر، المقدّمة.

على تأديبها، وإظهار الخبايا التي أثبتها الله تعالى في طينتها وسريرتها، ولمّا تزايدت سنًّا وبلغت إلى حدّ التدرّس والتعلم، انتخبا لها معلّمة عالمة مؤمنة عفيفة، عديمة العديل والنظير في زمانها، وهي جدّت، واهتمّت بأعلى وسعها في تربيتها وتحسين أخلاقها»[1].

كانت في الحادية عشرة من عمرها[2]، عندما بدأت تدرك ما يدور حولها من مآسٍ وآلام، وكانت تنظر إلى المجتمع في هذه الحقبة، بتأثير من أمها ومعلّمتها وبيئتها البيتيّة (وإن لم تصرّح بذلك)، فضلًا عن الفطرة السليمة، والتديّن المبكر، وحسن التوجيه، فترى أن النساء -وهي تعيش في عالم نسويّ محض- في تلك الحقبة لا تخطر ببالهنّ، ولو للحظة، فكرة القراءة والكتابة والفهم[3]، أو أنهنّ ضحايا التحديث الفوقي القُشريّ، والتغريب الممنهج، أقصى ما يطمحن إليه، اقتناء الأزياء الغربية من ثياب وقبّعات مصنوعة في الغرب، ولا وقت لديهنّ للنظر إلى ما يجري حولهنّ، لسن أكثر من جوارٍ من نوع جديد. الأنموذج الأرقى والمثال الأعلى الذي يطمحن للوصول إليه أنموذج المرأة-الدمية من دون أن يدركن ذلك؛ يتفاخرن بأنهنّ يربّين أولادهنّ على أنموذج ومنوال غير دينيّين[4].

والفقهاء في تلك المرحلة إمّا قلّة من العلماء، يجتمعون ويخطبون،

---

(1) هُمايوني، المصدر نفسه، ص270.

(2) كما تذكر السيدة هُمايوني في: المصدر نفسه، ص31، نقلًا عنها.

(3) إنّ أسوأ ما أفرزه حكم الخلفاء-الملوك الذي أطاح بكل ما دعا إليه الإسلام في كتابه المجيد وفي السنّة الصحيحة، من قيم العدل بين البشر هو نظام الحريم، فنظام العبودية الذي كان سائدًا قبل الإسلام، كان من المفترض أن يُلغى تدريجيًّا قبل انتهاء القرن الهجري الأول، لكن البعد آلاف الأميال عن الحكم بالعدل بين الناس، هو الذي حوّل التاريخ الإسلاميّ إلى نقيض للدين. حتى قسمة الجواري والحريم ليست مطلقة، ولا تصح المقارنة بين حال الجواري في العصور العباسية، إذا تذكرنا كلام الجاحظ، وفي الأندلس، وحالهنّ في الحقب التي تلت.

(4) كما يُستشف من المقالات والروايات التي تتحدث عن تلك المرحلة.

ويحذّرون، ويحرمون شراء السلع المستوردة من بلاد المستعمرين، إلّا أنّ الذين يتعاملون مع الغرب لم يكن يهمّهم ما يقوله العلماء، والذين يهتمّون لأقوال العلماء يعيشون في فقر مدقع، لا يتيح لهم شراء ما يصنع في بلادهم، فكيف بالمستوردة؟ وإمّا كثرة كاثرة من الوعاظ متفيقهة تنفّر الناس من الدين، بدلًا من أن تقرّبه من أذهانهم.

كانت نصرت أمين في الحادية عشرة من عمرها، تسمع في منزل ذويها أخبار التخبّط السياسيّ والاجتماعيّ السائد في البلاد، وتعي ما تسمع، عن هذه المرحلة تقول: «إنّ أبويها كانا مواظبين على أن لا يدخل ضميرها أيّ سوء»، وحين بلغت الثالثة عشرة من عمرها، وكان هذا السنّ مناسبًا للزواج في أوائل القرن العشرين، تزوّجت ابن عمّها الحاج ميرزا آغا المعروف بلقب معين التجّار، تقول: «ولمّا استكملت في العلوم الفارسيّة، وفرغت من تحصيل العلوم الفرعيّة بطريق التقليد، وبلغت إلى حدّ الرشد، اهتمّ أبواها بأمر زواجها، فصارت ذات بعل وأولاد: لكن مع اشتغالها بتدبير المنزل، كانت حريصة على مطالعة الكتب العلميّة، فكأنّها تعلّق قلبُها بشيء مجهول فاشتاقت إليه، فصرفت عمرها في طلبه»[1].

قدّم الأهل لابنتهم (كما جرت العادة في ذلك الحين)، بائنة وجهازًا من ضمنه جاريتان لتعلّماها كيفيّة تدبير شؤون المنزل، وشؤون حياتها الزوجيّة، لكن في الواقع، وبحسب الذين عرفوها، كما تروي السيّدة هُمايوني[2] أنّها هي التي كانت توجّههما وتعلّمهما، وليس العكس.

بُعيد زواجها، أهداها والدها متجرًا، هذه الثروة الشخصيّة أتاحت لها أن تمارس ما كانت أمها تمارسه من مساعدة الفقراء بحريّة، وتجهيز الفتيات

---

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، الملحق، ص270.

(2) المصدر نفسه، ص33.

الفقيرات المقدمات على الزواج، وهي لا تزال في هذا العمر المبكّر، ولا سيّما أنّ العائلة كانت متديّنة أبًا عن جدّ، وقد جرت العادة في هذه العائلات المتديّنة، أن تكون المرأة حرّة التصرّف بمالها الخاص، ولا تتعرّض للضغوط التي تتعرّض لها النساء في المجتمعات العربيّة.

تروي هُمايوني[1] نقلًا عنها وعن المحيطين بها، أنّ المال والحياة الزوجيّة الهانئة والأمومة لم تشعرها بالأمان النفسيّ أو بالاكتفاء المعنويّ (هذه هي النفوس الكبار التي تتعب في مرادها الأجسام)، وقد ظلّت تبحث عن ضالتها المفقودة، وتتمنى العيش في غرفة مكتظّة بالكتب؛ لتستغلّ كلّ لحظة من لحظات حياتها بالقراءة والمطالعة، وتقول هي «ولما بلغت من عمرها قريبًا إلى عشرين عامًا مالت إلى تحصيل العلوم العربيّة من الصرف والنحو واللغة وشيء من الهندسة وغيرها مع شوق ووجد، وأفرطت في تحصيلها، بحيث لا تتركه في حال من الأحوال حتى في حال المرض والحمل؛ بل في حال المخاض أيضًا، لا تتركه غالبًا، فاشتغلت به إلى ثلاثة عام (أعوام)»[2].

نحن في أوائل القرن العشرين، ومن الصعب على الشابات، ولا سيّما بنات العائلات المتديّنة، الخروج من منازلهنّ، والذهاب إلى قاعة الدرس، ولم تكن توجد بعد مدارس مخصّصة للبنات (لذلك ستأخذ على عاتقها في ما بعد إنشاء مدرسة للبنات على نفقتها الخاصة، أصبح لها فروع في مدن أخرى غير إصفهان)، وهي فضلًا عن ذلك ابنة رجل معروف وزوجة رجل معروف، إذًا كان الأمر أشدّ صعوبة بالنسبة إليها، وكان الحلّ أن يأتي الأستاذ إلى منزلها.

هي في العشرين ولكنّها طُلعة، ذات قدرة غير عادية على فهم ما

---

(1) المصدر نفسه، ص35.

(2) المصدر نفسه، الملحق، ص371.

يجري حولها، وربط النتائج بالأسباب، نظرت إلى النساء من حولها، فهالها أن تراهنّ، على الرغم من الذكاء والمواهب التي يتمتعن بها، غارقات حتى الأذقان تحت ركام الخرافات، أو رماد التحديث الشكلاني الفوقي، فأخذت القرار بأن تتعلّم، علّها تفعل شيئًا، إنّها تحبّ القرآن وتأنس به، إذًا يجب أن تتقن العربيّة صرفًا ونحوًا لفهم غوامضه بنفسها، فاختير لها أستاذ هو آية الله زفره المتوفى سنة 1352هـ/ 1934م، كان معلّمًا قديرًا ومشهورًا في إصفهان وجوارها، درّسها المقدّمات والسطوح الأولى والصرف والنحو[1]، وقد بذلت جهودًا عظيمة لاتقان اللغة العربيّة، وكتبت بعد ذلك ثلاثة من كتبها بالعربيّة هي: «الأربعون الهاشميّة» و«النفحات الرحمانيّة» و«جامع الشتات»، وقد ترجمت تلميذتها ومريدتها علوية هُمايوني «الأربعون الهاشميّة» بالفارسيّة، أما «النفحات الرحمانيّة» فالأرجح أنّها لم تسمح بترجمته[2]. علّمها أيضًا سطوح الفقه والأصول آغا ميرزا علي أصغر شريف، من أعلام الأساتذة في عصرها، ثمّ آية الله آغا السيّد علي نجف آبادي، العلّامة الفقيه والمتكلم الزاهد والمحقق المتتبع، الذي كان قد درس في إصفهان، ثمّ في النجف، وبعد أن نال درجة الاجتهاد عاد وأسس حوزة يدرّس فيها، ويذكر الذين كتبوا عنه أنّه كان يفتخر أنّه علّم السيّدة نصرت أمين، وذُكر قوله: «إنّ خالي هو الذي درّسني الحكمة، ولم أجد من هو مؤهّل لدراسة الحكمة، لذا أنا أردت أن أدرّس هذه السيّدة، علّ شيئًا مفيدًا مني يبقى من بعدي»[3]. درّسها المعقول والمنقول والحكمة.

ذكرت مريدتها هُمايوني أنّه حين قرّرت السيّدة متابعة دراستها؛ بل قبل أن تقرّر، كانت قد قرأت الكثير من الكتب، وفي الأعوام الثلاثة

---

(1) المصدر نفسه، الحاشية (1)، ص35.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص36، نقلًا عن: محمد باقر كتابي، **رجال إصفهان في العلم والعرفان والأدب والفن**، مج1، ص216؛ مصلح الدين المهدوي **تذكرة القبور**؛ محمد علي جناب، **الإصفهان**.

الأولى من الدراسة قرأت فضلًا عن علوم العربيّة، والسطوح، والمقدّمات الفقهيّة، علوم الهيئة، والنجوم، والرياضيّات، والطبيعيّات، وغيرها، لكنّها لم تنجذب إليها كثيرًا، ووجدت نفسها تميل أكثر إلى الدروس الدينيّة، والصرف، والنحو، والأصول، والفلسفة، والحكمة، وأنّ هذه العلوم هي الأقرب إلى ذوقها، وأنّها كانت تألف ألفة شديدة قراءة القرآن والغوص في معانيه البعيدة، وقراءة الأحاديث والروايات والتفكّر في مدى صحّتها وقربها من القرآن.

في هذه الأثناء كانت تتجنّب الجلسات النسائيّة، وإضاعة الوقت بصحبة من لا يفهم كلامها، وتطلّعاتها، ونظرتها إلى الأمور[1].

أمضت ثلاثة أعوام من الاجتهاد، واستغلال الوقت إلى حدوده القصوى، فلم تمنعها مشاغلها اليوميّة، ولا آلامها ومصائبها الشخصيّة عن المواظبة على الدراسة، مضافًا إلى فقدها أطفالها الستة الصغار وهي لمّا تتجاوز الثانية والعشرين، فمن سبعة أنجبتهم لم يعش لها سوى ابن وحيد؛ وذلك بسبب تفشي الأوبئة والأمراض المعدية[2].

---

(1) ذكرت تلميذتها علوية همايوني أنّ السيدة كانت تألف إحدى قريبات زوجها، أي والدة علوية همايوني، على الرغم من أنّها كانت غير متعلمة، وكانت السيدة نصرت تحدّثها عن الموجودات والعالم ومعرفة المخلوقات كلامًا جميلًا أثّر في هذه السيدة. (انظر: زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانی بانو ایرانی: مجتهده نصرت السادات امین**، ص37).

(2) ذكر المؤرّخون أنّ عددًا من النساء في إصفهان تجمعن في العام 1290هـ.ش/ 1911م بسبب القحط والمجاعة، وفقدان الخبز، وتظاهرن باتجاه دار البلدية، واقتحمنه، ونهبن الأموال، وقتلن رئيس البلدية، وعلّقن جسده في وسط الميدان. ثم تابعن الهجوم على الدوائر الحكومية، وأطلقن المساجين، ولم يتفرقن إلا بعد أن أطلقت عليهن النيران، وجُرح عدد منهن. (نقلًا عن: باقر عاقلي **روز شمار تاريخ ايران از مشروطة تا انقلاب اسلامی** (يوميات تاريخ إيران من الحكومة الدستورية حتى الثورة الإسلامية)، مج1، ص810).

وذُكر كذلك أنّ القنصل الإنجليزي في سنة القحط والمجاعة 1246ش-1217م، اشترى ثلاثة أحمال قمح بـ900 تومان، وأنّ ثلاثين ألف إنسان في إصفهان وقراها قد ماتوا بسبب المجاعة =

وكانت تعدّ الآلام الناجمة عن فقد فلذات كبدها امتحانًا إلهيًّا عليها اجتيازه صابرة محتسبة، مدركة أنّها مندوبة لمهمّة عظيمة، وأنّها يجب أن تتعلّم لتعلّم من حولها، ولا سيّما النساء؛ ففي هذه المرحلة بالتحديد، أي بعد أن تجاوزت السيّدة العشرين من عمرها، فتحت أوّل مدرسة ابتدائيّة للبنات، وكان المبشّرون الأميركيّون قبل ذلك قد أنشأوا مدرسة مختلطة في أرومية، واستصدروا مرسومًا من ناصر الدين شاه يسمح للبنات بأن يدرسن فيها، والمدرسة الثانية أنشأها المبشّرون الكاثوليك الفرنسيّون في طهران، والثالثة أنشأتها الأقليّة الزرادشتيّة. كانت المواد التي تدرّس في المدرسة الابتدائيّة التي أنشئت في العام 1907، هي المواد نفسها التي تدرّس في مدارس الإرساليّات، أضيف إليها بعض الآيات القرآنيّة والقليل السطحي من الروايات والأحاديث الدينيّة؛ لتشجيع الناس على تسجيل بناتهنّ فيها. أما أوّل نشرة موجهة إلى النساء فقد صدرت في العام 1909، وكانت السيّدة في الرابعة عشرة من عمرها. كانت النشرة واسمها «دانش» (العلم) أسبوعيّة، صاحبة امتيازها شابة يهوديّة متأسلمة، تدعى صديقة دولت آبادي، خرّيجة المدرسة الأميركيّة في أرومية، وهي نفسها أنشأت في إصفهان مؤسّسة أسمتها «مكتب الأمور الشرعيّة» في العام 1917، وبعد ذلك بعام أسّست جمعية أخرى أسمتها «شركة خوانمين إصفهان» وكانت السيّدة نصرت قد بلغت الثالثة والعشرين من عمرها آنذاك تخطّط بسرعة

= والأوبئة. (نقلًا عن: محمد علي جناب، الإصفهان).

وذكر أنّ الذين لم يموتوا بسبب المرض، ماتوا جوعًا، وأن الأموات كانوا يبقون في الطرقات والأزقة، ولم يوجد من يغسلهم ويكفنهم ويدفنهم، وإن وجد من يدفع تكاليف ذلك، لم يوجد من يتولى العمل لكثرة الموتى، لذلك كانوا يحفرون حفرة يرمونهم فيها. (نقلًا عن: مصلح الدين المهدوي، **تاريخ علمي واجتماعي إصفهان في القرنين الأخيرين**، ص135).

وقد صورت الكاتبة سيمين دانشور هذا الوضع المأساوي أيضًا في روايتها **سون وشون**، بأدق التفاصيل.

كما صورت علاقة الأغنياء والمتنفذين بالإنجليز، والحفلات الجماعية التي كانت تقام، على الرغم مما كان أبناء الشعب يعانونه.

نحو الأهداف التي رسمتها لنفسها، وهي تدرك الأهداف من وراء تشكيل هذه المؤسّسات، ولا سيّما أنّ القيّمين عليها والمموّلين لها ينتمون إلى الحركة الماسونيّة الناشطة حينها[1].

كانت السيّدة نصرت مطّلعة على ما يجري من حولها، على الرغم من أنّها كانت تلازم المنزل، ولا تشارك في ما يجري خارجه. لقد وضعت هدفًا أمامها، وهو الدفاع عن الإسلام في وجه الذين يحاربونه سرًّا وعلانية، لذلك كان عليها فهم الإسلام فهمًا صحيحًا، ونشره، على الرغم من أنّها لم تكن قد بدأت الدراسة المنتظمة في المنزل إلاّ لأعوام ثلاثة خلت.

وفي الرابعة والعشرين من عمرها، وكانت قد أنهت المقدّمات والسطوح الفقهيّة الأولى والنحو والصرف، أصدرت صديقة دولت آبادي مجلّة اسمها «لسان النساء» في إصفهان أوّلًا، ثم في طهران.

في كلّ الأحوال كلّ القضايا الثقافيّة والاجتماعيّة قبل العام 1921م وبعده، كانت مقدّمة للسفور، وبدأت المقالات تترى في الصحف والمجلات، النسائيّة وغير النسائيّة، لتحضير الناس نفسيًّا لتقبّل هذا الأمر، كانت المقالات تتضمّن تجريحًا بالدين الإسلاميّ، مباشرة أو غير مباشرة، يقولون للناس: إنّ كلّ هذه التعاسة، وهذا التخلّف الثقافيّ والاجتماعيّ في المجتمع الإيرانيّ، ولا سيّما في أوساط النساء، إنّما هو حصيلة الدين والمذهب والفقهاء الرجعيّين، وإنّ العباءة وغطاء الرأس (الحجاب)، هما اللذان يقفان عائقًا في وجه المرأة التي تريد أن تسير في طريق التقدّم. قرأت السيّدة نصرت ما يكتبون، وأدركت مقاصدهم، ولمّا بدأت التدريس وإقامة الاجتماعات للنساء، بعد أن نالت درجة الاجتهاد، وضّحت للنساء

(1) انظر: زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانی بانو ايرانی: مجتهده نصرت السادات امين**، ص39 وما بعدها.

الأهداف الكامنة وراء هذه الدعوات، وفي كتابها الرابع «طريق السعادة» الموجّه إلى النساء، بيّنت موقفها من هذا الموضوع.

وتشرح السيّدة همايوني أنّ السيّدة نصرت أمين، وهي جادّة في دراستها ومراقبتها الأوضاع من حولها، لم تتخلّ لحظة عن مسؤوليّاتها زوجةً ومدبّرةً لمنزل كبير، يستقبل صاحبه الكثير من التجّار القادمين إلى إصفهان من المدن الإيرانيّة الأخرى، أو من خارج البلاد، يستضيفهم أيامًا عدّة، لينجزوا أعمالهم في إصفهان، لمحدوديّة وسائل النقل في تلك الأيام، فكانت هي المسؤولة عن كلّ ما يجري في المنزل، ممّا تتطلبه وظيفتها (التي ترى أنّها مقدّسة)، ربّة منزل وزوجة محبّة. وحين تُنهي واجباتها تجاه بيتها وزوجها وطفلها، تتوجّه إلى كتبها[1].

إذًا، كانت تدرس في الأوقات التي هي عادة للراحة عند غيرها من النساء؛ فيمنحها شغفها بالدرس والقراءة شعورًا بالراحة والامتلاء المعنوي.

ما كانت تسمعه عمّا يجري في البلاد وتقرأُه وتدركه، حثّها على التقدّم في دراستها، وبذل الجهود لتؤدي الوظيفة التي انتدبها الله من أجلها، للمساهمة في الدفاع عن الدين في وجه المعادين له، وفي وجه الذين حوّلوه إلى مجموعة من الخرافات والترّهات استخدمها المغرضون أدلّة للتهجّم عليه.

تابعت قراءتها المستقلة، بعد أن أتقنت العربيّة، ولعلّها منذ تلك اللحظة بدأت تفكّر في وضع ذلك التفسير العظيم للقرآن، الذي بدأت تأليفه بعد أن تجاوزت الستين من عمرها.

---

(1) تروي السيدة علوية هُمايوني في **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص40، وما بعدها، ذلك بالتفصيل نقلًا عن أمّها التي كانت أكبر من السيدة نصرت، وهي قريبة زوجها، وتعرف كل شيء عن حياتها الشخصية، ومن النساء اللواتي كنّ من مريدات السيدة، وهي لا تزال في ذلك العمر، على الرغم من أنهن أكبر منها بسنوات عدّة.

وتابعت دراسة الفقه والأصول والحكمة على أستاذها آية الله السيد علي نجف آبادي حتى الأربعين من عمرها، تقول: «ولما بلغ عمرها إلى أربعين سنة حصلت لها قوّة لاستنباط الأحكام الفرعيّة من أدلّتها التفصيليّة، فاستجازت من بعض العلماء الأعلام، وبعد اختبارهم إيّاها في بعض مسائل الأصول والفروع، أجازوا لها العمل ممّا استنبطته من الأحكام على الطريقة المألوفة بين الأعلام، وقد أجازوا لها أن تروي عنهم ما صحّت لهم روايته بالطرق المتصلة إلى المعصومين (ع). فحينئذ خرجت نفسها من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، ومن ذل التبعيّة إلى عزّ الاستقلال، واجتمعت بين كماليها الممكن في معرفة المبدإ والمعاد. فبعد ذلك اشتاقت إلى إبراز بعض من مكنوناتها التي ادخرت في ذهنها، فاشتغلت بالتأليف والتصنيف، ولها مؤلفات عدّة منها: المسمّى بـ«الأربعون الهاشميّة»، ومنها المسمّى «مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي»، ومنها المسمّى بـ«سير وسلوك دوروش أولياء وطريق سير سعداء»، ومنها المسمّى بـ«المعاد وآخرين سير بشر» ومنها المسمّى بـ«أخلاق وراه سعادت»، وهو ترجمة واقتباس من طهارة الأعراق تأليف ابن مسكويه»[1].

وصلت السيّدة إلى الأربعين من عمرها، وأنجزت كتابها «الأربعون الهاشميّة»، فقد كانت تعلم أنّ من يحفظ أربعين حديثًا من أحاديث أهل البيت، ويفهمها ويفهّمها يُحشر يوم القيامة فقيهًا. هذا الكتاب كان المرآة التي أظهرت وجه السيدة الجليلة المهيب للعلماء والمفكّرين المعاصرين لها، وجعلهم ينظرون إليها نظرة إجلال وإكبار، لكنّ أصحاب العقول القاصرة شنّعوا عليها، وهذا دأبهم بالتطاول على الأفذاذ، وعنهم قال شيخنا البهائي:

---

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، الملحق، ص271.

يتضح أنّها كتبت هذا المخطوط المؤلف من صفحتين بناء على طلب تلميذتها، وذلك قبل البدء بتأليف تفسيرها للقرآن: **مخزن العرفان**، لأنّها لم تذكره من بين مؤلفاتها.

أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كي لا يفوهوا بإنكاري

لقد ذاع صيت السيّدة على ألسنة الناس بحلمها وصبرها، فقد كانت صفتا الحلم والصبر لديها من الصفات التي اشتهرت وذاعت على ألسنة الناس، وكانت تعامل الناس على قدر عقولهم، وبحسب مستواهم الثقافيّ، وكانت تصبر على ما يوجّه إليها من اتهامات وانتقادات. لقد كانت الآفاق الفكريّة للنساء وحتى للرجال في ذلك العصر ضيّقة إلى حدّ أنّهنّ أو أنّهم لم يتمكّنوا من إدراك رفعة شخصيّة السيّدة، ولا سيّما في مرحلة الشباب حين اتجهت نحو الكوى والمنافذ المعنويّة، رافضة المشاركة في الاحتفالات والاجتماعات العامّة وفي الجلسات النسائيّة، كانت تسعى لأن تحمل النساء على الإيمان بالمبدإ والمعاد، والارتفاع عن ربقة الحياة الأرضيّة، شارحة قيمة العلم والعمل والتقوى، كما يتبيّن لنا من خلال كتابها «طريق السعادة» الذي وضعته في ما بعد، موجّهة حديثها إلى النساء.

كان من المتوقّع كذلك أن تُهاجم السيّدة حين خرج أوّل كتبها «الأربعون الهاشميّة» إلى الوجود، فمعظم الناس في عصرها ـ وربّما في عصرنا بعد قرن من الزمان ـ من المفكّرين وغير المفكّرين، لا يؤمنون أصلًا بأنّ بإمكان المرأة أن تقوم بعمل عظيم يحسدها عليه الرجال والنساء، أما الحداثيّون، فقد ظنّوا أنّ امرأة محجّبة، ترتدي العباءة (التي يكرهونها)، وتلازم بيتها، لا يمكنها أن تُنتج ما أنتجت من دون مساعدة أحد، وأما المتزمّتون فقد كانوا يرَوْن أن المرأة إنسان ناقص العقل والدين؛ وهذا ما دفع أستاذها الكبير آية الله السيّد مير علي نجف آبادي المعروف بشدّة صفائه الباطنيّ إلى أن يقول بكلّ إخلاص وصفاء: «إنّ كلّ ما كتبته السيّدة أمين في هذا الكتاب إنّما هو من رشحات فكرها، وليس مستمدًّا من تعاليمي»[1].

بعد عامين من إصدار كتاب «الأربعون الهاشميّة»، وبدء السيّدة

(1) المصدر نفسه، ص54.

بإلقاء المحاضرات الأسبوعيّة في منزلها، وتدريس طالبة أوّلًا، ثمّ طالبتين، نالت في السابع من شهر صفر من العام 1354هـ/ 9-6-1935م، بعد ثلاثة وعشرين عامًا من الجهد المستمرّ والسعي الدؤوب لاكتساب العلوم العقليّة والنقليّة، وبعد امتحانات عدّة وأسئلة فقهيّة وأصوليّة وُجّهت إليها وأجابت عنها، إجازة الاجتهاد والرواية من آية الله العظمى الشيخ محمد كاظم الشيرازي[1]، وآية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي[2] الذي يعدّ المؤسس الحقيقيّ لحوزة قم الحاليّة. ومن المؤكّد أنّ من يمنحه هذا العالم الكبير شهادة الاجتهاد والرواية، يجب أن يكون عظيم القدر علميًّا ومعنويًّا. وفي الشهر نفسه، وصلتها إجازة الاجتهاد والرواية من آية الله إبراهيم الحسيني الإصطهاباناتي[3] أحد مراجع التقليد في النجف

---

(1) من مواليد العام 1290هـ في شيراز، بدأ تحصيله العلمي في مسقط رأسه، وفي العشرين من عمره قصد حوزة سامراء العلمية للدراسة وتتلمذ على مشاهير أساتذتها، ثم أصبح واحدًا من خاصة تلاميذ الميرزا الشيرازي الثاني (محمد تقي)، وموضع رعايته، وعاش في منزله كأنه أحد أفراد العائلة. ولما توفي الميرزا الشيرازي في العام 1338هـ، انتقل الشيخ محمد كاظم إلى النجف وكان في الثامنة والأربعين من عمره، وكانت له في النجف منزلة خاصة لدى السيد أبي الحسن الإصفهاني، وبعد وفاة هذا الأخير في العام 1365هـ، تولى المرجعية العامة، وقد توفي في العام 1367هـ، وهو في السابعة والسبعين من عمره، وكان أحد أساتذة آية الله العظمى صافي گلپايگاني. (انظر: زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين** الحاشية 2، ص60، نقلًا عن: حسن الفاطمي، **سيناى معرفت** (سيناء المعرفة)؛ محمد شريف الرازي، **كنجينه دانشمندان** (معجم العلماء)، مج1، ص271؛ محمد مهدي الموسوي، **أحسن الوديعة**، ص278).

(2) الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، ولد في مهرجرد من أعمال يزد، درس في أردكان ويزد، ثم انتقل إلى حوزة سامراء العلمية في العراق، وشارك في دروس المرحوم آية الله العظمى الشيرازي الكبير، والميرزا الشيرازي الثاني (محمد تقي)، في العام 1232 هاجر إلى أراك، وفي العام 1340هـ في أثناء زيارة له إلى قم، أصرّ عليه العلماء والطلاب أن يبقى فيها، فاستخار الله وبقي. هو المؤسس الحقيقي لحوزة قمّ الحالية، وهو الذي أهّل حوزات قم العلمية. (مصدر نفسه).

(3) ترجمه محمد شريف الرازي في **كنجينه دانشمندان**، مج3، ص117-118.

الأشـرف، وقد تتلمذ على يده آية الله المرعشي النجفي، (الـذي منحته السيّدة في ما بعد إجازة الاجتهاد والرواية).

في إجازة الإصطهاباناتي تصريح بكثرة اطّلاع السيّدة، واستحقاقها درجة الاجتهاد، وبيان أنّ السيّدة قد وصلت إلى هذه المرتبة العلميّة الرفيعة، بحيث صار يشار إليها بالبنان[1].

في ربيع الأول من العام 1357هـ، أي بعد عامين من نيل السيّدة الإجازات الأولى، منحها آية الله الشيخ محمد رضا النجفي الإصفهاني[2] إجازة، وصفها فيها بعبارات وألفاظ جميلة ولطيفة.

يقول الشيخ محمد تقي الرازي النجفي[3]: بعد البسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله وأنبيائه ومبلّغي وحيه، ولا سيّما محمّد (ص)، الذين رووا عنه آثار الشرف والسداد.

وبعد، فإنّ السيّدة الشريفة العالية، والـدرّة المكنونة الغالية، ثمرة

---

(1) نصّ الإجـازات الثلاث موجود في **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، الملحق، ص275ـ280 (الإجازات المخطوطة بالعربيّة مع ترجماتها بالفارسيّة).

(2) العلّامة محمد رضا النجفي المسجد شاهي، كان أحد كبار العلماء والفقهاء، وصلت عظمة شخصيته إلى حد أن آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي مؤسس حوزة قم العلمية، كما صرح الإمام الخميني (ره)، قال عنه: «لو لم يكن الشيخ محمد رضا ذا فنون، لكان مرتضى زماننا».. وقال عنه في مكان آخر: «إنه بهائي عصرنا».
وُلد هذا العلامة الكبير سنة 1287هـ.ق في النجف الأشرف، وبعد أن أتمّ دروس المقدمات، بدأ الدراسة لدى الأساتذة الكبار كآغا محمد باقر بهاري الهمذاني، وآغا السيد محمد إبراهيم القزويني، وآغا السيد جعفر الحلي، والمحدّث النوري، والميرزا حبيب الله ذي الفنون وغيرهم، لقد منح 77 فقيهًا في إصفهان و19 آخرين في قمّ إجازة الرواية، ومن بينهم السيدة الفاضلة نصرت أمين. (نقلًا عن زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، الحاشية 2 ص62).

(3) نصرت أمين، **جامع الشتات**، ص129ـ130.

الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وزهرة روضة بني الزهراء، ربة المناقب والمفاخر، وعقيلة آل أبي طالب، المقتفية آثار آبائها وأجدادها، والجامعة طريف المكارم وتلادَها، والآخذة بطرفي المجد من الحسب والنسب، والبالغة منه أعلى الرتب، العالمة، الفاضلة، والفقيهة الحكيمة العارفة الكاملة، ذات الشرف الباذخ، أم الفضل، ست المشايخ... إلخ، أهدتني كتابها الكريم، الذي سمّته «الأربعون الهاشميّة»، ولو كان أمر التسمية بيدي، لسميّته «الأربعون الفاطميّة»، فوجدته عقدًا منظّمًا، من غوالي الفرائد، وسرّحت طرفي في شرح نجني منه ثمار الفوائد، وهو مصنّف، يشهد كلّ منصف أنّه حاوٍ لأصناف العلوم، ومجدّد من الآثار المعاهد والرسوم.

تزيّن معانيه ألفاظه، وألفاظه زاينات المعاني فكم كنز خفيّ من الأسرار أظهرته، ومشكل من الأخبار فسّرته، ومعضل أزاحت عنه الأعضال، وأصابت الصواب إذا اختلفت الأقوال، ولا غرو ـ فأهل البيت أدرى بما فيه ـ وأعرَفُ بظاهره وخافيه.

قوام الكتاب أنّه أمّ الكتاب الذي لو صدر من رحِلَة يخترق الآفاق، ويجوب البلاد من الشام والعراق، ويختلف إلى مدارس العلم ويجالس العلماء، لحقّ له التقريظُ والإطراء ـ فكيف بمن أرخت سترها، ولم تبارح خدرها ـ ويحقّ أن تفتخر بها ربّات الخُمُر والحجال، على لابسي العمائم من الرجال، صرفت في اقتناء العلوم ثمين أوقاتها؛ إذ صرفته في اللعب باللعبة أترابُها ولِداتُها.

ورأيت ـ بعدما استخرتُ الله ـ أن أهديها نبذة من أسانيدي الصحيحة، أجيز لها الرواية عني بحقّ روايتي عن عِلية الشيوخ وأئمة الحديث، وأجزت لها أن تروي عني بهذه الطرق (بعد أن ذكر طرقه بالتفصيل) جميع كتب أصحابنا ورواياتهم مما صحّت لي روايتها بهذه الطرق ـ وبسائر طرقي التي

لم أذكرها- وأكثرها مذكور في خاتمة «مستدرك الوسائل» لشيخي العلّامة النوري، وأنا أوصيها بما أوصاني به مشايخي -وأوصاهم به مشايخهم- من الأمور الثلاثة: أوّلًا: تقوى الله في السرّ والعلانية، وثانيًا السعي في قضاء حوائج الإخوان، وثالثًا سلوك طريق الاحتياط.

تمّت الإجازة العامة الكاملة للسيّدة العالمة الفاضلة -يوم مولد النبيّ الكريم (ص)- في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة 1357هـ/ 3-5-1938م، وأنا العبد أبو المجد محمد الرضا آل العلامة الثاني الشيخ محمد تقي الرازي النجفي، ثم الإصبهاني كتبه بخطّه حامدًا، مصليًا، مسلّمًا».

وأخيرًا بعد أن يذكر سند الحديث الآتي، المنقول عن الإمام جعفر الصادق (ع) يقول:

«قال (ع) من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثًا بعثه الله يوم القيامة عالِمًا فقيهًا»، وأرجو من فضل الله أن تكون هذه السيّدة صاحبة الأربعين ممّن شملته هذه البشارة»[1].

(1) صورة الإجازة الخطية الكاملة، ملحقة بكتاب السيدة نصرت أمين، جامع الشتات، ص130 -139.

أربعون حديثًا

ورد عن رسول الله (ص) أنه قال: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من السنة كنت له شفيعًا يوم القيامة»[1]، انطلاقًا من هذا المعنى دُوِّنت كتب عدّة بعنوان: «أربعون حديثًا» أو ما شابهه، يستعرض مؤلفوها أربعين حديثًا ويشرحونها رغبة منهم في نيل الشفاعة. وبالنسبة إلى السيدة نصرت، فهي أيضًا خاضت هذه التجربة، فكان أوّل كتاب ألّفته هو كتاب «الأربعون الهاشميّة»، وكانت قد تخطّت الأربعين من عمرها[2]، وقد دوّنت آخر سطوره في اليوم الأخير من عامها الثالث والأربعين، وأرّخت الكتاب في الصفحة الأخيرة منه. وهو يتضمّن أربعين حديثًا في أبواب العقائد، والأحكام، والكلام، والحكمة، والفلسفة، والعرفان، وقد اختارت الأحاديث بدقّة عمليّة، وتدقيق علميّ مميّز.

لقد أثمرت الدروس التي تلقّتها من أساتذتها، وأثمرت الساعات الطويلة التي قضتها متفكّرة في دفتر الوجود كتابًا هو «الأربعون الهاشميّة».

هذا الكتاب الذي يمثّل خلاصة فكر السيّدة الفلسفيّ والعرفانيّ، استُقبل استقبالًا حارًا لا نظير له من العلماء والمفكّرين والأدباء الكبار في

---

(1) الحرّ العاملي، **وسائل الشيعة**، طبعة آل البيت، ج27، ص94، ح58.

(2) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگاني بانو ايراني: مجتهده نصرت السادات امين**، ص56ـ58.

عصرها، وقد ترجمته إلى بالفارسيّة[1] في ما بعد تلميذتها ومريدتها السيّدة علوية هُمايوني التي صحبتها مدّة خمسين عامًا، وجُعل الكتاب مادة من مواد التدريس في الكليّة الفاطميّة التي أنشأتها باسم «مكتب فاطمة».

طُبع الكتاب في دمشق في العام 1356هـ/ 1939م، بُعيْد طبعه في إيران، وطُبع في الكويت في العام 1399هـ/ 1979م، أي حين كانت السيّدة في السابعة والثمانين من عمرها، وجاء عنوانه «الأربعون الهاشميّة في شرح جملة من الأحاديث الواردة في العلوم العربيّة»، وهذه النسخة موجودة في مكتبة الأسد في دمشق[2]، وقد طبعه العلّامة السيّد مهدي العلوي، وهو يقول في مقدّمته: «أسلوب الكتاب لا يجري على نسق واحد؛ بل يختلف بحسب الموضوع الذي يتطرّق إليه، وهذا يدلّ على نباهة المؤلّفة، مثلًا في موضوع التوحيد أسلوبها فيه شيء من الصعوبة، أمّا في موضوع الأخلاق فالصعوبة أقلّ، والمجتهدة لم تحتج إلى الكثير من التأمّل والتدقيق، وتعتمد في كتابها على الاستدلال والتحليل. الكتاب لا يكتفي بالمسائل العامة، والألفاظ الأدبيّة المجنّحة، التي لا تلمس أرض الواقع وصميم الموضوع؛ بل هي تغوص في «بحر العلوم» غوصًا، وتستخرج اللآلئ والدرر بعد جهد جهيد، وفي كتابها المعني: أربعون حديثًا من السنّة المطهرة، تشرحها بأسلوبها المُرضي»[3].

في اللحظة التي دوّنت فيها السيّدة نصرت أمين الأسطر الأخيرة من هذا الكتاب، بدأت فاعليّتها العلميّة، فهذا الكتاب هو الذي جعل هذه السيّدة محطّ أنظار الكبار في حقول العلم والمعرفة.

---

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، سفرنامة علوية هُمايوني، ص80. وتقول السيدة هُمايوني إنّها ترجمته سنة 1969م في حياة السيدة، وهو مترجم بالإنجليزية أيضًا.

(2) كما روت تلميذتي الدكتورة طاهرة محمدي، حين كانت تعدّ بإشرافي رسالة عن «الأدب النسائي المتأثّر بالقرآن الكريم»، لكنّي لم أطّلع على هذه النسخة حتى الآن.

(3) النص منقول من المقدمة التي كتبها السيد مهدي العلوي للكتاب.

من الأحاديث التي شرحتها في هذا الكتاب، حديث: «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده»، وحديث: «العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل»؛ أي أنّ العلم أقسام ثلاثة: الإلهيّات، وعلم الأخلاق، وعلم الأحكام الشرعيّة، وقد شرحت السيّدة هذا الحديث شرحًا مفصّلًا، بدقّة نظر وتفصيل لم تسبق إليه، وتقول السيّدة هُمايوني نقلًا عن أساتذتها إنّ الذين شرحوا هذا الحديث هم: الميرداماد، والمحدّث الكاشاني، وملّا صدرا، والسيّدة نصرت أمين، التي كان لها رأيها الخاص المتميّز[1].

في هذا الكتاب تنقل السيّدة نصرت أمين حديثًا لأمير المؤمنين (ع)، يقول فيه: «اعرف الله بالله، والرسول برسالته، والإمام بالأمر بالمعروف وإقامة العدل والإحسان»، تقول بعد أن تشرح آراء الكليني والصدوق وغيرهما من العلماء، مبدية رأيها بهذا الحديث النورانيّ: «إن كان بالإمكان التخلّص من الرذائل والأماني الباطلة، والتجمّل بالتقوى والأخلاق الحسنة، وخلوص النيّة، وصفاء القلب، فإنّ قلبه سيستنير بنور الإيمان، والبصيرة الباطنيّة، فيعرف الله بذاته، وهذا هو المقصود من قول الإمام (ع): «اعرف الله بالله»، أي النور الذي يُشرق في قلب العارف بعد أن يُطهّره الله ويزكّيه، وهذا النوع من المعرفة يحصّله بمساعدته وإرشاده وهدايته»[2].

في الحديث السابع والثلاثين المتعلّق بالصلاة وآثارها تنقل حديث المعصوم المتعلّق بالصلاة، ثمّ تقول: «اعلم أنّ الشخص الذي يريد أن يعلم مدى قربه من الله (عزّ وجلّ)، يجب أن ينظر إلى الله بمقدار معرفته بالله (سبحانه وتعالى)؛ لأنّ قرب العبد من أعتاب الباري (جلّ وعلا) هو بمقدار معرفته فقط. إنّ أيّ عمل يكون أثره أقوى لتقريب العبد من خالقه،

---

(1) زينت السادات علوية همايوني، **سفرنامه علوية هُمايوني**، ص80.

(2) نصرت أمين، **الأربعون الهاشميّة**، الترجمة الفارسيّة، ص28. للأسف الشديد، أنّ الكتاب الأصليّ بالعربيّة ليس في متناولي، وإنّما ترجمته الفارسيّة.

هو لدى الشارع مهمّ وذو قيمة. والصلاة كالطهارة، والذكر والتسبيح، والتعظيم، بحيث إنّها تفعل فعلها باكرًا (إن شاء الله)، كأنّها دواء».

يتضمّن كتاب «الأربعون الهاشميّة» مباحث عميقة ودقيقة، فلسفيّة وأصوليّة: مثل المبحث المتعلّق باسم الجلالة «الله» ومشتقّاته، وأنّ من يردّد الاسم من دون الاهتمام بالمعنى كافر، وأنّ من يعبد الاسم والمعنى أيضًا كافر، وأنّ من يعبد المعنى من دون الاسم موحّد. ومن ثمّ تذكر السيّدة حقيقة العبودية لله (عزّ وجلّ)، وطرق العبادة الصحيحة، من خلال الأدلّة العقليّة والنقليّة، التي يمكن للإنسان أن يقيس مستوى توحيده وعبوديّته من خلال خطّها البياني، فيهتدي إلى طريق الفوز والسعادة.

المبحث الآخر أنّ الله (عزّ وجلّ) أزليّ لا يحدّه زمان، وهو لا يشغل مكانًا، علمًا أن لا مكان ولا زمان خاليان منه. هذا المفهوم العميق توضحه السيّدة المجتهدة بعبارات مختصرة: «إنّ الله (سبحانه وتعالى) كان ولم يزل بلا زمان ولا مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يحلّ في مكان».

في كتاب «الأربعون الهاشميّة» فضلًا عن المباحث الكلاميّة والفلسفيّة العميقة، مباحث أخلاقيّة تعالج الأخلاق العمليّة والتربويّة. في كلّ الأحوال، كانت الأحاديث التي انتقتها أجوبة عن الأسئلة المطروحة في ذلك الحين: فقد أوردت عشرة أحاديث دالّة على معرفة الله والتوحيد، وعشرة أحاديث عن التربية والمعاملات الأخلاقيّة وعشرين حديثًا في الأحكام.

هذا الكتاب هو الذي عرّف السيّدة إلى العلماء، كما ذكرنا من قبل. وعن هذا الكتاب قال الكاتب والصحافيّ العراقيّ عبد الله سبيتي المعاصر لها: «بنظري كتاب «الأربعون الهاشميّة» أطروحة دكتوراه، والفرق بينه وبين الأطاريح أنّه لا يتضمّن محاولات أصحاب الأطاريح من دفاع عمّا كتبوه،

لكن بعد الاطّلاع على الآراء والأفكار الصادرة عن هذه السيّدة، يتبيّن أنّ لديها القدرة والاستعداد للدفاع عن أفكارها»[1].

ففي صيف العام 1369هـ/ 1950م، زار الكاتب العراقيّ عبد الله سبيتي إيران، وكدأبه كلّ مرّة يزورها فيها، دخل إحدى المكتبات (المكتبة المصطفويّة)، للاطّلاع على ما فيها، وفي أثناء قراءته عناوين الكتب، ليختار أحدها، وقع نظره على كتاب «الأربعون الهاشميّة» في إحدى الخزائن ولفتته لفظة الهاشميّة، فاستنتج أنّ من ألّف الكتاب امرأة. يقول: إنّه حتى ذلك التاريخ كان قد رأى عددًا من الكتب المعنونة «الأربعون» (الأربعون حديثًا)؛ لأنّ من عادة علماء الشيعة أن يؤلّف الواحد منهم كتابًا بهذا الاسم، أمّا أن تكون صاحبة الكتاب امرأة، فهذا هو الأمر العجب بالنسبة إليه، وفي المقدّمة المطوّلة التي سطّرها سبيتي لكتاب «النفحات الرحمانيّة» الكثير من الكلام على شكّه وتردّده، وتعجّبه من أنّ امرأة مسلمة قد وصلت في عصره إلى هذا المستوى العلميّ الرفيع. أحيانًا يعبّر عن ندمه على هذا الشكّ والتردّد، وأحيانًا يقول إنّ الأوضاع في عصره هي التي دفعته إلى الشكّ والتردّد؛ لأنّ هذه الحقبة التي يعيش فيها ألحقت أسوأ ظلم بحقّ المرأة المسلمة في التاريخ، وهو قضيّة السفور، ودخول النساء (قبل أن يتسلّحن بالعلم والفضيلة) إلى الاجتماعات العامّة، والمجالس الدنيّة، وفي هذا التسابق المشؤوم على السفور، سبقت إيران البلاد الإسلاميّة الأخرى في هذا السياق، وضربت رقمًا قياسيًّا في هذه الحلبة؛ إذ وجدت من الرجال من يظاهرها على ذلك، وفي طليعتهم كان ملك البلاد السابق رضا شاه، الذي كان يفرض على الناس السفور بالقوّة»[2].

---

(1) نقلًا عن: **زندگانی بانو ایرانی: مجتهده نصرت السادات امین** (التي دونتها علوية هُمايوني بالفارسيّة)، ص56ـ58.

(2) كلام سبيتي جاء في المقدمة التي كتبها في ما بعد، لكتابها **النفحات الرحمانية**، لكن الرواية استقيناها من **زندگانی بانو ایرانی: مجتهده نصرت السادات امین**، (التي كتبتها هُمايوني =

ويقول: حقًّا ما هي العلاقة في زماننا ما بين امرأة وكتابة «الأربعون حديثًا»؟ إنّ النساء في أواخر القرن التاسع عشر قد خرجن عن جادة الصواب، وفقدن اللياقات التي فرضها عليهنّ المجتمع الإسلاميّ؛ لذا كان مستبعدًا بالنسبة إلينا وجود امرأة مسلمة كاملة، تتمتّع بالفضيلة والأخلاق الرفيعة. اليوم، بدلًا من أن تكون المرأة فاضلة وشريفة، انساقت إلى الضلالة وابتعدت عن الأخلاق الحميدة، ساعية وراء ميولها الأنثويّة. لم تتبدّد حيْرة هذا الكاتب والصحافيّ البغدادي، إلا حين قرأ على غلاف الكتاب: «تأليف نادرة الزمان الهاشميّة».

بعد أن تيقّن أنّ صاحبة الكتاب امرأة، زادته قراءة الكتاب تعجّبًا ودهشة، حين رأى نوعيّة الأحاديث التي انتقتها السيّدة، وأنّ الأبحاث التي ساقتها حول هذه الأحاديث، إنّما هي أبحاث فلسفيّة معمّقة، وكيف أنّ هذه السيّدة نقلت كلام كبار العلماء، وأساطين العلم والرأي، معبّرة أحيانًا عن موافقتها على كلامهم، وأحيانًا أخرى تناقش كلامهم وأقوالهم، وقد تضع جميع الأقوال جانبًا، ثم تبدي رأيها الخاصّ، ويأتي هذا الرأي أكثر قيمة من الآراء الأخرى وأكثر إقناعًا[1].

ويبدي سبيتي دهشته من تبحّر هذه السيّدة الكبيرة والفاضلة في الفلسفة الإسلاميّة، ومن قوّة ملكتها العقليّة الظاهرة، ومن الحقائق العلميّة التي توصّلت إليها في الفلسفة الإسلاميّة[2].

لاحظ الحاضرون في المكتبة ورفاق سبيتي ما بدر منه من حيْرة وتعجّب ودهشة، وأخبره صديق له، كان برفقته في المكتبة أنّ «هذه السيّدة

= بالفارسيّة) ص96، وما بعدها.

(1) حتمًا كلام سبيتي كان بالعربيّة، ولعدم وجود النص الأصليّ بين يدي، نقلته عن الفارسيّة، من: زندگانی بانو ایرانی: مجتهده نصرت السادات امین، ص98.

(2) المصدر نفسه، ص97ـ98.

حيّة تُرزق، وتعيش في إصفهان، ويمكنك أن تزورَها وتتحقّق من كلّ شيء بنفسك»، فقرّر، وهو المتشوّق لمعرفة هذه السيّدة من قرب، أن يقصد إصفهان، التي كانت في حينه مكان إقامة عدد كبير من الفضلاء والعلماء، ومن بينهم صديقه أبو الحسن الصدر، الذي كان يتردّد على مجلسه معظم علماء إصفهان، يعرفهم ويعرفونه. سأل عبد الله سبيتي السيّد الصدر في أوّل لقائه به عن صاحبة كتاب «الأربعون الهاشميّة»، فأجابه: «إنّها سيّدة إيرانيّة، فاقت فضيلتها الكثيرين ممّن عرفت»، لم يكن السيّد أبو الحسن الصدر من الذين يُلقون الكلام على عواهنه، أو يبالغون في أقوالهم، وسبيتي يعرفه جيّدًا، ويعرف أنّه لا يتعدّى الحقيقة في ما يقول، فقرّر زيارتها، وتولّى أحد أصدقائه مسؤوليّة ترتيب الموعد، يقول: في صبيحة اليوم الآتي كنّا في طريقنا إلى منزل «فيلسوفة القرن العشرين»[1]. يصف سبيتي منزلها الرحب ظاهريًّا ومعنويًّا، ويتابع القول: «بعد دقائق خمس من جلوسنا في غرفة الاستقبال دخلت علينا السيّدة الجليلة، وهي ترتدي العباءة (التشادر)، مجلّلة بالهيبة والوقار. سلّمت بصوت ضعيف، وجلست». يقول سبيتي إنّه حين رآها، تزاحمت في رأسه صور نساء عصر صدر الإسلام الوقورات، لكن عدم معرفته الفارسيّة لم يُتح له محاورة السيّدة في المسائل العلميّة، وهي على الرغم من أنّها تكتب بالعربيّة، وجدت صعوبة في فهم لهجته، وتمّ الحوار بينهما من خلال الصديق المشترك، الذي كان يُترجم لكلّ منهما ما يقوله الآخر.

قال عن ذلك اللقاء، إنه بيّن له إلى أيّ مدى رفيع ارتقى مقام هذه السيّدة في العلوم العقليّة والنقليّة، وفي الأمور الدنيويّة، والحياة الزوجيّة والاجتماعيّة، وتهذيب النفس، ويقول كذلك «إنّها على الرغم من أنّ ثروتها تُتيح لها في ذلك الوقت، وفي ظروف الفساد المستشري في تلك الحقبة، أن تقوم بما تشاء من تلك الأمور التافهة واللهو واللعب والتسلية في الحياة،

(1) المصدر نفسه، ص98، نقلًا عن مقدّمة: النفحات الرحمانيّة، ص6.

فإنّها كانت بعيدة من تلك الأمـور، ولا تحبّ إلا أن تربط حياتها بحياة العلماء الأجلّاء، وأن تهب نفسها لله».

في نهاية اللقاء تمنّى سبيتي أن تهديه كلامًا ينشره في مجلّته[1]، في زاوية «حديث الشهر»، التي ينشر فيها قضايا عرفانيّة، ليكون درّة يضمّها إلى الـدرر المعرفيّة الأخـرى، فأجابته السيّدة بتواضع (كما يقول) إنّه لشرف عظيم أن يُنشر اسمُها من ضمن أسماء العلماء الذين أدلوا بأقوالهم لـ«حديث الشهر»، لكنّها تأسف لأنّها لا تجيد الحديث باللغة العربيّة المعاصرة، التي تكتب في الصحف، وهذه مسابقة يصعب عليها المشاركة فيها؛ لأنّها لا تستطيع أن تدلو بدلوها من علم الفصاحة والبلاغة بين تلك الدلاء. وتقول أين اللغة الفارسيّة من اللغة العربيّة؟!! ومن ثم اقترحت عليه أن تهديه كتابها «النفحات الرحمانيّة» علّه يختار قبسات منه، تناسب برنامجه «حديث الشهر».

بعد هذا الحديث، أهدته نسخة من «النفحات الرحمانيّة»، وودّعها سبيتي على أمل اللقاء بها ثانية وعاد إلى بغداد، وكتب مقالة في زاويته تدور حول هذا اللقاء الذي دار بينه وبين السيّدة المجتهدة، وأرسله إليها، فضمّنته إلى كتاب «النفحات الرحمانيّة» حين أعادت طباعته مرّة ثانية. في هذه المقالة، بعد أن يشرح سبيتي خصائص كتاب «النفحات الرحمانيّة»، وأحـوال مؤلّفته، ويذكر آثارها، ويبيّن تواضعها، ومن ذلك رفضها ذكر اسمها على مؤلّفاتها، ينتقل إلى تعريف كتاب «الأربعون الهاشميّة»، فيقول إنّه يحبّ أن يوضح للقرّاء نقطة مهمّة، مثيرة للدهشة والتعجّب، في ما يتعلق بحياة هذه السيّدة الفاضلة، وهي أنّها تعلّمت هذه الدروس، ووصلت إلى هذا المقام الرفيع، وهي بين جدران بيتها الأربعة، ولم تذهب إلى مدرسة أو جامعة، ولم تعرف سوى الأساتذة المعدودين، الذين كانوا يأتون إليها

(1) لم يُذكر اسم المجلة.

في منزلها، ويدرّسونها وهم يسمعون صوتها الضعيف والخافت، ولم تتصل بأيّ شخص غير هؤلاء، إلا من خلال الكتب، ثمّ يقول إنّ هذا النوع من الدراسة يردّ الأعذار غير المسوّغة للذين يقولون إنّ الحجاب مانع من تحصيل العلوم الحديثة، ويقينًا إنّ من تستطيع أن تتعلّم الفقه والأصول والفلسفة وغيرها بالحجاب، وتصبح علمًا من أعلام هذه العلوم، تستطيع أن تقرأ الهندسة والرياضيّات والطب أيضًا بهذه الشروط والظروف[1].

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانی بانو ايرانی: مجتهده نصرت السادات امين**، ص101، نقلًا عن: نصرت أمين، **النفحات الرحمانيّة**، ص12.

حقيقة السعادة

تؤمن السيّدة أنّ للإنسان، فضلًا عن جسده الترابيّ الزائل وقواه الماديّة وحواسه الجسديّة، بعدًا آخر وقوى أخرى جعلها القادر المتعال مخفيّة وكامنة في باطنه، وفي أحاسيسه الداخليّة، تلك هي نزعة البحث عن الحقيقة، والقوّة الملكوتيّة، ومظهر نور الأحديّة، وظهور المشيئة الإلهيّة، وهي ما يُسمّى الروح الإنسانيّة، وظهورها بعينه هو ظهور الحقّ تعالى؛ أي بمعرفة الروح يعرف الله، وأولى خطوات الإنسان على طريق التكامل والسعادة والطمأنينة هي معرفة جسده الترابيّ وروحه الأفلاكيّة، أي أن يميّز بين البدن الذي هو من عالم المادة والروح التي نزلت من عالم المجرّدات والملكوت الأعلى، وهذا هو الإنسان الحقيقيّ[1].

في الواحدة والخمسين من عمرها، ألّفت السيّدة المجتهدة كتابها الثالث: «السير والسلوك» الذي كان الدافع لكتابته شعورُها بالمسؤوليّة تجاه مجتمعها، في ظلّ الظروف السياسيّة والاجتماعيّة الخانقة، في أثناء حكم رضا خان، وقصّة نزع الحجاب، وما رافق ذلك من أفعال وردود أفعال، وابتعاد المجتمع في ذلك الحين عن الدين ليس في المظهر فقط ـ وغالبيّة النساء في تلك الحقبة أمّيّات ـ وإنّما أخلاقيًّا ومعنويًّا أيضًا. رأت السيّدة

(1) نصرت أمين، سير وسلوك در روش أولياء وطريق سير سعداء، ص6.

نصرت أمين أنّ من مهامها بوصفها عالمةً أن توقظ الناس من كبوتهم، وأن تفتح أعينهم على ما يجري حولهم، فكان كتاب «السير والسلوك» حصيلة هذه المهمّة التي حملتها على عاتقها.

لقد شيّدت السيّدة من خلال هذا الكتاب جسرًا معرفيًا للبشر، ليتمكّنوا من خلاله، إن هم اجتازوا الطريق الصحيح، من الوصول إلى السعادة الحقيقيّة. أمّا العوائق التي تحول بين الإنسان والوصول إلى السعادة فتتلخّص في أربعة أمور:

أ- إنّنا لا نعرف أنفسنا، ولا نعرف قدْرَنا.

ب- إنّنا نرى السعادة في الأمور الدنيويّة.

ج- إنّنا نعتقد أنّ طريق الظاهر والقالب الظاهريّ يوصلان إلى المعرفة.

د- إنّنا نظنّ أنّ معرفة الله الحقيقيّة بنور القلب والبصيرة الباطنيّة مختصّة بالنبيّ (ص) والأئمّة الأطهار (ع) وحدهم.

بعد أن تذكر السيّدة معوّقات الطريق، تبدأ بالعلاج، وتوضيح الطرق العمليّة للعبور إلى السعادة. وهي ترى أنّ بإمكاننا إزالة العائق الأوّل حين نعرف أنّ حقيقتنا تكمن في الروح الإلهيّة المودَعة فينا، وليس في البدن الترابيّ، ومن واجبنا أن نعرف جيّدًا جميع زوايا الروح الإلهيّة. أمّا العائق الثاني، فنزيله بواسطة القراءة والبحث والتحقيق وسؤال العارفين بالطريق، لندرك التعريف الصحيح والواقعي للسعادة، وحين تتّضح لنا أهداف الحياة وآفاقها النهائيّة، نخطو في طريق السعادة خطوات أكثر صلابة، وقوّة وجديّة، ويمكننا أن نزيل العائق الثالث حين ننظر إلى الموجودات بعين أخرى هي عين القلب: «هنالك طريق واحد متاح (لمعرفة الحقّ تعالى)، وهو طريق القلب والباطن والسرّ، وبصيرة القلب معناه أنّ هنالك

عينًا أخرى مفتوحة وراء هذه العين تشاهد الأشياء كما هي بالفعل، وليس بحسب ظاهرها»[1].

أمّا بالنسبة إلى إزالة العائق الرابع فتقول: «إنّنا ننام مطمئنّين، قانعين من المعارف بالاسم، ومن العلوم بالمصطلحات، ومن العبادات والطاعات بالشكل والعادات، ونعتقد أنّنا مؤمنون كاملون، وعلى الله (عزّ وجلّ) أن يجعل مقامنا يوم القيامة في أعلى عليّين، وفي أرفع درجات الجنان، ونزعم أنّ فقداننا العلم والمعرفة مردّه إلى استحالته حينًا، وأحيانًا إلى منع الشارع، ونظنّ أن العقل والشرع لم يُجيزا لنا التعمّق في المعارف، ونُرضي أنفسنا بأنّ معرفة الحقّ تعالى بأوصاف جلاله وجماله فوق طاقتنا. إنّ كلّ هذه التعاسة على الأرض ناجمة، إن نحن أمعنّا النظر جيّدًا، عن فقدان معرفة النفس، وعدم تعرف الروح الإنسانيّة ودرجات تكاملها»[2].

ترى السيّدة أنّ العقل والتفكير هما الأداتـان المهمّتان في سبيل التكامل والارتقاء الروحيّ، والبحث عن أجوبة الأسئلة المزمنة «من نحن؟ ومن أين أتينا؟ وإلى أين سنذهب؟»، وهذا يشكّل الخطوة الأولى في هذا الطريق، أمّا الخطوة الثانية في السير والسلوك فهي معرفة الله:

«ثمة طريقان لمعرفة الحقّ: الأوّل: البرهان الذي يمكننا بواسطته فهم وتصديق: أنّ للعالم إلهًا واحدًا أحدًا، متصفًا بجميع صفات الكمال، ومنزّهًا ومبرّأً من جميع نقائص الممكنات. والثاني الوجدان، أي معرفته بالنور القلبيّ والإدراك الحضوري، الذي يتيسر للشخص العارف من دون دليل خارجيّ»[3].

في هذا الكتاب، كما في كتبها الأخرى تستخدم السيّدة، فضلًا عن

(1) المصدر نفسه، ص8.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص31.

المفاهيم الفلسفيّة والعلميّة، الحكمة والأشعار الجميلة والمنظومات الخالدة لجلال الدين الرومي وحافظ والعطّار وغيرهم، لتجعل الموضوع مفهومًا لكلّ الأذواق والفئات. أسلوب الكتاب أدبيّ راقٍ، ولغته واضحة المعالم، تخلو من التعقيد الـذي طغى في عصرها وقبله على أسلوب الفقهاء.

في القسم الأخير من كتاب «السير والسلوك»، بعد أن توضح المراحل الثماني للسير نحو الله، والعثور على طريق الملكوت، وبعد ذكر حديث عن الرسول الأكرم، مفاده أنّ لله (عزّ وجلّ) تسعة وتسعين اسمًا، تشرع في شرح أسماء الله هذه وتوضيحها، لتنوّر القلوب بذكر الله جلّت أسماؤه.

وعن كتاب «السير والسلوك» أوردت السيّدة علوية هُمايوني في سيرة السيّدة[1] قول المرحوم الفقيه المعروف العلّامة محمد تقي الجعفري، الذي قال عن السيّدة وعن كتابها «السير والسلوك»: «نظرًا إلى المقامات الروحيّة العالية التي حصلتها (بانو ايراني) السيّدة المجتهدة، من الواجب أن نُعدّ من النخبة من العلماء الذين هم فضلًا عن تحصيلهم المعرفيّ، قد ولـدوا في هذه الحياة «ولادة جديدة» إنّ كتاب السير والسلوك، تأليف هذه العالمة المعظّمة إنّما هو دليل واضح على أنّ المعارف والفلسفات المدرسيّة الاتّباعيّة الكلاسيكيّة لم تلق ظلالها على روحها، وإنّما تنبّهت إلى هذا النوع من الإدراكـات والمعارف المترافقة مع الصيرورات. إنّ استشراف السيّدة نصرت أمين في كتاب السير والسلوك واطّلاعها على الحقائق ذات الأهميّة، إنّما هو توأم لنوع من الوجدان العلميّ الذي لا يوفق ـ للأسف ـ في الحصول عليه إلّا قلّة قليلة جدًّا من العلماء»[2].

---

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص83، نقلًا عن مقدّمة: مخزن اللآلئ، ص6.

(2) المصدر نفسه، ص84.

موضوع الحجاب أو السّتر

كان انخراط السيّدة في هذه المرحلة في النقاش الدائر حول موضوع الحجاب أمرًا طبيعيًّا، وقد أخذت على عاتقها مهمّة الدفاع عن الدين في وجه أعدائه، والحجاب، كما تنظر إليه، واجب شرعيّ، ورمز الهويّة الإسلاميّة.

الحجاب أو السّتر زيّ من الأزياء، والأزياء بشكل عام سمة ثقافيّة، ومظهر ومميّز قوميّ، وأسرع دال ثقافيّ يمكن أن ينتقل من ثقافة إلى أخرى، كما إنّ نوعية الثياب وألوانها وطريقة ارتداء النساء والرجال لها في أيّ مجتمع من المجتمعات، أمور نابعة من الظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة والإقليميّة لذلك المجتمع، وفوق ذلك هي نابعة من صميم الرؤية والقيم المسيطرة على ثقافة ذلك المجتمع، كما إنّها المرآة الكاشفة لتلك الرؤية.

في كلّ الأحوال، يبقى الحجاب بالنسبة إلى المرأة المسلمة، وإن تعدّدت أشكاله: عباءة أو منديلًا أو شالًا، أي ما يستر الشعر وباقي الجسم باستثناء الوجه والكفّين، وهو العباءة في إيران أو ما يسمّى بالفارسيّة تشادر (چادر)، يبقى المظهر الدالّ على الهويّة الدينيّة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾[1]، كما تدلّ أزياء أخرى على الهويّة القوميّة.

(1) سورة الأحزاب: الآية 59

لقد طُرح موضوع الحجاب للمرّة الأولى في بداية الدعوة الإسلاميّة لتمييز المؤمنات وحماية لهنّ ﴿أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾، ولم يجر أيّ نقاش حول وجوبه وضرورته بين الفقهاء طيلة العصور الإسلاميّة، كأمر مفروغ منه، إنّما اقتصر النقاش في ظروف معيّنة على موضوع النقاب وستر الوجه، زذلك بعد الاجتياح المغولي، وفي أثناء الحروب الصليبيّة، وبعد تهاوي المدن الأندلسيّة وسقوط غرناطة، لم يطرح موضوع الحجاب، والمناداة بالتخلص منه إلّا بعد مجيء البعثات التبشيريّة إلى الشرق، بالتزامن مع حال الانهيار السياسيّ في البلدان الإسلاميّة، التي أعقبت التصدّعات الاجتماعيّة.

في إيران بدأت مقدّمات خلع الحجاب منذ أن بدأت المدارس التي فتحها المبشّرون الأميركيّون، ثمّ المبشّرون الفرنسيّون الكاثوليك، كما تصور ذلك لنا الروائيّة القديرة المرحومة سيمين دانشور في رواياتها، ولا سيّما «سو وشون»، إذ تصف كيفيّة معاملة المدرّسة للتلميذة بطلة الرواية في المدرسة الفرنسيّة في مدينة شيراز في أوّل القرن، وكيف كانت تسخر من غطاء الرأس، الذي كانت تضعه الفتيات على رؤوسهن (وكأنّ البلاء الذي ترزح تحته البلاد، كان كلّه بسبب هذا «الإيشارب»)، فضلًا عن الجمعيّات النسائيّة، والصحف والمجلات، الداعية إلى تحرير المرأة، والتي تردّ تخلّف المجتمع إلى تخلّف النساء المحجّبات المرتديات العباءة، كلّ ذلك يُنشر في الوقت الذي كان الناس فيه يموتون ويُتركون على قارعة الطريق، بعد أن تفتك بهم الأوبئة، والمجاعات المتنقّلة[1].

لكنّ الخطوات العمليّة لخلع الحجاب بدأت العام 1928م، في ذلك

(1) محمد تقي بهار، **تاريخ مختصر احزاب سياسى ايران**. يصور ملك الشعراء بهار حالة البلاد في هذا الكتاب من صفحته الأولى حتى الأخيرة، سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا، منذ بداية العصر القاجاري، مرورًا بالحكم الدستوريّ وصولًا إلى استلام رضا خان للسلطة وتنصيب نفسه ملكًا مطلق الصلاحية.

العام أصدر رضا خان مرسومًا ملكيًّا يفرض على الرعايا الإيرانيّين ارتداء لباس موحّد، للرجال السترة النصفيّة والقبّعة التي سُميت القبعة البهلويّة، التي عُدّت في حينه شعار إيران الوطني، وطُلب إلى النساء خلع الحجاب والخروج سافرات.

إنّ موضوع إجبار النساء على خلع الحجاب كإجبار الموظفين الرسميّين على ارتداء السترة النصفيّة والقبعة البهلويّة لم يكن موضوعًا دينيًّا واجتماعيًّا فحسب، وإنّما كان موضوعًا سياسيًّا وثقافيًّا بالدرجة الأولى. لقد أعلن رضا شاه والموظفون الدائرون في فلكه، أو الذين يسيّرونه، أنّ إيران يجب أن تعود إلى سابق مجدها قبل الإسلام، وأن تتخلّص من هذا الدين (الإسلام) الذي حرمها منذ ما يقارب الأربعة عشر قرنًا استقلالها السياسيّ والوطنيّ (وكأنّ ارتداء القبعة وخلع الحجاب سيؤديان هذا الدور، أو كأنّ هذا الزيّ هو الزيّ الذي كان يرتديه كسرى أو يزدجرد!).

ثمّ استنسب للناس قبعة أخرى استُعير لها اسمها الفرنسيّ (شابو)، صدر هذا المرسوم ومعه تذكير بالمرسوم السابق الذي مُنعت فيه مجالس قراءة القرآن ومجالس العزاء الحسينيّ، أما ختميّة القرآن عن أرواح الموتى فقد حُدّد لها مسجد واحد، على أن لا تصل المدّة الزمنيّة إلى الساعتين. تخيّلت الحكومة حين صدر القرار الأوّل أنّها وضعت مسافة بين الشعب والدين، والأرضيّة باتت مناسبة لتوجيه الضربة الأخيرة.

اجتمع الناس في مقام الإمام الرضا (ع) في مدينة مشهد، وألقيت الخطب المندّدة بقرارات الحكومة المناهضة للدين، فصدرت الأوامر الملكيّة للواء المرابط في شرقي خراسان بأن يفضّ تلك الاجتماعات بالقوّة، فأُطلق الرصاص الحيّ على المتجمعين وعلى الزوار المحيطين بالقبر الشريف، فقتل أكثر من ألفي شخص وجرحوا[1]، وقد روى أحد

(1) باقر عاقلي، روز شمار تاريخ ايران از مشروطة تا انقلاب اسلامي، ص286-287.

الناجين من المجزرة من القيّمين على خدمة الحرم الرضويّ، أنه رأى بأمّ عينه الدماء حول ضريح الإمام الرضا وقد غطت المكان من جراح الأطفال الذين كانوا يرافقون أمّهاتهم، ومن النساء الحوامل اللواتي قُتلن هنّ والأجنّة في بطونهنّ، ويقول إنّ الناس كانوا يقرأون الزيارة حين انهمر عليهم الرصاص العشوائيّ[1].

منذ أن وقعت تلك الحادثة تحوّل الأمر إلى نوع من التحدّي بين الفريقين: لذلك نحن نقول دائمًا، إنّ موضوع الحجاب في إيران يشكّل جزءًا من قضيّة أكثر أهميّة وأبعد أثرًا: كان صراعًا منذ عهد رضا شاه بين من يريدون المحافظة على هويّة إيران الإسلاميّة وبين الذين كانوا يريدون محو أربعة عشر قرنًا من تاريخها، ولم يكن الأمر المبرم بخلعه رغبة في تحرير المرأة من التقاليد التي تكبّلها[2]. فمنذ أن سافر رضا خان إلى تركيا «بهدف تدعيم الصداقة بين البلدين». كما يقول معاصره هدايت[3]، وانجذبه إلى سياسات مصطفى كمال أتاتورك زعيم تركيا، صرّح العام 1933م في تركيا: أنّه سيحارب الدين كما فعل زعيم هذه البلاد؛ وقد ورد في مذكّرات رئيس الوزراء في حينه، أنّ رضا خان استدعاه في اليوم الأوّل لتسلّمه منصبه وقال له: كيف يمكننا التخلص من التشادر والجلباب؟، إنّ هذا الموضوع يشغل تفكيري منذ عامين، منذ أن زرت تركيا، ورأيت نساءهم قد تخلّصن من الحجاب، ويعملن مع الرجال جنبًا إلى جنب: سأبقى مستاءً طالما أنّ النساء يرتدين العباءة «التشادر»، فالعباءة والجلباب عدوّا رقي الناس

---

(1) «**شهادة والد زوجة الشهيد نواب صفوي**»، مجلة: ندا، العدد 8، شتاء 1999، ص29؛ زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگاني بانو ايراني: مجتهده نصرت السادات امين**، ص50، نقلًا عن **حكاية خلع الحجاب**، مؤسسة ولاية القدر الثقافية، ص20.

(2) انظر: دلال عباس، **المرأة في الدستور الإيراني؛ حقوق المرأة في الإسلام بين النظرية والواقع، المرأة الإيرانية أنموذجًا**؛ الموقع الإلكتروني www.dalalabbas.com.

(3) **مهديقلى هدايت، خاطرات وخطرات**، ص3ـ4.

وتقدّمهم»[1]، (أمّا الحكم الدكتاتوريّ فهو نصير التقدّم!) فبحسب ما قاله هدايت معاصره: إنّ رضا خان منذ أن استلم الحكم رفع شعاره لكلّ بلد نظام خاصّ، ونظامنا نظام الرجل الواحد»[2].

بعد عامين من عودته من تركيا شارك الشاه في افتتاح «معهد الفنون العالي» برفقة زوجته وابنتيه، وحضره أيضًا الوزراء والنوّاب وزوجاتهم، وكانت النساء جميعًا سافرات[3].

كما أصدر الشاه مرسوم تعيين وكيل وزارة المعارف وزيرًا مكافأة له على الإجراءات التي قام بها يوم الافتتاح، ومنها منع اللواتي يغطين شعرهنّ من دخول القاعة[4]، وأرسل إليه بعد أن عيّنه وزيرًا رسالة جاء فيها: «إنّ المعلّمات والتلميذات في المدارس يجب أن يكنّ سافرات، وكذلك النساء في الاجتماعات العامّة، وإذا امتنعت إحداهنّ عن تنفيذ هذه الأوامر، فإنّ الشرطة ستستعمل الشدّة، وستُمنع النساء من ركوب الحافلات»[5]، وقد أرسل رئيس حوزة قم في حينه الشيخ عبد الكريم اليزدي برقية إلى الشاه بناء على طلب علماء قم، اعتراضًا على هذه القضيّة جاء فيها: «إنّ الحجاب من المسلّمات الدينيّة، ولا يجب أن يكون خلع النساء له إجباريًّا وإلزاميًّا»[6]، وجاء في ردّ رئيس الوزراء فروغي على البرقيّة عبارات مهينة للعلماء، كما إنّ ردّ فعل رضا خان جاء عنيفًا، ونفّذ تهديداته عمليًّا، وكانت شرطته تتصدّى للنساء المحجّبات في الطرقات والأزقّة، تمزّق لهنّ العباءات

(1) مجلة ندا، العدد 8، شتاء 1999، ص29.

(2) مهديقلي هدايت، خاطرات وخطرات، ص370، وما بعدها.

(3) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص46؛ مجلة ندا، العدد 8، شتاء العام 1991، ص28.

(4) باقر عاقلي، روز شمار تاريخ ايران از مشروطة تا انقلاب اسلامى، مج1، ص292.

(5) مجلة: ندا، العدد 8، شتاء 1999، ص30.

(6) مجلة: ياد، العدد 14، السنة الرابعة، ربيع العام 1994، ص105ـ106.

وتضربهنّ بعنف، حتى إنّ الكثيرات منهنّ قد فقدن أجنّتهن»[1]، هذه الإجراءات التي اتخذتها الحكومة أجبرت النساء اللواتي لا يُردن التخلّي عن الحجاب، وبنات العائلات المتديّنة، على أن يلزمن بيوتهنّ لمدّة خمسة أعوام، حتى الذهاب إلى الحمامات العامّة حُرمن إيّاه[2]. ومنع الناس من المتاجرة مع النساء المحجّبات بيعًا وشراء، ومن ضمنهنّ النساء القادمات من الأرياف لبيع منتوجاتهنّ، وألزم مديرو المؤسّسات بإقامة برامج إضافيّة: حفلات استقبال وما شابهها، يُفرض فيها على الموظفين اصطحاب زوجاتهم وبناتهم سافرات، وحثّ هؤلاء على التردد إلى الأماكن العامّة والمتنزهات مع زوجاتهم وبناتهم السافرات ليقتدي عامّة الناس بهنّ، وتتولّى الشرطة المحافظة على أمنهنّ[3].

حتى الفتيات اللواتي كنّ يذهبن إلى مدارس الإرساليّات المختلطة، مرتديات «الإيشارب» على الرغم من تعنيف المعلّمات لهنّ[4]، فقد تولّت الشرطة بعد ذلك منعهنّ من دخول المدارس، قبل أن يخلعن غطاء الرأس، وكثيرات منهنّ حرمن المدرسة بسبب ذلك، وفي الحمّامات العامة، وضعت عميلات سريّات لسماع ما يقوله النساء عن إجراءات الحكومة، ولمراقبة ما ترتديه النساء بعد خروجهنّ من الحمام، وكان يقف موظّفون رسميّون على مداخل الأماكن العامّة والمزارات، لمنع المحجّبات من الدخول. حتى سائقو السيارات العموميّة والحافلات منعوا من نقل النساء المحجّبات.

شغل موضوع السفور وتطبيقه الإجباريّ إيران من أدناها إلى أقصاها مدّة خمسة أعوام متواصلة، ولازمت النساء منازلهنّ، أو أجبرن على ذلك، خوفًا من أن تهينهنّ الشرطة. كان الأمر مضحكًا ومثيرًا للسخرية والاشمئزاز: «اخلعي حجابك فتكوني حرّة»، المعادلة لم تكن منطقيّة، ولا عقلانيّة. فهم

---

(1) روح الله الخميني، **صحيفة النور**، مج5، ص176؛ مج10، ص139.

(2) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص51.

(3) المصدر نفسه.

(4) سيمين دانشور، **سون وشون**.

صبيانيّ منحرف لموضوع الحريّة. في الجهة المقابلة، كان لتحدّي السيّدة نصرت قرارَ الحكومة معنى بعيدًا جدًّا: صحيح أنّ كلّ علماء الدين الرجال عارضوا الموضوع، لكن بالنسبة إلى المجتمع، ولا سيّما النساء: هم في النهاية رجال، ولا يريدون للمرأة أن تنال حريّتها! لكن أن تقف عالمة دين ومجتهدة، اعترف كبار العلماء باجتهادها، وتتصدّى لهذا الموضوع، ليس دفاعًا عن التشادر أو غطاء الرأس بحدّ ذاته، وإنّما دفاعًا عن الهويّة، وأنّه لا يمنع المرأة من التقدّم علميًّا وهي الدليل العمليّ على ذلك كان له أثر كبير. قبل العام 1935 لم يُستخدم العنف ضدّ النساء المحجّبات، وإنّما انصبّت جهود الحكومة على المحافظة على أمن غير المحجّبات من اعتداءات المعارضين الكلاميّة، وعلى إقامة المجالس والاجتماعات، وذمّ الحجاب قولًا وفعلًا وكتابة، وتحسين السفور. ولما رأت الحكومة أنّ هذا الأمر لم يكن كافيًا، وأنّ معظم النساء لم يتخلّين عن الحجاب، بدأت أعمال العنف، وتوجيه الدعوات إلى الشخصيّات النافذة لحضور الاجتماعات الأسبوعيّة في القصر الملكيّ، ومن بين تلك الشخصيّات كبار التجّار، وزوج السيّدة نصرت واحد منهم، ولما كان حضور الزوجات مع أزواجهن إلزاميًّا، رفضت السيّدة ذلك، معربة عن رفضها المبدئيّ لموضوع السفور من أساسه، ومنعًا للإحراج، سافرت إلى قم للدراسة والزيارة، معلنة على الملأ رفضها هذه القضيّة على نحوين: أوّلًا رفضها حضور الاجتماعات التي تقيمها الحكومة، وإصرارها على الالتزام بارتداء العباءة، وانتقالها إلى قم، مجاورة، وملازمة بيتها، فأظهرت للناس وللنساء اللواتي يقتدينَ، ويرينها مثالًا أعلى لهنّ موقفها عمليًّا، وثانيًا توضيح القضيّة والكلام حولها أمام النساء والشابات اللواتي يجتمعن في منزلها، على الرغم من صعوبة التنقّل في الطرقات، والكتابة عن هذه القضيّة لتبيان أغراض الساسة وأهدافهم الشيطانيّة (كما أسمتها)، «ولم يكن زوجها معارضًا لرأيها؛ بل كان مؤيّدًا له»[1].

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانی بانو ايرانی: مجتهده نصرت السادات امين، ص46ـ48.

أمّا الكتاب الذي فنّدت فيه آراء المعارضين للستر، وهو الكتاب الوحيد الموجّه إلى النساء، والمسمّى «سبيل السعادة» فقد مُنع من النشر، ولم يُنشر ويصل إلى أيدي الناس إلا بعد أن همد أوار القضيّة، وحذفت الرقابة منه المقاطع التي تتضمّن نقدًا سياسيًّا.

هذا الكتاب ـ على خلاف عادتها في سائر كتبها ـ لم تحدّد فيه عام إنهائه؛ لذلك كتب على الأرجح في أثناء الأزمة المنبثقة عن موضوع خلع الحجاب[1].

لم تستطع هذه الإجراءات أن تعيش أكثر من خمسة أعوام، إلى حين خلع رضا شاه؛ لأنّ ملاحقة الشرطة للنساء، ونزع عباءاتهنّ أو أغطية رؤوسهنّ في بعض الأمكنة بالقوّة، وإساءة رجال الشرطة الأجلاف معاملتهنّ، أثارت حفيظة الإيرانيّين جميعًا، وليس فقط علماء الدين، والعائلات المتديّنة كلّها؛ بل رجال الفكر وأهل الرأي من غير المتديّنين، الذين أخجلتهم أفعال رضا شاه، وهم يعرفونه حلًّا ونسبًا[2]، بعد استلام محمّد رضا شاه كرسي الحكم، وفي أثناء تمجيده لأبيه، وتعريف الخدمات التحديثيّة التي قدّمها والده للمجتمع، ولخدمة النساء الإيرانيّات يقول: «إنّ مسألة خلع الحجاب أنموذج من هذه الإجراءات الإصلاحيّة، وما إن خرج والدي من إيران إثر اضطراب الأوضاع في مرحلة الحرب، حتى عادت النساء إلى أوضاعهنّ الأولى، وتحدّين القرارات المتعلّقة بخلع الحجاب،

---

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختي**؛ زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگاني بانو ايراني: مجتهده نصرت السادات امين**، ص46ـ48.

(2) للاطّلاع على تاريخ العائلة البهلويّة وكيفية استيلاء رضا خان على السلطة، وتنصيب نفسه ملكًا، انظر: محمد تقي بهار، **تاريخ مختصر أحزاب سياسي إيران؛ «البهلوية، السلالة»**، ترجمة: دلال عباس، دائرة معارف العالم الإسلامي، مج6؛ موقع دلال عباس الإلكترونيّ: www.dalalabbas.com.

لكنّني وحكومتي تجاهلنا هذا الخرق للقانون، وفضّلنا ترك القضيّة تسير في مسارها الطبيعيّ، ولم نلجأ إلى استخدام العنف لتطبيقها»[1].

طيلة المدّة التي استغرقتها الإجـراءات العنفيّة التي استمرّت بين خمسة وستة أعـوام، انصبّت جهود السيّدة فيها، أي من الأربعين حتى السادسة والأربعين من عمرها، على تثقيف النساء القلائل اللواتي يجتمعن في بيتها، وتلميذتيها الخاصّتين، والكتابة حول السير والسلوك بشكل عام، والمعاد، وطريق السعادة الموجّه إلى النساء، ومنه نعرف ما كانت تقوله للنساء، لتعليمهنّ ليتعرّفن الأحكام الإسلاميّة الصحيحة، بعيدًا من الأفكار التغريبيّة، والتقاليد البالية المنسوبة إلى الإسلام، ليدركن مقامهنّ ومكانتهنّ، وتحيي فيهنّ الأمل بالتقدّم الفكريّ والعلميّ، لأنّها تعدّ الأمّ الأسـاس في تقدّم المجتمع، فالمواضيع التي يتضمّنها كتاب «طريق السعادة» موجّهة إلى النساء، وبعضها كان يلقى على المجتمعات في منزلها في أثناء المرحلة العصيبة، وبعدها.

في الوقت الذي كانت فيه زوجات المسؤولين وبناتهم، والمقلّدات لهنّ، يخرجن للتنزّه في الأماكن العامة سافرات، وحتى شبه عاريات بإرادتهنّ أو بغير إرادتـهـنّ، كان يجتمع، في المقلب الآخر، كلّ أربعاء في باحة منزل هذه السيّدة العالمة أكثر من خمسمئة امرأة مسنّة وشابة، من المحجّبات الباحثات عن الحقيقة، ينتظرن الدخول إلى حديقة العلم والمعرفة المتمثّلة بهذه السيّدة:[2] تلقي عليهنّ أحاديث عامّة في الدين وفي الحقوق، وتجيب عن أسئلتهنّ، وتركّز في الوقت نفسه على تعليم تلميذاتها: بدأت أوّل الأمر بتلميذتين ثمّ بدأ العدد يتزايد.

---

(1) باقر عاقلي، **روز شمار تاريخ ايران از مشروطة تا انقلاب اسلامي**، مج1، ص330 ـ 336؛ «**البهلوية السلالة**»، ترجمة: دلال عباس، دائرة معارف العالم الإسلامي، مج6؛ موقع دلال عباس الإلكترونيّ: www.dalalabbas.com.

(2) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص49.

من بين كتبها، يجيب كتاب «طريق السعادة» عن أسئلة هذه المرحلة، ويتضمّن الأسس الدينيّة التي يجب أن تعرفها كلّ امرأة أيًّا كان مستواها العلميّ والثقافيّ. أوردت فيه الأدلّة على وجوب الحجاب بعبارات بسيطة سهلة، وأرادت أن تكون المسائل المطروحة بسيطة ومختصرة، ودون عبارات متمّقة، وألفاظ مزخرفة، وبراهين فلسفيّة (كما هو الحال في كتبها الأخرى)، لتستطيع النساء الاستفادة منه. وفيه تعرّف النساء (وهنّ لا يعرفن العربيّة ليقرأن القرآن والأحاديث ويفهمن تعاليم الإسلام) بأنفسهنّ، ما لهنّ من حقوق إسلاميًّا، وما عليهنّ من واجبات.

وأنا أعتقد أنّ الذين تحدّثوا عن حقوق المرأة المسلمة في ما بعد، قد تأثّروا من دون شك بما كتبته هذه السيّدة.

رسالتها إلى الأخوات المؤمنات

تفاعلت السيدة مع هموم مجتمعها بشكل عام، وأولت المرأة في ذلك الزمان اهتمامًا خاصًّا، نظرًا إلى حالة الوهن التي كانت تعيش فيها، سواء على الصعيد العلمي أو من ناحية حفظ حقوقها أو من ناحية عدم إدراكها للبعد المعنوي من أبعاد الإنسان... إلخ. ولذلك خاطبت المرأة من مختلف الطبقات والأعمار والمستويات الثقافيّة، ووجهت إلها رسائل عدّة، كان منها كتاب «روش خوشبختى» (طريق السعادة). وما كانت تريده عبر هذا الكتاب أن تقدّم إلى الأخوات المؤمنات رسالة تتضمّن حِكمًا جميلة، مبسّطة ومختصرة، مُتاح فهمها للجميع، للمتعلّمات ولغير المتعلّمات[1].

تقول إنّ كلّ إنسان في هذه الحياة يتمنّى أن يكون سعيدًا مطمئنًّا، والظنّ السائد أنّ السعادة قدر أزليّ مقدّر، وحصولها فوق تدبير البشر[2].

ثمّ توجّه كلامها إلى السيّدات قائلة لهنّ: «أيّتها الأخوات المحترمات والشابات العزيزات، إن كنتنّ تتمنين السعادة والطمأنينة، فأصغين إليّ بقلوبكنّ، لأشرح لكنّ طريق سيّدة سعيدة وأسلوب حياتها، ونمط سلوكها، لتفهمن وتصدّقن أنّ السعادة ليست في الأشياء التي تتصوّرنها، وتتمنين

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، المقدمة؛ وص85.

(2) المصدر نفسه، المقدمة.

الحصول عليها، ثمّ بعد كلّ أمنية أمانٍ أخرى لا تنتهي أبـدًا، وتقضين أعماركنّ على هذا النحو؛ إنّها أماني الأطفال، لا أماني العقلاء».

إنّ السعادة ليست في كثرة المال وازديـاد الـثروة، ولا في الجاه والشهرة، ولا في الكماليّات، والسعادة ليست في اللباس والثياب الجميلة والثمينة؛ ابحثن عن السعادة وعن جذور السعادة أو التعاسة في أعماقكنّ.

السعادة والتعاسة[1]: قبل أن نعدّد وسائل السعادة يجب أن نعلم ما هي السعادة؟ وما هي التعاسة؟

تقول: إنّ بين الحكماء والعلماء الكثير من النقاش حول بواعث السعادة أو التعاسة، ولقد حاول كلّ واحد منهم من خلال بحيرة أفكاره، ومن منطلق آماله وأمانيه، أن يشرح السعادة ويثبت رأيه. إن أنتنّ أمعنتنّ النظر، سترين أنّ للسعادة ركنين: الأوّل صحّة البدن وصحّة المزاج، والثاني صحّة الفكر وراحة البال والطمأنينة الروحيّة؛ لأنّ سلامة الروح من سلامة البدن، والـروح والبدن يؤثّر كلّ منهما في الآخر ويتأثّر به. والأمـراض الجسديّة تحول دون الارتقاء الروحي، وتجعل الإنسان تعيسًا، وما من سعادة تعادل راحة القلب وطمأنينة الروح، ويصل إليها الإنسان بأمرين:

1ـ المعتقدات الصحيحة، والإيمان بالمبدإ والمعاد.

2ـ الأخلاق الحسنة التي هي مصدر أعمال الخير.

وتقول: إنّ التعاسة بأنواعها تنبع من داخلنا، وسببها نحن، وخطأ ظنّنا أنّها تأتي من الخارج، لقد قال العلماء إنّ سعادة الإنسان، أيّ إنسان، مرتبطة بكيفيّة نظرته إلى عالم الطبيعة، أي ما هي درجة التكامل والسموّ التي بلغتها روحه؛ لأنّ السعادة مرتبطة بالروح، ويجب البحث عن جذورها في عقل

(1) المصدر نفسه، ص1ـ4.

الشخص نفسه ومستوى إدراكه، وكلّما ارتفعت درجة المعرفة ظهرت معرفة النفس بشكل أفضل، ومعرفة الحقّ التي هي أصل الدين متلازمة ومعرفة النفس، فقد قال النبيّ (ص): «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، وقال أمير المؤمنين (ع): «من سأل فوق قدره استحقّ الحرمان» وتقول:

إنّ ما نراه اليوم (اعتقادًا منها أنّ عصرها أسوأ العصور)، من فساد أخلاقيّ، وعبادة للشهوات، والتهتك، والسرقة والرشوة، والكذب، والنفاق، والخيانة، ومئات الرذائل الأخرى الشائعة بين الناس، ناجم كلّه عن عدم الإيمان بالمبدإ والمعاد؛ فالإيمان عامل قويّ، وشرط باطنيّ، يمنع الإنسان من القيام بما ينافي التقوى والعفّة. فمن لا إيمان له لا ينتظر منه الخير أبدًا، ولن تكون السعادة من نصيبه؛ لأنّ نفس الإنسان كالحصان الجموح، إن ترك على حاله، سيقضي على نفسه وعلى فارسه. إنّ العقل البشريّ من دون مصباح الإيمان لن يعرف طريق سعادته[1].

توجّه بعد ذلك خطابها إلى السيّدات بقولها: «أيّتها الأخوات العزيزات، إن كنتنّ تردن الحياة السعيدة والتوفيق والطمأنينة، والاستمتاع بنعم الله وبالحياة، فعليكنّ أن تنقّين قلوبكنّ وسرائركنّ من أدران الخُلُق السيّئ، والصفات الدنيّة، وألّا تسمحن للحسد، والطمع، والخيلاء، والغرور، والبخل، والضغينة، والأماني الجوفاء الباطلة، والتوقّعات السخيفة أن تداخلكنّ؛ حفاظًا على فطرتكنّ الأولى، أي فطرة التوحيد نقيّة صافية، فطرة التوحيد هذه التي أشارت إليها الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة»[2].

بعد ذلك تشرح لهنّ: ما هو الإسلام، وما هو الإيمان بالمبدإ والمعاد[3]،

(1) المصدر نفسه ص50.

(2) المصدر نفسه، ص6.

(3) هنا الكلام تبسيط واختصار لما جاء في كتابها المسمّى: معاد يا آخرين سير بشر.

وكيف يكتسب الإنسان المعرفة: تعرّف لهنّ أركان الدين، وأركان الإيمان[1]، وتتحدّث عن ضرورة التفكّر والبحث عن أجوبة الأسئلة المطروحة باستمرار: نحن من أين أتينا؟ ولماذا؟ وما هي مهمّتنا في هذه الحياة؟ وإلى أين سنذهب؟ وهل يوجد بعد هذا العالم عالم آخر؟ وإذا كان ذلك العالم موجودًا ما هي الوسائل التي يجب أن نستعين بها، والزاد الذي يجب أن نحضّره ونحمله معنا في سفرنا إلى ذلك العالم؟ وهل توجد لذّات فوق مستوى اللذّات الماديّة؟ وتنتقل بعد ذلك إلى الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بكيفيّة حصول المعرفة بالمبدإ، ومقدار حصول الإيمان، وإثبات الصانع بالدليل العقلي، وأنّ وجود العالم دليل على وحدانيّة الله إله العالم[2].

توجّه خطابها إلى معاصراتها فتقول: «خطرت لي فكرة أريد أن أعرضها على القرّاء الكرام، وهي أنّنا نعرف في حال فسد عضو من أعضاء بدن الإنسان، ولم يعالج كما ينبغي، فإنّ الضرر سيصل إلى سائر الأعضاء، لارتباط أجزاء البدن بعضها ببعض، وسيفقد جسم الإنسان اعتداله وصحّته واستقامته. كذلك إذا فسد أفراد في المجتمع، أي أنّهم لم يقوموا أو قصّروا بالواجبات الملقاة على عواتقهم، أو ارتكبوا أعمالًا قبيحة، غير مشروعة، فإنّ نتائج أعمالهم تؤثّر في المحيطين بهم، ومن هؤلاء في ذوي قرباهم، وعلى هذا النحو فإنّ عملًا صغيرًا يمكن أن يُفسد الأمّة والمجتمع، والخطأ المرتكب سرًّا يبقى أقلّ ضررًا من المرتكب في العلن؛ لأنّ الخطأ العلنيّ مهما صغر بنظر فاعله، فإنّ فاعله يكون مرتكبًا لخطيئة كبيرة. وأنت أيّتها السيّدة التي تدّعين أنّك مسلمة، وفي الوقت عينه تخلعين الحجاب، وتتجوّلين في الشوارع حاسرة الرأس، كاشفة عن ذراعيك وصدرك، معتقدة أنّ هذا أمر حقير، لا ضرر منه، أتعلمين أيّ ضربة توجّهينها إلى الشريعة؟»[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص7ـ8.

(2) المصدر نفسه، ص11ـ21.

(3) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، ص22.

هذا الكلام الذي توجّهه السيّدة إلى السافرات وإلى قرّائها بشكل عام، لا يظهر موقفها الدينيّ فحسب، وإنّما موقفها السياسيّ أيضًا، فقد ذكرنا أنّ الصراع كان صراعًا بين الذين يريدون المحافظة على هويّة إيران الإسلاميّة، وبين الذين يريدون أن ينزعوا عنها هذه الهويّة، والحجاب مظهر من مظاهر تلك الهويّة، هذا هو الأمر بكلّ بساطة.

تتابع كلامها بالقول: «أيّتها السيّدة الأوروبيّة السلوك، المتحضّرة، لا تظنّي هذا الخطأ صغير، واعلمي أنّ تمزيق الحجاب، إنّما هو تمزيق لأوراق القرآن، إذا كنت مسلمة فليس هذا هو طريق المسلمة، وإن كنت ملحدة فاعلني ذلك كي لا يبعث عملك هذا الجرأة لدى الأخريات. إن كنت لا تحبّين الشريعة الإسلاميّة، فلماذا المعاداة؟ إنّ نبيّ الإسلام لم يسئ إلى المرأة، ففي الوقت الذي لم يكن فيه للمرأة أيّ قيمة في أيّ من المجتمعات (المعاصرة له)، أعطى المرأة حقوقًا، ووضع النساء في مصاف الرجال في جميع الشؤون الاجتماعيّة، وعملك هذا معاداة للقرآن ولصاحب الشريعة، أنصحك بمخافة الله وبالخجل من النبيّ، ولا تُشهري سيف المعاداة لأسس الإسلام»[1].

كلامها هنا ردّ على المقالات التي كانت تكتبها نساء، أو أقوال يصرّحن بها، وفيها الكثير من الحقد والكراهية والإساءة إلى الإسلام، وإلى شخص النبيّ (ص).

لذلك بعد أن تعود إلى الكلام على أركان الدين وتقدّم أدلّة أخرى على وحدانيّة الله، وتتكلّم على الممكن والواجب، وعلى معرفة الله بأوصاف جماله وجلاله، وعلى صفاته الثبوتيّة التسع، وعلى أقسام التوحيد الأربعة، وعلى التوحيد في مقام الأفعال، والتوحيد في مقام العبادة، تقول إنّ الركن الثاني من أركان الدين بعد الركن الأوّل الذي هو التوحيد، هو

(1) المصدر نفسه، ص22ـ23.

النبوّة، وتتكلّم على الصفات التي يتميّز بها النبيّ من سائر البشر، وتذكر عدد الأنبياء الآخرين، وتتحدّث عن عصمة الأنبياء ومعجزاتهم، ثم تعرّف نبيّنا (ص)، وتقدّم الأدلّة على نبوّته، وعلى إعجاز القرآن، ثمّ تقدّم الأدلّة على أنّ الإسلام هو نظام إلهيّ[1]، وهنا على كلّ إنسان أن يعرف أنّ له جانبًا روحانيًّا وجانبًا جسديًّا وطبيعيًّا وعليه واجبات تجاه كلّ منهما، ما لم يراعها جيّدًا لن يصل إلى السعادة.

وتقول لهن: البشر يحتاجون إلى قانون عادل يحكم بينهم، والمشرّع يجب أن يكون عالمًا بطبائع الناس، وأن يكون منزّهًا عن الخضوع لمقتضيات طبيعته وتقلّب أحواله: ولا يمكن أن يكون المشرّع إلا الله (جلّ وعلا)[2].

الردّ على الذين يهاجمون نبيّ الإسلام وتقول:[3] إنّ مهمّة الأنبياء أن يطبّقوا القوانين الإلهيّة بحسب مقتضيات زمانهم، ولما كان الإسلام هو الدين الذي يجب أن يُطبّق إلى يوم القيامة، فإنّ أحكامه وقوانينه محكمة ومتينة. ومن يريد أن يعيش حياة سعيدة مطمئنّة، ومن يطلب الطمأنينة الروحيّة والراحة الجسديّة، يجب عليه أن يطبّق أحكام الإسلام؛ لأنّ الشرع هو معيار تشخيص الحدّ الوسط بين أعمالنا وأفعالنا، حتى وإن كان العقل البشريّ قادرًا على تشخيص مقدار الخير والشر، إلا أنّه لا يمكنه وزن النتائج الجزئيّة لأعماله وأفعاله بميزان العدل، يجب أن يكون ثمّة ميزان عدل توزن به الأعمال والأفعال، وهذا الميزان هو الإسلام.

تقول لمعاصرتها: «تدبّري قليلًا في الفقه الإسلاميّ ترَي أنّ كلّ أمر

(1) المصدر نفسه، ص24ـ47.

(2) المصدر نفسه، ص48.

(3) المصدر نفسه.

من الأمور الأخلاقيّة والعلميّة، والاقتصاديّة والاجتماعيّة، مقرّرة له أحكام ووظائف موزونة بميزان العدل، وفي كلّ حكم أسرار ورموز.

ما يتعلّق بالأحكام الروحيّة كالمعارف والعقائد وتهذيب الأخلاق، لم يترك صغيرة ولا كبيرة. أمّا في ما يتعلّق بمعرفة الله، فقد صوّرت بأحسن صورة يمكن أن يستوعبها العقل البشري، وذكرت صفات الله وأسماءه، ووحدانيّته، وطريقة تحصيل المعرفة، وكيفيّة السير والسلوك، وما يتعلّق بالمعاد، وأنّ ثمّة عالمًا بعد هذا العالم، محجوبًا عنّا، ووراء الحجاب باب وأسرار، وأنّ البشر يموتون وتتحلّل أجزاء أبدانهم وتفنى، وأنّ الله لم يخلقنا للفناء، وفرض علينا أعمالًا وواجبات، تؤمن لنا السعادة في النشأة الأخرى.

كما بيّن لنا كيفيّة تحصيل الأخلاق الحسنة وطريقة الحصول على السعادة، واكتساب الفضائل والترقي والتعالي. وبيّن لنا في ما يتعلق بالحقوق: الواجبات المترتبة على الحياة الزوجيّة، وتربية الأولاد، وحقوق الوالدين على الأولاد، وحقوق الأولاد على الأب والأمّ، وحقوق الأخ على الأخ، وحقوق الجار على الجار، والحقوق الوطنيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، والحقوق العائليّة، وحقوق الفقراء على الأغنياء، وحقوق الأغنياء على الفقراء، وحقوق السلطان على الرعيّة، وحقوق الرعيّة على السلطان، وحقوق الخادم على المخدوم، وحقوق المخدوم على الخادم، وقرّر لكلّ منها أحكامًا، إن روعيت كلّها لا يضيع حقّ أحد[1].

وبالنسبة إلى الحياة الزوجيّة فقد وضعت قوانين إن روعيت، لن تتعرّض الأجيال لأيّ خلل أو نقص، والأولاد الذين يولدون ويربّون تحت لواء الشريعة الإسلاميّة سيكونون أصحّاء المزاج وكاملي العقل.

---

(1) المصدر نفسه، ص49.

كما قدّم أحكامًا لحفظ الصحة واعتدال القوى البدنيّة، ومراعاتها وتطبيقها يؤمنان للإنسان حياة سليمة.

كذلك وضع للمجتمع أحكامًا وقوانين لتنظيم الأمور السياسيّة، والماليّة، والاقتصاديّة، وقانون الجزاء وإقامة الحدود وغير ذلك من الأمور المدنيّة، إن نظم المجتمع على أساس تلك الأحكام والقوانين، لا تنشأ فيه نزاعات وخصومات، وإن أنجز كلّ فرد ما عليه من واجبات، يعيش الناس في مهد الأمن والأمان، ويصلحون دنياهم وآخرتهم، وتكون السعادة والطمأنينة من نصيبهم، إنّ هذه هي وظيفة الأنبياء، أن يعرّفوا إلى الناس الحقّ والحقيقة ويعرّفونهم وظيفة العبوديّة.

إنّ نبيّ الإسلام وضع لكلّ عضو من أعضاء الإنسان عبادة معيّنة، ويتكرّر في القرآن المجيد الأمر بالتدبّر والتفكّر والعمل الصالح، للوصول إلى درجة الإنسانيّة. وأمر بالصلاة.

تتحدث بعد ذلك بالتفصيل عن الصلاة ومستلزماتها وما يترتب عليها، بالنسبة إلى الإنسان.

ثمّ تشرح ما فعله الإسلام والنبيّ (ص)، وكيف رفع العرب مما كانوا عليه في جاهليّتهم، وأوصلهم إلى ما وصلوا إليه، فدانت لهم الشعوب.

تورد بعد ذلك كلام المفكّر الأوروبيّ كارليل عن النبي الأكرم (ص)، ردًّا على أولئك الذين يطعنون عليه في وسائل الإعلام (المكتوبة في عصرها)[1].

تنتقل بعد ذلك إلى الكلام على الحقوق الزوجيّة، وحقّ كلّ من الزوجين على الآخر[2]، وحين تصل إلى ما يتعلّق بتعدّد الزوجات، تشدّد

(1) المصدر نفسه، ص48ـ57.

(2) المصدر نفسه، ص58ـ60.

على موضوع العدل[1]، وأنّ الرجل والمرأة متساويان في الحقوق ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]، وكما إنّ من واجب الزوجة أن تعامل زوجها بالحسنى وتؤدّي إليه حقوقه، كذلك على الزوج أن يعامل زوجته بالحسنى، ويؤدّي إليها حقوقها، ويعاملها معاملة حسنة، ولا يحقّ للرجل بأيّ وجه من الوجوه أن يطلب إلى المرأة أن تخدمه، حتى طفلها إن أرادت ألّا ترضعه، يجب أن يُحضر لها مرضعة، وعلى الزوج أن يقدّم للمرأة كلّ ما تحتاج إليه بحسب إمكاناته من دون أن يحمّلها منّة.

والخلاصة أنّ الرجل والمرأة، إن قام كلّ منهما بواجباته، وعمل بما تفرضه عليه أحكام الإسلام، فستنتظم حينئذ أمور البشر الاجتماعيّة جيّدًا؛ لأنّ الوطن مؤلّف من العائلات وكلّ عائلة مؤلّفة من ركنين، الرجل مسؤول عن الشؤون الخارجيّة، كالكسب والعمل والتجارة والزراعة، وتولّي أمور المعاش، ومهمّة المرأة الأساسيّة تربية الأولاد، وتنظيم أمور المنزل والأمور الداخليّة.

إنّ مسؤوليّة الأمّ في تربية الأولاد والأسس الأخلاقيّة للطفل أكبر من مسؤوليّة الأب؛ إنّ حضن الأم هو الذي يحدد كيف ستكون أخلاق الأولاد في ما بعد.

إنّ الزوجة والزوج إن كانا صالحين، ويعلمان واجباتهما يقينًا، فإنّ أولادهما، سينشأون تنشئة صالحة، وستكون فطرتهم سليمة، وسيرتهم حسنة. هذا هو الزواج.

أمّا مسؤولية الأب والأمّ تجاه الأولاد، فالمعروف أنّ الحكمة من الزواج، وكلّ تلك الأحكام والمسؤوليّات التي أقرّها الشارع المقدّس في

(1) المصدر نفسه، ص61ـ62.

(2) سورة البقرة: الآية 288.

أمر الزواج، إنّما هدفُها الأساسيّ الأولاد، لتكون أجيال البشر سليمة ولائقة بالكمال والسمو والرفعة والارتقاء المعنوي، من خلال التربية الحسنة.

فمنذ انعقاد النطفة إلى أن يبلغ الأولاد أشدّهم، فرض الشارع المقدّس لكلّ زمان أحكامًا وحقوقًا للأولاد، ولما كانت الحالة الروحيّة والجسدية لكلّ من الأب والأم في حين انعقاد النطفة تؤثر تأثيرًا شديدًا في أرواح الأولاد وفي أجسامهم، فرض الشارع سلسلة من الأحكام وأمر بمراعاتها، منذ انعقاد النطفة إلى حين وضع ذات الحمل حملها[1].

تتأكد حرمة اجتناب الأطعمة المحرمة أكثر بالنسبة إلى المرأة الحامل، وينبغي ألّا تكون مضطربة وقلقة وعصبيّة، وألّا تراودها الأفكار والأخيلة الفاسدة، ويجب أن يهتم المحيطون بها بأن تكون طيلة مدّة الحمل سعيدة مطمئنة، وألّا تتعرّض للكدّ والهمّ، وألّا يكسر قلبها، وأن تنظر إلى المناظر الطبيعيّة، وتكون محاطة بمن تحبّ، وفي الأحاديث كلام على ما يجب أن تأكله وما يجب أن تمتنع عن أكله، مما يؤثّر في صحّة الجنين وجماله وفضائله الأخلاقيّة، والأكثر تأثيرًا هو الطعام الحلال، وبعد ولادة الطفل يجب أن يختار الأهل له الاسم الجميل، وأن يتغذى بحليب الأم؛ لأنّ حليب الأم ملائم لطبع الطفل، وإن كان ثمّة مانع، يجب أن يتم اختيار مرضعة له عاقلة فهيمة، من عائلة نجيبة محترمة، صحيحة الجسم، خالية من الأمراض المعدية، لا تأكل طعامًا محرمًا ولا نجسًا؛ لأنّ حليب الرضاعة يؤثّر في الطفل جسديًّا وروحيًّا، وبعد انتهاء أيّام الرضاعة يجب أن يهتم الأبوان بتعليم الطفل وتربيته؛ لأنّ ذهن الطفل في البداية يكون مثل الورقة البيضاء، ليس عليها أيّ صورة، وقابلة لما يُرسم عليها[2].

---

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، ص63ـ64.

(2) المصدر نفسه، ص65ـ66.

أجزم أنّه أوّل حديث وخطاب يوجه إلى النساء في تاريخ الفقه الإسلامي، وما من شكّ في أنّ العلماء الإيرانيّين الذين تكلموا من بعدها على حقوق المرأة قد تأثروا بما كتبته في هذا

تعود وتخاطب النساء قائلة لهنّ: «أيّتها النساء أنتنّ مسؤولات عن أمر عظيم، فما من شكّ في أنّ الدروس الأولى والمدرسة الأولى التي تربي البشر هي أحضان الأمهات، إنّ الطفل حين يولد يكون لوح وجوده خاليًا، فتأتي تربية أمه، وما تلقّنه له ينفذ في صدره كالنقش في الحجر، ويعدّه لأن يكون شقيًّا أو سعيدًا، فإن لم تسمح الأم منذ البداية للطفل بأن يقوم بقبيح الأفعال، وأن يكون قبيح الكلام، خليع التصرّفات، كاذبًا، سارقًا وغير ذلك، لن يكون حين يكبر فاسد الأخلاق.

أيّتها السيّدات، يجب أن تعلمن أنّكنّ إن لم تعوّدن أطفالكن منذ الطفولة الأخلاقَ الحسنة، والعادات الجيدة، فإنّهم سيرتكبون أخطاء كبيرة في ما بعد؛ لأنّ تربية الأم تؤثر في الطفل على نحو إعجازيّ، والرجل الذي يصل إلى قمّة الفضيلة والشرف، فذلك بتأثير تعليمه وتربيته الأولى، وغياب التربية الحسنة يؤدّي به إلى ارتكاب الخطايا في كبره، وظلامته حينئذ على عاتق أمه؛ لأنّها لم تحل منذ البداية بينه وبين الخطإ، ولأنّ الطفل كما ذكرنا صفحة بيضاء، فالأكثر تأثيرًا في تربيته هو المحيط العائلي، أي الأم والأب وأهل المنزل، لذلك يجب أن يتمتّع هؤلاء جميعًا بالفضائل الأخلاقيّة والإيمان والتقوى، لتنعكس أعمالهم وفضائلهم في قلب الطفل. إذ أول وسيلة لتربية الطفل أفعال الأم والأب وطريقة تصرّفهما.

وعلى الوالدين أن يعلّما الطفل منذ صغره أصول العقائد وكلمات التوحيد والأحكام الشرعيّة، وإن لوحظ في سلوكه سوء يجب أن يُردع بجديّة، كي لا تترسخ العادات القبيحة فيه، وتصبح ملكة من ملكاته النفسيّة. ويجب أن يعلّم الطفل أنّ الشرف بالعقل، والفضيلة بالأخلاق الحسنة والتقوى والإيمان، وليس بالمال والجاه، وأن يمدح ويوصف بأنّه من الأطفال ذوي التربية الحسنة، ويجب أن يطروه إن قام بعمل حسن، وينبّهوه

الكتاب وفي غيره.

إن ارتكب خطأ، لكن يجب أن يتنبهوا جيّدًا أن لا يكون التنبيه متضمّنًا ما فيه تحقير له، وأن يعلّموه الاقتناع بأقلّ ما يمكن من الطعام، حتى وإن كان خبزًا فقط، وأن يجرّب البرد والحرّ، وهذا اختصار لما يجب أن تكون عليه تربية الأطفال.

وحين يصبح في سنّ التعلّم يجب أن يُحسنوا اختيار المدرسة التي يرسلونه إليها، ونوعيّة المعلّمين والمسؤولين عن المدرسة، وزملاء الدراسة، إلى آخره.

تعود لتنبّه الأهل هنا، من خلال الأمّهات فتقول: «إنّ الآباء والأمّهات يحبّون أن يتلقى أبناؤهم أفضل تربية، كي يكونوا عدّة لهم في شيخوختهم وعجزهم، وأن يحترموهم وغير ذلك. يجب أن يعلموا أنّ رعاية الأب والأم واحترامهما ورعايتهما في شيخوختهما واجب دينيّ أمرت به الشريعة الإسلاميّة، وقد قرن القرآن المجيد الإحسان إلى الأبوين بعبادته وحده، فإذا كنتم تريدون أن يحترمكم أولادكم ويراعوكم في شيخوختكم، فربّوهم تربية إسلاميّة، إنّ الشارع المقدّس قال: «إنّ الجنّة تحت أقدام الأمهات». تورد بعد ذلك الآيات القرآنيّة التي تأمر بأداء حقّ الوالدين، وتترجمها بلغة مبسّطة وتشرحها، ثمّ تتحدّث عن أهميّة ما تقدّمه المدارس الحديثة من علوم متنوّعة، تقول بعد ذلك إنّ الطفل يجب أن يُربّى بحيث يتلقّى العلوم الطبيعيّة، والعلوم المتقدّمة، وفي الوقت عينه يجب أن يربّى على الإيمان والتقوى، والأخلاق الحسنة، ليحيا في الدينا حياة سعيدة مطمئنّة، وليحرز في الآخرة مقامًا رفيعًا[1].

تعود إلى التنبيه إلى ما يقوله المغرضون في عصرها، من أنّ التديّن مناف للحضارة والتحضّر والتطوّر والرقي الماديّ والعلوم الحديثة، علمًا أنّ قسمًا مهمًّا من التعاليم والأحكام الإسلاميّة متعلّق بتنظيم الأمور

(1) المصدر نفسه، ص69ـ71.

الاجتماعيّة وتحصيل العلوم، وتشير إلى الآيات التي أمر الله فيها عباده مرارًا وتكرارًا بالتفكّر والتدبّر في خلق السماوات والأرض، وجميع الأمور الماديّة والطبيعيّة، وأوصى باكتساب العلم والمعرفة، ورفع من مقام العلماء وقال ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، ولا شك في أن ما يقصده الأنبياء هو معرفة طريق الحقّ والعبوديّة والوصول إلى قرب الله، لكن حيث إنّ الحياة الدنيا وتحصيل المعاش مقدّمة السعادة الأخرويّة والكمالات الروحيّة، والإنسان في الحياة محتاج إلى التمدّن والتحضّر، فإنّ قسمًا مهمًّا من الأحكام الإسلاميّة متعلّق بتنظيم الأمور الطبيعيّة الدنيويّة. وتؤكّد أنّ البلاد في هذه المرحلة من التاريخ، التي يشهد فيها العالم تقدّمًا علميًّا، تحتاج، للمحافظة على استقلالها وحضارتها الإسلاميّة، وتلبية احتياجاتها الاجتماعيّة، إلى أفراد منها ينهضون ليتعلّموا العلوم الحديثة ويلبّوا حاجات الناس والمجتمع[2].

تنتقل بعد ذلك إلى ذكر واجبات المرأة في المجتمع الإسلاميّ؛ تركّز في هذا الموضوع على مسألتين: مسؤوليّة المرأة في ما يتعلّق بالأمور الاجتماعيّة، وواجباتها في ما يتعلّق بالحجاب والتستّر.

بعد أن تذكر أنّ المرأة والرجل شريكان في الإنسانيّة، تؤكّد أنّهما مختلفان مزاجًا وطباعًا ومشاعر وقوّة بدنيّة، ولكلّ منهما وظيفته ومسؤوليّته، كما إنّ لكلّ إنسان في هذه الدنيا مهمّة مختلفة عن مهمّة الآخر.

ثمّ تتحدّث عن اضطهاد المرأة قبل الإسلام والنظرة الدونيّة إليها، ومعاملتها كأنّها شيء مملوك، إلى أن بزغ نور الإسلام فمنحها حقوقًا لم تكن تحلم بها، كحقّها في التصرّف بأموالها بحريّة، وكذلك في البيع والشراء والإيجار والاستثمار والوكالة والوصاية وغيرها، ولمّا كانت

---

(1) سورة الزمر: الآية 9.

(2) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، ص71ـ72.

تتحمّل أعباء الحمل، والوضع، والرضاعة، وحضانة الأطفال، والإشراف على شؤون المنزل، أعفتها الشريعة من مهمّة الإنفاق، وفرضت على الرجل أن يتحمّل مشقّة الكسب والعمل والإنفاق على الزوجة وعلى الأسرة.

وبعد أن تعرض آراء المعاصرين لها الحداثيّين الذين يريدون أن تعمل المرأة كالرجل خارج المنزل، حتى في الأعمال التي لا تناسب طبيعتها وظروفها؛ تعلّق بقولها: «إنّهم يصفون المرأة بأنّها ضعيفة البنية (وهي كذلك في الأغلب الأعمّ)، ومع ذلك يريدون أن يحمّلوها مسؤوليّة الأمور الخارجيّة والداخليّة: أي منصف يجيز أن تحمل المرأة في بطنها حملًا، وعلى ظهرها حملًا، والرجل الأقوى بنية يتحمّل جزءًا من الشؤون الخارجيّة وهي تحمل القسم الداخليّ والخارجيّ معًا؟»[1].

موقع المرأة في المجتمع، إن اختلفت وظائف الرجال والنساء، لا يعني ذلك أنّ أهميّة الرجل تفوق أهميّة المرأة، كلّ منهما مسؤول عن قسم من الأمور الاجتماعيّة، وجد لأجله. ولما كان الاثنان مختلفين في تكوينهما المادي والمعنوي الطبيعي، فهما مختلفان في العمل، والوظيفة أيضًا، وإلّا فإنّ أيًّا منهما لن يؤدّي ما عليه كما يجب، وستختلّ أمور العالم.

ثم تخاطب المرأة بقولها: إذا كنت تريدين أن تفهمي طبيعة العمل الموكل لكلّ من المرأة والرجل، انظري إلى البنات والصبيان الأشقاء الذين تربّوا في منزل واحد، سترين، على الرغم من أن نمط تربيتهم كان واحدًا، أنّ طريقة لعب البنات تختلف عن طريقة لعب الصبيان، يمكنك حينئذ أن تفهمي أنّ مربي العالم خلق كلًّا من الرجل والمرأة ليؤدّي مهمّة في الحياة؛ بل إنّ كلّ فرد من الأفراد، بمقتضى ميوله وطبيعته يتولى قسمًا من الأمور الاجتماعيّة.

---

(1) المصدر نفسه، ص72ـ75.

إن أرادت المرأة أن تشارك في الأعمال الخاصّة بالرجل ستقصّر في عملها الخاصّ الذي هو قسم مهمّ من حياة البشر. ونحن نرى أنّ الكثيرات ممن يعملن اليوم معلّمات أو يعملن على الآلة الطابعة في المصارف والإدارات أو في التمريض وغير ذلك[1]، يجب عليهنّ إمّا ألّا يتزوجن، وإمّا أن يتخلّين عن العمل، وإن أردن الجمع بين الاثنين، فإنهنّ سيقصّرن بأحدهما.

إنّ وظيفة المرأة أن تكون أمًّا وربّة منزل، وعدم مشاركتها في الأمور السياسيّة والاجتماعيّة، ليس نتيجة نقص لديها أو دونيّة أو حقارة، وإنّما هو أمر ضروري لبقاء النوع، ورعاية حال البشر والأمور الاجتماعيّة، وعكس ذلك، هو عكس قانون التمدّن، وموجب اختلال نظام المجتمع، وإذا كان الرجل يتفوّق على المرأة في الكثير من الصفات والنشاط، فإنّ للمرأة ميزات تتفوّق بها على الرجل: قلبها الحساس المفعم بالعاطفة، وصبرها وقدرتها على التحمل، وتضحيتها، وإيثارها، وإنسانيّتها، ورقّة قلبها، وقد خلق مدبّر الكون المرأة بحيث تقدر على تحمّل مشقّة الحمل، والولادة، والإرضاع، وتربية الأطفال منذ ولادتهم إلى حين يفاعتهم وأكثر، فضلًا عن أنّنا نرى أنّ من الممكن أن تشارك في الأعمال المخصّصة للرجال، كما هو الحال في البلاد الأجنبيّة، حيث تعمل النساء في بعض الأمور السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وفي بلدنا تعمل النساء في القرى والأرياف مع الرجال في الزراعة، وفي المدن الكثيرات من النساء اللواتي فقدن المعيل يتولين إعالة أطفال عدّة، فضلًا عن رعايتهنّ. لكن مستحيل أن ينجب الرجل، وأن يُرضع؛ بل لا يمكنه أن يهتم بالأطفال حديثي الولادة.

من هنا يتبيّن لنا أنّ القسم المهمّ من حياة البشر في عهدة المرأة، إذًا

(1) هذه هي الأعمال التي كانت تقوم بها نساء المدن العاملات في ذلك الحين.

كيف يمكن أن تُعدّ المرأة ضعيفة وعاجزة، فالقدرة ليست بضخامة الجثّة وقوّة الساعد، المقدرة هي في قيمة العمل المنجز.

تخاطب المرأة وتقول لها: لا تخجلي من كونك ربّة منزل، ولا تغترّي بما يقوله المغرضون، ابذلي جهدك في تربية أبنائك ليكونوا من نوابغ العالم[1]. وهنا تنبّه النساء، وتقول لهنّ: «من الخطإ الظنّ أنّني أقول إنّ المرأة معفية كليًّا من العمل والكسب، وأن تجعل الكسل والخمول شعارًا لها، إنّ جميع أفراد البشر؛ بل جميع الموجودات يجب أن يعملوا؛ ما أقصده أنّ عمل المرأة الأوّل، وواجبها أن تولي الأهميّة القصوى لوظيفتها الداخليّة لتنشئ جيلًا صالحاً مسؤولًا، وفي الدرجة الثانية الأعمال الأخرى التي لا تتعارض ومقام عفّتها وسترها». وبعد أن تبيّن الفرق بين ظروف نساء القرى وظروف نساء المدن، تتحدّث عن مسؤوليّة المرأة تجاه الأجانب، فتقول: «إنّ ما هو معلوم أنّ موضوع الحجاب لم يُطرح بعد عصر صدر الإسلام، وجرت العادة أن تتستر النساء المسلمات أمام الأجانب، ومن لا تفعل ذلك كانت تُعدّ فاسقة.

ثم تقول: في عصرنا هذا، أراد بعض دعاة التحرّر أن يخلّصوا المرأة من قيد الحجاب، وأن تكون موازية للرجل في العمل والنشاط، وباسم الحريّة والتمدّن والشفقة على النساء مزّقوا لهنّ حجابهنّ، وها نحن نرى في هذه المرحلة إلى أيّ حدّ شاع الفساد الأخلاقيّ في المجتمع، (والظاهر للعيان لا يحتاج إلى البيان)، وأخيرًا أُلّفت الكتب المتعلّقة بموضوع الحجاب، وقدّمت الأدلّة والبراهين المنطقيّة والعقليّة والبراهين النقليّة من الكتاب والسنّة».

ثمّ توجّه كلامها إلى السيّدات قائلة لهنّ: «أيّتها الأخوات، أنتنّ تعلمن أنّني من جنس النساء، ولست معادية لجنسي، وأعلم طبيعة المرأة أفضل من

---

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، ص77ـ80.

معرفة الرجال بها، وغايتي سعادتكنّ وراحتكنّ وحرّيتكنّ، وخلع الحجاب حتى وإن كان في الظاهر يبدو وكأنه ملائم لطبيعة المرأة التي تميل إلى حبّ الظهور، وحتمًا إن هي خرجت متحرّرة من العباءة والحجاب في الطرقات والشوارع، غير مقيّدة بهما، يمنحها ذلك راحة أكبر. لكن انظري إلى ما هو الأصلح لدينك ودنياك؟ إنّ الحجاب حكم شرعيّ والواجب متعب، إنّ بعض السيّدات والشابات يتصوّرن أنهنّ إن تحجّبن والتزمن بيوتهنّ، يكون ذلك دليل ضعف ونقص، لكن هذه الفكرة خطأ، إنّ عبادة الشهوات هي التي تجمّل المنكرات، فكّري قليلًا، وانظري بعين العقل إلى الأوضاع السائدة اليوم، وكوني منصفة، هل تناسب هذه الأوضاع التديّن والإيمان والتقوى؟ حتمًا النفس البشريّة ترغب في الطيش والتهتّك والأهـواء المختلفة، وعبادة الله غير عبادة النفس.

إن كنت مسلمة فمن واجب المسلم العمل بأحكام الإسلام وتعاليم النبيّ المرسل وخلفائه، هل هذا هو ما أمروا به؟ أو أنّ عقلك هو الذي سمح لك أن تعرضي نفسك بهذا الشكل المخجل، وتتجوّلي في الشوارع أمام الشباب العازبين وتحرّكي غرائزهم؟

أنت بهذا العمل تظلمين نفسك؛ لأنّك تخلّيت عن العفّة والحياء، وهما لدى العقلاء من محاسن المرأة، وعرّضت نفسك لغضب الله (عزّ وجلّ)، وظلمت الشبّان العازبين؛ إذ أثرت شهواتهم، وفي الحديث: «إنّ النظر إلى غير المحارم سهم مسموم من سهام الشيطان».

إن صانت المرأة نفسها، ولم تجعل منها هدفًا لسهام العيون غير البريئة لبعض الشبّان الطائشين، إلى أيّ حدّ تبقى محفوظة ومصانة من الآفات.

والأهمّ من كلّ ذلك أنّ السيّدة التي خلعت الحجاب قد أساءت إساءة

كبيرة إلى ناموس الإسلام»؛ لأنّ ما يميّز المسلمين اليوم من غير المسلمين إنّما هو الحجاب»[1].

نراها هنا تعلن أنّ الحجاب هويّة في أثناء الصراع، كما ذكرنا، بين الذين يريدون أن تبقى هويّة إيران إسلاميّة، والذين يريدون أن يتخلّوا نهائيًّا عن تلك الهويّة: هذا الموقف سياسيّ وإن لم يُصرّح به، وقد ذكرنا أن الرقابة حذفت حين طبع الكتاب ما يُشتمّ منه رائحة السياسة.

توجّه كلامها هنا إلى اللواتي يحسبن أنفسهنّ مسلمات متبعات للقرآن، وتقول: «أيّتها السيّدة الأوروبيّة النهج، ألم تسمعي بحديث الرسول القائل: «من تشبّه بقوم صار منهم»، ومن تشبّه بقوم في الحياة الدنيا حُشِر معهم يوم القيامة؟».

«إنّ اليوم هو يوم الحريّة وامتحان النساء، في هذه الأيام العصيبة «هي هنا تعني الأعـوام الخمسة الأخيرة من حكم رضا شاه، بحيث إنّ قضيّة الحجاب لم تعد مرتبطة بحريّة المرأة أو عدمها، وإنّما محاربة الحجاب ـوهو الدليل الظاهر على الإسلامـ كجزء من محاربة الإسلام كما أعلن رضا شاه جهارًا نهارًا».

لذلك توجّه خطابها إلى النساء في هذا المفصل التاريخيّ وتقول لهنّ: «إنّ كلّ امرأة تبقى في بيتها وتحافظ على ناموسها وعفّتها، تُعدّ من المجاهدين في سبيل الله؛ بل أعلى من ذلك، والنبيّ (ص) قال: «إنّ جهاد النفس أرفع درجة من جهاد الكفار»، وتعدّ من أنصار دين الله ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[2].

أمّا القول إنّنا لا نقبل إلا ما جاء في القرآن، فهو قول عاميّ غير منطقيّ؛

---

(1) المصدر نفسه، ص80ـ83.

(2) سورة محمد: الآية 7.

لأنّ فهم القرآن وفهم رموزه وأسراره هو من اختصاص النبيّ (ص) والأئمّة (ع) في الدرجة الأولى، والعلماء الذين اقتبسوا من نور ولايتهم في الدرجة الثانية، فلو كان باستطاعة كلّ أحد أن يستخرج الأحكام من القرآن، لما بقيت حاجة إلى الإمام (ع).

هذا الكلام يشبه كلام من يقول إنّني إن مرضت سأقرأ كتاب الطبّ وأطبّق ما فيه، ولا أعود بحاجة إلى الطبيب».

تخاطب من تقول ذلك: «يا أختي إنّ علماء الدين بذلوا سنوات طويلة من أعمارهم في دراسة العلوم الدينيّة، ليصلوا إلى درجة الاجتهاد، ويصدروا الأحكام ـ ومنها قضيّة الحجاب ـ من القرآن، والأخبار، والدليل العقليّ، وإجماع العلماء (يتبيّن هنا أنّها من الاجتهاديّين وليس من الأخباريّين).

يا أختي: يجب أن يعرف الإنسان حدوده ومكانته، ومن لا يفهم معاني ألفاظ القرآن (المخاطبات لا يعرفن العربيّة)، لا يحقّ له أن يقول إنّه يقبل كلّ ما في القرآن. والأغرب من كلّ ذلك قول البعض إنّ حكم الحجاب غير موجود في القرآن أصلًا، وهو لا يعرف أيّ شيء عن القرآن، هؤلاء لا يخدعون إلّا أنفسهم، وهم مخطئون أو أنّهم يتعمّدون التجاهل، ويريدون من هذا الكلام تعزيز رأيهم الضعيف. إذًا بناء على حكم العقل، هل يتوجّب على كلّ مسلم أن يُتعب نفسه ليصل إلى درجة الاجتهاد ويفهم الأحكام من خلال الأدلّة ويعمل بها؟ أم أنّ من الأيسر له أن يتبع شخصًا آخر عارفًا بالأحكام، كالمريض الذي يفرض عليه عقله أن يراجع الطبيب ويأخذ برأيه؟»[1].

ومن ثمّ تذكر لهنّ الآيات القرآنيّة التي تطرّقت إلى موضوع الحجاب،

(1) نصرت أمين، روش خوشبختى، ص83ـ85.

وتشرحها لهنّ بفارسيّة مبسّطة[1]، وتقول لهنّ إنّها لن تذكر آراء العلماء (وهي بالفارسيّة)؛ بل إنّها تترك للسيّدات أنفسهنّ الحريّة بأن يجمعنها ويرين ماذا يفهمن من مجموعها، وتعود وتؤكّد أنّ هذا الكتاب الذي تضعه بين أيدي القارئات بسيط جدًّا ومختصر، ومن دون عبارات منمّقة وبراهين فلسفيّة، لتستطيع النساء الاستفادة منه بسهولة[2].

تعود بعد ذلك وتردّ على مؤيدي السفور الذين يقولون إنّ الحجاب يمنع رقي المرأة وتقدّمها، ويحرمها أيّ كمال أو فضيلة، وفوق كلّ ذلك يحرمها كسب العلوم والصنائع، والتجارة والفلاحة، وكلّ ما يؤدّي إلى استقلالها وسعادتها، وتقول لهم: «إنّ أيّ عالم وذي عقل يعرف أنّ التعلّم والتعليم واكتساب العلوم لا يتنافى والحجاب بأيّ وجه من الوجوه، ولا علاقة للحجاب بالنموّ العقليّ والتقدّم العلميّ للمرأة، كما إنّ مدارس البنات منفصلة عن مدارس البنين، فضلًا عن أنّ المرأة يمكنها أن تتعلّم أيّ نوع من العلوم والصنائع في منزلها».

كما تردّ على الذين يقولون إنّ الهدف الأصليّ من الحجاب منع الزنا، والملاحظ أنّ الزنا يزداد بالحجاب، (لأنّ الإنسان حريص على ما مُنع)، وبرأيهم أنّ الإنسان يصبح أكثر رغبة بالأمور المحجوبة عنه، وكلّما ضاعفت المرأة مقدار ما ترتديه أصبح الرجل أكثر رغبة في رؤيتها. وفوق ذلك يقولون إنّ الحجاب ليس من الإسلام.

تردّ بقولها: «إنّ هذا الكلام شبيه بالقول إنّ من لديه جواهر نفيسة، يكون أكثر صونًا لها إن لم يخبّئها في صندوق وعرضها على الملإ؛ فإن لم يكن يوجد ما يحجبها، لا يميل أحد إليها، ولن تمتدّ إليها الأيدي؛ نعم هذا صحيح حين تنطفئ الغرائز والشهوات لدى الإنسان، ولا يعود مهتمًّا إلا

(1) المصدر نفسه، ص86ـ90.

(2) المصدر نفسه، ص85.

بحسن المنظر. ما من إنسان إلا ورأى في حياته مرّات عدّة الورود والرياحين والمناظر الجميلة، فهل إذا تكرّر نظره إليها، لا يعود ميّالًا لرؤيتها؟».

وردًّا على الذين كانوا يكتبون في الصُحف إنّ الحجاب يعود إلى زمن العباسيّين، بعد الاختلاط بالإيرانيّين، وعنهم أخذت عادة الحجاب؛ تقول: «من هو العاقل المنصف الذي يقبل أن يُصدر حكمًا في هذه القضيّة التي هي بحسب قول المجدّدين تفرض على النساء الحجاب والسجن الدائم، من دون أصل محسوم وقانون محكم، في حين أنّ المرأة بطبيعتها تميل إلى التزيّن والتمظهر؟ وهذا الأمر أصبح عامًّا يسري على جميع البلاد الإسلاميّة، وجميع الفرق المذهبيّة. ثمّ تقول: أنا لا أعلم ما هو موقف القائلين لهذا الكلام من الآيات الواردة الخاصّة بالحجاب والتي ذكرتُها، وكذلك الروايات المتعلّقة بالحجاب؟»[1].

تقول بعد ذلك: «إنّ موضوع الحجاب لم يُطرح في عصر صدر الإسلام، ولا بعده، ولكن هذه القضيّة حظيت بالأهميّة في هذه المرحلة المتأخّرة، بحيث إنّ البعض أنكر وجوب الحجاب جهلًا أو تجاهلًا.

توجّه كلامها بعد ذلك إلى المسلمين عامّة، المتمسّكين بالإسلام، أن يحولوا دون هذا الضياع والتفلّت في أنحاء البلاد الإسلاميّة.

ثمّ تخاطب الأهل، وتقول لهم إنّهم يجب أن يكونوا قدوة لأبنائهم بسلوكهم[2].

بعد ذلك تكشف السيّدة الوجه الحقيقيّ لكلام المتنوّرين الغربيّي المرام، بما يتناسب وتوجّهاتهم الحقيقيّة؛ تقول: «حسنًا، بدلًا من أن يقول السادة المجدّدون إنّ الحجاب ليس من الإسلام، فليقولوا إنّ الحجاب ليس

(1) المصدر نفسه، ص91ـ92.

(2) المصدر نفسه، ص92ـ94.

موجودًا في حضارة الغربيّين. إن قالوا ذلك، فستسرع الأوروبيّات النزعة إلى تطبيق ذلك عمليًّا، إنّه تقليد الأجانب الذي جعل الإيرانيّين المساكين، الذين لا حوْلَ لهم ولا طوْل، يسفّون التراب (ألا لعنة الله على هذا التقليد)».

على هذا النحو، تصدّت السيّدة للردّ على شبهات عصرها، وسعت إلى تنوير المجتمع النسائيّ من حولها، مستخدمة أبسط التعابير المباشرة النابعة من القلب، آخذة في الحسبان أنّ سعي الإنسان إلى السعادة أمرٌ فطريّ لديه.

توجّه بعد ذلك خطابها إلى الرجال وتوصيهم خيرًا بالنساء، وتطلب إليهم أن يقدّروا زوجاتهم ويحبّوهنّ ويحترموهنّ، ويضحّوا من أجلهنّ، فتقول: «إنّ المرأة ملاك معنويّ في بيتك، وسعادتك الدنيويّة مرهونة بها».

ثمّ تقول لهم (للرجال): «إنّ ما ترونه من تفلّت أخلاقيّ اليوم إنّما سببه الرجال السابقون، الذين كانوا ينظرون إلى نسائهنّ المحترمات نظرة تحقير، والفتاة البريئة التي كانوا يتخذونها زوجة، ولا يتوانون عن إلحاق الأذى بها، وإهانتها، تقضي نهارها في تدبير شؤون المنزل وتسهر الليل بطوله على الأطفال، والرجل لا يقدّر لها تضحياتها هذه، وثمّة رجال كانوا يعتقدون أنّ كونهم أزواجًا يسمح لهم بأن يوجّهوا إلى زوجاتهم كلّ أنواع الإهانات، وأن يؤذوها بمختلف الطرق، لعن الله هذه العادات التي جرّت علينا الشؤم، في الوقت الذي ندّعي فيه أنّنا مسلمون، ولا نعترف بحقوق الزوجيّة التي فرضها الإسلام»[1].

إنّ معاملة الرجال السيّئة لزوجاتهم، هي التي جرّأت النساء، (ودفعتهنّ إلى تحدّي الرجال وتحدّي المجتمع)، فلو أنّ الرجل أظهر احترامًا وتقديرًا لزوجته الحرّة العفيفة، وعاملها بودّ ورحمة ومحبّة، وأمّن

(1) المصدر نفسه، ص93ـ95.

لها ولعائلته أمور معاشهم، لما رغبت النساء بمقابلة الرجال الأجانب، ومصادقتهنّ، فمجالسة الزوج والأولاد بالنسبة إلى المرأة لذّة لا تعادلها أيّ لذّة أخرى.

ما الذي جرى لتلك العاطفة الكامنة في قلب الأم؟ وما الذي دفعها لأن تترك وليدها في أيدي الآخرين، وتذهب لتعمل في الإدارات أو المتاجر؟ إنّ العامل الأكبر لمثل هذه الفاجعة، كان تعدّي بعض الرجال على حقوق النساء، وعدم تنفيذهم ما أمرهم به الشرع.

الخلاصة، لو أنّ الرجل نظر نظرة إجلال وتقدير إلى زوجته المحترمة التقيّة، لفهمت النساء الأخريات أنّ شرف المرأة ومكانتها وفضلها رهن بعفّتها وتقواها وفضيلتها.

تعود وتوجّه كلامها إلى الأخوات في الدين والوطن، فتقول: «أختي في الدين وفي الوطن، لا تعتقدي أنّك إن خرجت من المنزل أنيقة سافرة على آخر طراز، ستنالين الشرف، وسينظر إليك الرجال نظرة تقدير واحترام، هؤلاء الذين ينادونك «خانم، خانم» (سيّدة)، هم أنفسهم توجّههم غرائزهم وشهوتهم ونظرتهم الشهوانيّة. ومن يستقبلك بوجهه البشوش، ويبدي لك احترامه، ينظر إليك في قرارة نفسه نظرة عدم احترام، وإذا كان لديه شيء من الغيرة، ما اتخذك ومثيلاتك زوجة وأمًّا لأولاده.

يا أختاه أنت مسلمة، وابنة رجل مسلم، والمقدسات الدينيّة محترمة لدى جميع الأمم، لا تعرّضي نفسك لسهام العيون النجسة لبعض الرجال السيّئين، عودي إلى بيتك وعائلتك، وانجزي وظيفتك الأساسيّة التي خلقك الله من أجلها، وأمّني سعادتك، وحاذري من أن تكوني من النساء اللواتي يكنّ سبب نزول البلاء بالناس.

أنت أيّتها السيّدة العفيفة الجليلة النبيلة، التي لا تقصدين سوءًا، ما هو الداعي لأن تنفقي أموالك وأموال زوجك على «الموضة» والكماليّات

المختلفة، وتضيّعين يوميًّا جزءًا كبيرًا من وقتك في التبرّج، كصاحب المتجر الذي يريد أن يعرض بضاعته على المشترين، تتزيّنين وتخرجين، وتجعلين نفسك فرجة للرجال وللنساء؟

أقول لك ما قاله سعدي: قصدي مما أقوله لك البلاغ، سواء اتعظت من كلامي أو انزعجت. انظري إلى قدوتنا البتول الطاهرة (ع)، وسيري على نهجها، إذا كنا ندّعي الإسلام والتشيّع يجب أن نسير على خطى الأئمّة والأولياء، وأن نعمل بهديهم لنكون أسعد الناس، في الدنيا والآخرة»[1].

وهنا تختم الموضوع الخاص بالحجاب، وتعود إلى الكلام على الركن الثالث من أركان الإسلام وهو المعاد[2].

تنتقل بعدها إلى الكلام على أصلي المذهب وهما العدل والإمامة:

ـ في كلامها على العدل الذي هو الأصل الأول من «أصول المذهب»، تردّ على بعض الاعتراضات التي يوجّهها عامة الناس إلى نظام الخلق من دون أن يدروا أنّهم يشكّكون بعدالة الله (عزّ وجلّ)، من هذه الاعتراضات:

1ـ لماذا خلق الله الناس مختلفين، عقلاء وسفهاء، سعيدي الحظ وسيئي الحظ، أغنياء وفقراء؟

2ـ لماذا خلق الله الشيطان، وسلّطه على البشر لإغوائهم؟

3ـ الله يعلم منذ الأزل أنّنا خطّاؤون، فما هو ذنبنا إن نحن أخطأنا؟

4ـ ما جدوى الدعاء والتضرّع وطلب الحاجات؟

---

(1) المصدر نفسه، ص97ـ98.

(2) المصدر نفسه، ص98ـ110، والكلام على المعاد هنا تبسيط واختصار شديد لما جاء في كتابها، الذي ألفته قبل هذا الكتاب بعنوان معاد يا آخرين سير بشر.

5ـ طالما أنّ كلّ شيء بيد الله (عزّ وجلّ)، فما هو ذنب الإنسان؟ وإن كان الأمر كذلك؛ لا المؤمن يستحقّ الثواب، ولا الكافر يستحقّ العقاب.

6ـ إذا كان في كلّ شيء حكمة ومصلحة، ما هي المصلحة في أن يوجد الكافر؟ أخلقه الله ليعذّبه عذابًا أبديًّا يوم القيامة؟ وهذا هو عين الظلم.

وغير ذلك من الاعتراضات الحمقاء ـكما تقولـ التي يوجّهها بعضهم.

بعد أن تجيب عن هذه الأسئلة[1]، تنتقل إلى الركن الثاني من أركان المذهب وهو الإمامة، تشرح معنى الإمامة، وتعرّف الإمامة العامّة[2]، ثم تنتقل لتتحدّث عن فضائل الإمام علي (ع)، اختصارًا لما جاء في حديثها عنه في كتابها «مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي»، تتحدّث باختصار للنساء (كأنّما هي دروس من تلك التي كانت تلقيها عليهنّ في درسها الأسبوعيّ) عن علمه وكرمه وشجاعته، وزهده وإعراضه عن الدنيا، مستشهدة بأقوال الخلفاء والصحابة وأقوال كبار علماء أهل السنّة، وتقول إنّ أعداءه وكتبتهم على الرغم من بغضهم وكرههم له، وتنقيبهم عن عيب يلصقونه به، لم يعثروا على خطإٍ ينسبونه إليه، وتستشهد بالآيات الدالّة على إمامة علي[3].

وفي حديثها عن طاعة أولي الأمر، تردّ على الذين يقولون إنّ المقصود بطاعة أولي الأمر طاعة الحكّام، بالقول: «ما من شك في أنّ المقصود طاعة الإمام الذي عيّنه الرسول خليفة له من بعده، ولا يمكن أن يكون الواجب

(1) المصدر نفسه، ص111ـ118.

(2) المصدر نفسه، 119ـ122.

(3) المصدر نفسه، ص122ـ127.

طاعة الحكّام والسلاطين، ومعلوم أنّ معظمهم ظالمون فسقة، فكيف تكون طاعتهم واجبة ولو كانوا عصاة؟»[1].

تعود إلى إيراد الآيات والأحاديث الدالّة على إمامة أمير المؤمنين[2]، فالكلام على الإمام الثاني عشر[3].

وتنتقل للحديث عن أسماء الأئمّة الاثني عشر، وتواريخ ولاداتهم ووفياتهم[4].

تتحدّث بعد ذلك عن أسس الأخلاق الحسنة في الواجبات والحقوق: ما هو واجب العبد تجاه ربّه؟ وما هو واجبه تجاه النبيّ والأئمّة؟ تحذّر المؤمنين من الغلوّ، وتطلب إليهم أن ينتبهوا ولا ينسبوا إلى النبيّ والأئمّة ما هو خاصّ بمقام الألوهيّة، وأن لا يطلبوا حاجتهم منهم، فقاضي الحاجات هو الله (عزّ وجلّ)، والحاجة لا تطلب إلا منه، والنذور والأضاحي لا تقدّم إلا إليه.

ترى أنّ بعض ممارسات العوام تفوح منها رائحة الشرك وهم لا يشعرون، ولأنّ الناس منغمسون في الماديّات، سنجد إن نحن أمعنّا النظر أنّ عباداتهم وزياراتهم هي أيضًا للمنافع الدنيويّة، فترى معظم الناس يذهبون إلى زيارة الإمام لحاجة يريدونها، هل الإمام هو الذي يلبّي الحاجة المطلوبة أم الله (عزّ وجلّ)؟ وتذكّر بالآية: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا ﴾[5]، والآية: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾[6]، وبعد أن تشرح

(1) المصدر نفسه، ص128.
(2) المصدر نفسه، ص129ـ138.
(3) المصدر نفسه، ص139 و163.
(4) المصدر نفسه، ص140ـ168.
(5) سورة يونس: الآية 49
(6) سورة الجن: الآية 21

الآيتين بفارسية مبسطة، تعود وتقول: إنّ السلام والصلوات والزيارة والدعاء أيضًا، وطلب الرحمة، يجب أن تكون موجهة إلى الله (عزّ وجلّ) وبأمره، في حين أنّ السائد على لسان العوام أنّ سيّد الشهداء يطيل عمرك، والإمام الرضا يقضي حاجتك، والعبّاس يشفي مرضاك، وأمثال هذه الأقوال التي ظاهرها شرك، وإذا قيل لهم إنّ هذا الكلام خطأ، ومناف للتوحيد، يقولون إنّ قصدهم أن يشفعوا لهم عند الله، والله (عزّ وجلّ) هو القائل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1]، لكن إذا كان المقصود من الشفاعة أنّ دعاءهم مستجاب، ونحن نطلب منهم أن يدعوا لنا فلا حرج، كما إنّ الدعاء في مقاماتهم ولا سيّما في الحائر الحسينيّ سريعًا ما يُقبل. ثمّ تشرح كلام الإمام أبي جعفر محمّد الباقر، ومفاده أنّ شيعة أهل البيت هم المتقون، الذين يتجنّبون المعاصي، ويعملون بالطاعات، الذين يخافون الله، ويطيعون أوامره ونواهيه، وأقرب الناس إلى الله هم الأكثر طاعة له، وقوله (ع): «والله نحن لسنا مقرّبين من الله إلا بطاعته وعبوديّته، ونحن لا ننجي من النار إلا من أنجاه الله».

وتقول: «يجب أن ننتبه إلى أنّ الذوات المقدّسة لمحمد وآله الطاهرين على الرغم من أنّهم أقرب الخلق إلى الحقّ تعالى، وهم أقطاب دائرة الوجود، والواسطة في الفيوضات وسرّ الكائنات، ويجب أن نحبّهم بقلوبنا وأرواحنا، ونطيع أوامرهم ونواهيهم، ونتبعهم؛ لأنّ عبادة الحقّ تعالى لا تكون من دون محبّتهم وولايتهم، لكن يجب أن ننتبه إلى أن لا نشرك تلك الذوات المقدّسة بالعبوديّة، لله فنصبح مشركين في مقام العبادة».

ثمّ تقول: «يجب أن نعلم أيضًا أنّ معنى الشفاعة والتوسّل بالأئمة هو غير ما يتخيّله عوام الشيعة؛ لأنّهم يظنّون أنّهم يجب أن يتمسّكوا بهم في حال البلاء، وأن يطلبوا منهم المساعدة، غافلين عن أنّ قاضي الحاجات هو

(1) سورة البقرة: الآية 255.

الله (عزّ وجلّ)، ومن كان لديه قدر من الفهم من العامة يقول: إنّنا نريدهم أن يشفعوا لنا عند الله، لكنّهم لا يعرفون أنّ معنى جعل الأئمة شفعاء، هو تحصيل محبّتهم ومودّتهم من خلال الفهم والمعرفة»[1].

وتقول: «اجعلي أقوال أئمّة الهدى وأفعالهم المثال الذي تحتذينه في حياتك، تنالي شفاعتهم، لكن الطلب باللسان في أوقات الشدّة لا فائدة منه، كما إنّ محبّتهم يجب أن تحصّل بالمنطق الصحيح، أي معرفة أولياء الله بمقام النورانيّة والولاية، أي يجب أن نعلم أولًا مقام الأئمة الأطهار في مرتبة عبوديّتهم للحقّ تعالى، ونعلم أنّهم أصحاب الولاية الإلهيّة الكليّة، ومعنى الولاية ارتباط العبد بعالم الربوبيّة، فمن الممكن أن يصل صاحب الولاية من خلال العبوديّة إلى حدّ أن يصبح مظهر الصفات الحقّانيّة.

إذًا يجب أن تتمسّكي بمحبّة هؤلاء العظام، وطاعتهم؛ لأنّ محبّتهم وطاعتهم هي محبّة الحقّ وطاعته. وحين تصلين إلى هذه المرتبة، وتحاولين السير على خطاهم، وتعدّينهم قدوة لك، حينئذ سيشفعون لك، والنبيّ (ص) قال: «إنّ كلّ إنسان يُحشر مع من يحب». وقال سيّد الساجدين في دعاء أبي حمزة الثمالي في مقام المناجاة: «إلهي حبّي لك شفيعي إليك».

وتقول: «الخلاصة أنكن يجب أن تعلمن أن لا أحد يشارك الله في الخلق، والرزق، والشفاء، والموت، والحياة، فالله (عزّ وجلّ) هو الذي يرحم العالمين ويقبل توبة التائبين.

إنّ النبيّ والأئمّة دورهم أن يعلّموا الناس طريق الهداية وطريق المعرفة والعبادة، وأن يعرّفوا الله إلينا، ويقرّبونا من الحقّ.

---

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، ص168ـ172.

لذلك لا تقولي: يا أمير المؤمنين أو يا إمام الزمان أعطني حاجتي؛ بل قولي: إلهي بحقّ قربهم منك ومقامهم لديك، إقضِ لي حاجتي»[1].

تشير بعد ذلك إلى بعض العادات والخرافات السائدة بين العوام، وبالأخصّ النساء، وتقول إنّ من واجب العلماء أن يقتلعوا هذه الخرافات من أذهان العوام، كي لا يظنّ الأجانب أنّها من الدين.

ثمّ توجّه الكلام إلى النساء وتحذّرهنّ من تلك الأفعال الناجمة عن الوساوس، كالمبالغة في التطهّر والوضوء وما شابه، وتقدّم لهنّ نصائح تخلّصهنّ من تلك الأفعال الوسواسيّة المسيئة إلى الإسلام، وتبيّن لهنّ مساوئ الإفراط والتفريط، والزيادة أو النقصان في تطبيق الأحكام الشرعيّة، الصادرة بمجملها عن الجهل، والتعلّق بالظاهر[2].

وبعد أن تذكر بعض الخرافات السائدة بين العوام ولا سيّما النساء في أثناء زيارة المقابر والأضرحة، تنصح النساء بالكفّ عن هذه الممارسات التي لا تمتّ إلى الدين بصلة، والأسوأ من بين تلك الممارسات أعمال السحر والشعوذة السائدة بين العوام، وتحذّر النساء من هذه الأفعال، وتنصحهنّ، بدلًا من الاهتمام بالخرافات والأعمال الباطلة، أن يفتحن نور القلب، ويعملن على تهذيب أخلاقهنّ، ويسعين إلى تحصيل المعرفة، ورضا الحقّ لتنقية قلوبهنّ مما علق فيها من أدران.

وتذكّر النساء بقيمة الصفات والميزات التي حباهنّ بها الله (عزّ وجلّ)، كرقّة القلب، والعاطفة، والمحبّة الغريزيّة والقدرة على الإيثار، وتحمّل المصائب والصبر، والقيام بأعمال الخير[3]. وبعد أن تنصح المرأة

---

(1) المصدر نفسه، ص172ـ176.

(2) المصدر نفسه، ص176ـ180.

(3) من هذه الناحية كانت هي القدوة، إذ وقفت ثروتها الخاصة على مساعدة الفقراء، وشيدت بعد ذلك مدرسة وحوزة على نفقتها الخاصة.

بالتزام بيتها كي لا تختلط بالفاسدين من الرجال (لقد كان هذا الأمر مهمًّا في عصرها؛ لأنّ موضوع الاختلاط فُرض فرضًا وكان فوقيًّا، وقبل أن يتحضّر المجتمع، ولا سيّما الرجال، نفسيًا لهذا الأمر): تعود وتقول: إنها لا تُريد أن يُفهم من كلامها، أنّها تطلب إلى المرأة أن تجلس في البيت، وتحرم نفسها أيّ كمال أو علم، أو فضيلة، وأن تضيع عمرها هباء بالخرافات والأوهام، التي اعتادها الجهلة من الناس، ولا سيّما النساء الجاهلات: فملازمة البيت بحدّ ذاته ليس فضيلة إن لم تعضده الفضائل الأخلاقيّة، والعلم، والإيمان، والتقوى، والمعنويات، تقول إنّ المقصود منع التفلّت، وحفظ الناموس والعفة، وليس قلّة الفهم والجهل، وهما المرضان المتفشيان بين النساء، بسبب فقدان العلم أو نقصه، وقلّة الفهم تؤدّي إلى قلّة العفة[1].

إذًا، هي ترى أنّ الجهل هو سبب الأمراض المتفشية في المجتمع. فالجهل لدى الملازمات بيوتهنّ دفعهنّ إلى السعي وراء الخرافات وأعمال السحر والشعوذة، والجهل لدى المتفرنجات مظهريًّا جعلهنّ يفلتن زمامهنّ، ويبتعدن عن العفة.

وفي رأيها أنّ المرأة كلّما كانت أكثر علمًا وفهمًا ابتعدت عن الخرافة، وابتعدت عن كلّ ما ينافي العفة والحياء، والعاقلة تحترم نفسها، وترى أنّها أرفع مكانة وقيمة من أن تضع نفسها في موضع الشبهة: كأولئك النسوة (نساء الطبقة الأرستقراطيّة المتغرّبات) اللواتي يجالسن الرجال على موائد القمار، ويخالطنهم في المسابح العامة شبه عاريات، أو يراقصنهم في المراقص، أولئك لا عقل لهنّ ولا حياء ولا إيمان، المرأة العاقلة ترى أنّها أرفع مكانة من أن تجعل نفسها وسيلة لشهوات الرجال الأجانب[2].

تعود وتوجّه خطابها إلى الرجال والنساء، وتقول لهم إنّ كلّ المصائب

---

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، ص181ـ186.

(2) المصدر نفسه، ص186ـ187.

والبلايا ونقاط الضعف التي نشاهدها في حياة البشر، إن نحن أنعمنا النظر فيها، سيتبيّن لنا أنّها ناجمة عن ضعف الإيمان وفقدان التقوى، فلو أنّ الإيمان والتقوى قد ترسّخا في قلوب البشر، وتمتّع الإنسان بفكر رفيع وعال، وأشرق في قلبه نور العقل والعلم، لوجد الطريق الذي يهديه إلى الحياة الشريفة، وكلّما كان قلبه أقوى وأشد صفاء أصبحت الأمور الخارجيّة طوع أمره.

وتقول: «إنّ السعادة والشقاء مرتبطان بنمط تفكيرنا، أنت مرآة العالم ومثاله، والعالم مرآتك ومثالك، فإن أنت نظرت إلى أمور الدنيا بتشاؤم، ولم ترَ الموجودات الجميلة والنقيّة؛ بل رأيت كلّ شيء سيّئًا وغير منتظم، فاعلم أنّ ذلك ناجم عن خلقك السيّئ، وكلّ القبائح والاعوجاجات التي تراها إنّما هي انعكاس ذاتك القبيحة في مرآة الموجودات، وقد قال الشاعر: «اكسر نفسك، فمن الخطإ كسر المرآة»، وخطأ أن تتخيّل أن الأمور الطبيعيّة غير مرتّبة والقدر ظالم، وأنت سيّئ الحظ؛ لأنّ كلّ شخص يرى أمور العالم في بحيرة قلبه، صفّ باطنك من أدران الأخلاق القبيحة؛ لترَ العالم جميلًا ونقيًّا، والإنسان المتشائم لا يفهم الناس الطيّبين، ولا يثق بأحد».

وتنصح بعدم مصاحبة سيّئ الظنّ، وسيّئ الخلق. كما تحذّر من مطالعة الكتب والصحف التي تحرّف الأمور، وتقدّم مقالات نقديّة في غير محلّها، ولا تظهر إلّا الجوانب السيّئة من الأمور؛ لأنّها تثير لدى القارئ حبّ الاستطلاع غير السليم، وتجعله متشائمًا، سيّئ الخلق، وسيّئ الخلق أيّ شيء مناف لتوقّعاته يجعله عصبيًّا، ويثير غضبه، ولا شيء يُخمد نار بركاته، وحينئذ سيسيء إلى الآخرين، ويظلمهم، ويؤذيهم، وتتحرك في داخله القوى السبعيّة، وما يحرّك القوّة العصبيّة هذه إنّما هو الكِبَر والتوقّعات والآمال الكاذبة، وهذه الصفة الرذيلة، أي الكبر هي التي ينتج عنها صفات سيّئة عدّة، كالكره، والنفور، والتشاؤم، والعداوة، وضيق الخلق، وحبّ الرئاسة والمقام والمنصب والجاه وغيرها.

ويجب أن تعلموا أنّ الصفات الرذيلة، فضلًا عن أنّها تضعف روح الإنسان، تؤثّر في سلامة البدن، وتشدّد على ضرورة مجاهدة النفس وتخليصها من الحقد، والضغينة، والحسد، والكِبر، والحرص، والبخل، والغضب، وأمثالها[1].

أمّا المصائب والبلايا التي تصيب الخاطئين فجزاء عملهم، وتصيب المؤمنين لتصفية قلوبهم، والمصائب والآلام هي التي تُظهر عظمة روح الإنسان وقوّة إيمانه.

تقول: «إن كنت تريدين أن تري قوّة إيمان أحد الأشخاص وعظمة روحه، انظري إليه حين تصيبه آفات الدنيا، هل يصبح ضعيفًا لا حول له ولا قوة، ويفقد عنان صبره واحتماله؟ معنى ذلك أنّه ضعيف النفس، هشّ العقيدة، وإن رأيت أنّه أمام البلاء كالجبل الصامد، لا تهزّه الأعاصير، فاعتمدي عليه، واعلمي أنّه إنسان ثابت القدم في أمور الدين والدنيا، وفي المحبّة والرفقة»[2].

تعود وتوجّه خطابها إلى القارئة أو القارئ: «إذا أردت تقوية روحك وعقلك داوم على خمسة أشياء:

الأوّل: أن يكون الصمت وقلّة الكلام شعارًا لك، فقلّة الكلام لها فوائد عدّة، وفي الحديث أنّ السكوت من ميزات أولياء الله، السكوت للتفكّر (لأنّ تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة)، وكثير الكلام ضحل التفكير والمهذار لا يستطيع التفكير، إذًا قلّة الكلام مقدّمة التفكير، وتزيد العقل، وتجلو صدأ القلب، وتحفظ طاقة البدن، والقوة الباطنيّة المغناطيسيّة، وفي الحديث: «إنّ من حفظ لسانه وبطنه وفرجه دخل الجنة».

---

(1) المصدر نفسه، ص188ـ191.

(2) المصدر نفسه، ص192ـ193.

والصفة الحسنة **الثانية**: قلّة الطعام، ففي الحديث: «إنّ العبد إذا جاع وحفظ لسانه علّمه الله الحكمة، فإن كان كافرًا تكون حكمته حجّة عليه ووبالًا، وإن كان مؤمنًا تكون حكمته نورًا وبرهانًا وشفاء ورحمة، ويبصّره الله دقائق العلم حتى لا يدخل عليه شيطان، ويعلّمه ما لم يعلم، ويُطلعه على عيوب نفسه كي ينشغل بها عن عيوب غيره».

والصفة الحسنة **الثالثة**: قلّة النوم وسهر الليل والانشغال بالذكر ومناجاة قاضي الحاجات.

والرابعة: اعتزال الناس، وللعزلة فوائد عـدّة، ولا سيّما في هذه المرحلة (تعود وتذكّر بسوء الأوضاع في عصرها)، التي شاع فيها الفساد الأخلاقيّ بين الناس.

والخامسة: دوام ذكر الله ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾»[1].

أمّا أصول الملكات الحميدة المحصورة فيها قيمة الإنسان فأربعة، وأصول الأخلاق الرذيلة ثمانية؛ لأنّ الإفراط أو التفريط في كلّ أصل من أصول الأخلاق الحميدة يعدّ صفة رذيلة.

أولى الصفات الحميدة: ملكة الحكمة وهي الحدّ الوسط بين (السفه والبله)، أمّا السفه فهو التفكير في ما لا يجب أن يفكّر فيه، والبله تعطيل ملكة التفكير، فمعظم الناس لا فكر لديهم، لا يفكّرون في خلق السموات والأرض، همّهم محصور فقط في الأمـور الطبيعيّة والماديّة، هؤلاء هم البلهاء، والحدّ الوسط بين السفه والبله هو الحكمة ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[2]، والملكة الثانية ملكة العفّة، وهي الحدّ الوسط بين الشره والخمود، والشره هو الاستغراق في الشهوات والإفراط في اللذائذ

---

(1) المصدر نفسه، ص193ـ195.

(2) سورة البقرة: الآية 269.

الجسمانيّة، والخروج عن حدّ الاعتدال، أمّا الخمود فإهمال القوة الشهوانيّة، ما يـؤدّي إلى شللها ويصبح الإنسان ضعيفًا عاجزًا، والحدّ الوسط بين الأمرين هو العفّة، أي لا يوجد إفراط ولا تفريط، والحدّ الوسط هو المقدار المنوط به حفظ الصحّة، والمفروض بحكم العقل وحكم الشرع ألّا ينسى الإنسان نصيبه من الدنيا، وألّا يسرف في أكله وشربه، وشهواته.

أمّا ملكة الشجاعة، فهي الحدّ الوسط بين الجبن والتهور: فالجبان من تعطّلت لديه القوّة الغضبيّة إلى حدّ أنّه لا يدفع الأذى عن نفسه، والمتهوّر هو من أفرط في استخدام القوّة الغضبيّة، بما يخالف العقل والشرع وألقى بيديه إلى التهلكة.

وأمّا ملكة العدالة، فهي الحدّ الوسط بين ظلم الآخر وقبول الظلم، كما إنّ السخاء هو الحدّ الوسط بين البخل والإسراف.

تقول: «إنّ كلّ أصل من أصول هذه الملكات الحميدة يحتوي على صفات عدّة، وميزات كثيرة، لا يتسع المجال لتفصيلها، ومن أراد أن يعلم تفصيلها، فليراجع كتب الأخلاق، ولا سيّما إحياء علوم الدين للغزالي، ومعراج السعادة للنراقي، والأخلاق وطريق سعادة البشر»[1] (وهو الترجمة الفارسيّة لكتاب طهارة الأعراق لابن مسكويه).

تقول في الخلاصة: «إنّ أصـول جميع الصفات الرذيلة هي حبّ النفس، واتّبـاع الـهـوى، والـهـوس والـنـزوات والشيطان، فمن استطاع بالمجاهدة وبمخالفة النفس أن يغلّب العقل على النفس، فإنّه يخضع صفاته كلّها لقاعدة الاعتدال، فينجو من الابتلاء بفساد الأخلاق.

---

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، ص195ـ198. ذكرها لترجمتها كتاب **طهارة الأعراق** لابن مسكويه معناه أنّها كانت تدوّن كتاب **روش خوشبختى** أثناء تدوين كتاب **معاد يا آخرين سير بشر** كما ذكرنا من قبل، وكتاب **طهارة الأعراق**، وقصدت أن يكون كتاب **روش خوشبختى** في قسم منه تبسيطًا لما جاء في الكتابين السابقين.

إنّ أوّل خطوة نخطوها في الطريق نحو السعادة، هي أن نجعل الصدق والمحبّة شعارًا لنا، ونسعى جاهدين ليكون سلوكنا صحيحًا، وقولنا صادقًا، وأعمالنا صالحة، ونحاول التخلّص من الكذب والنفاق، والتظاهر المخادع، وإن وفّق أحد في أمر من الأمور نتيجة التدليس والاحتيال، وجمع بتلك الطرق مالًا، فلا يجب أن يغرّنا ذلك؛ لأنّه مؤقّت، ولا تؤتى السعادة إلا بالاكتفاء الحقيقيّ الناجم عن الصلاح والتقوى والإيمان والعدالة».

وتنبّه من الحسد؛ لأنّ الحسد مصدر الكثير من الفساد الأخلاقيّ، والحسد في النساء شائع أكثر «إنّ الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النار الهشيم».

إنّ الحسود الأنانيّ (أو الحسودة الأنانيّة) مهما كان في يده من نعم، ينسى ما لديه، وعينه دائمًا مصوبة على الآخرين، ولما كانت النعم الإلهيّة على المخلوقات لا حصر لها، فإنّ الحسود المسكين يحترق دائمًا بنار الحسد، وتبقى الدنيا مظلمة في عينيه.

تقول: «يا أختي، امتحني نفسك، فإن وجدت لديك ذرّة من الحسد، أو الحقد، أو الكبر، أو الفخر، أو الحرص والطمع، أو الغرور والعُجب، أو المحبّة الزائدة للمال والأولاد، أو توقّع في غير مكانه، أو عجب ورياء وغير ذلك من الأخلاق الفاسدة، سارعي إلى تنقية نفسك، وتخلّصي منها، فإن تملكت إحدى الصفات السيّئة في الإنسان، يصبح علاجها عسيرًا؛ بل متعذّرًا.

وكوني متفائلة دائمًا، ولا تكوني متشائمة؛ لأنّ التشاؤم لدى العباد مصدر ذنوب عدّة، وأنا إن أردت أن أشرح الصفات الرذيلة والأخلاق الفاسدة بالتفصيل، وأذكر طرق علاجها، سيطول الكلام، ما يتنافى ووضع هذا الكتاب، وإجمالًا، كما إنّ من المطلوب في الأمراض الجسديّة تشخيص المرض ومعرفة الداء، لإعطاء الدواء المناسب، في الطبّ

الروحانيّ أيضًا، يجب أوّلًا تشخيص المرض الأخلاقيّ من خلال البحث والتنقيب بحسب ميزان العقل والشرع، وبعد ذلك معالجة المرض بضدّه.

ولا تقولي إنّ ذلك ليس بيد الإنسان وبإرادته، فلو أنّ الأمر كذلك، فلم التعليم والتربية إذًا، وتبليغ الأنبياء والرسل، والعلماء والوعّاظ، وهل يجب أن تذهب تعاليمهم هدرًا، ومن دون ثمار؟! فضلًا عن أنّ مجاهدة النفس وكثرة الجهد يمكن أن تغيّر بعض الأخلاق الفاسدة، قبل أن يتحوّل الخلق السيّئ إلى عادة متملّكة في الإنسان»[1].

وتنهي الكتاب بحمد الله ربّ العالمين والصلاة والسلام على النبيّ محمّد (ص) وآله الطاهرين.

بقلم: «أقلّ خادمة من خدم آل الرسول، وأصغر ذرّة من ذراري البتول (ع)»[2].

لم ينته دور السيّدة نصرت أمين في ما ما يتعلّق بموضوع الحجاب بانتهاء كتاب «طريق السعادة»، ونشره، وجعله في متناول الجميع، وإنّما، كانت تردّ أيضًا على المقالات التي تنشر في الصحف، ومن نماذج ذلك صورة التقديم لمقالة أرسلتها في العام 1201ش، وكانت قد بلغت السادسة والخمسين من عمرها إلى مجلة «آشفته» للإجابة عن بعض الشبهات المتعلّقة بالحجاب. جاء فيها:

«إدارة مجلة آشفته، طهران المحترمين: ردًا على المقالة المدرجة في العدد 33 من مجلتكم المحترمة، المتعلّقة بموضوع الحجاب، أقدّم ربطًا

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختي**، ص198ـ201.

(2) هذا هو الكتاب الوحيد من بين كتبها الذي لم تدوّن في نهايته تاريخ انتهائها من كتابته.

شرحًا للموضوع، أتمنّى أن تنشروه في جريدتكم. كما أرجو أن يُنشر باسم

«بانو ايرانى» «سيدة إيرانية»، وألّا يُذكر فيها اسمي نصرت أمين»[1].

ليس في متناولنا نصّ الجواب، كما إنّ تلميذاتها ذكرن أنّها أرسلت أكثر من مقالة، لكنّها لم تحتفظ على الأرجح بالمجلات التي نُشرت فيها هذه المقالات.

وفي حديث أدلت به مريدتها السيّدة علوية هُمايوني لمجلة «زن روز»[2]، قالت: «إنّ السيّدة نصرت أمين كانت تقول: إنّ النساء إن عملن في منازلهنّ، يكتسبن الكرامة، ويحصلن على ما يُردن ويتقرّبن من الله»، وكانت تضرب نفسها مثلًا وتقول: «أنا لست أكثر من ربّة منزل، ولم أكن أعرف ما في الكتب، لكن بعون الله درست وتابعت دراستي»، وتقول السيّدة هُمايوني أيضًا: إنّ السيّدة نصرت أمين لم تكن تعارض عمل المرأة في المجتمع، بشرط أن تُراعي الأصول الشرعيّة، وأن تحافظ على حجابها، ولا مانع من ممارستها الأنشطة الاجتماعيّة».

---

(1) المقالة غير موجودة، إنّما صورة الأسطر التي قدمت فيها للمقالة بخط يدها، مطبوعة ضمن ملاحق كتاب: **زندگانى بانو ايرانى...**، نقلًا عن: **يادنامهء بانوى مجتهده أمين**، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّين، ص70.

(2) مجلة: **زن روز**، العدد 926، طهران، 1362 ش-1983م، ص4-25.

نظرتها إلى المعاد

تعتقد السيّدة أنّ البشر إنّما يتحرّكون ويبذلون المساعي الحثيثة بحثًا عن السعادة، لكنهم يتوهون لأنّهم لا يعرفون طريقها، فيخضعون لأهوائهم ونزواتهم، ويغرقون في حمأة الحياة الدنيا، وقلّما يصلون إلى المقصد والغاية. وهذا كلّه لأنهم يغفلون عن النشأة الثانية للإنسان التي فيها تتحقق سعادته الحقيقية، فيما لو ثابر وعمل في حياته في سبيل الخير والصلاح ورضى خالقه.

انطلاقًا من هذا، كتبت السيدة كتابًا عن المعاد بعنوان: «معاد يا آخرين سير بشر» (المعاد أو آخر مسيرة البشر)[1]، تهدف فيه إلى توعية الناس وتذكيرهم بما بعد أجلهم؛ علّهم يجتازون مخاطر الحياة الدنيا ويعبرون إلى برّ الأمان. تقول: «إنّ الغاية من تسطير هذه الكلمات، هي أنّني أريد أن تستمعوا وتصغوا، وأذكّركم أنّ للإنسان غير هذه النشأة نشأة أخرى، وغير هذه الحياة حياة أخرى، ولا بدّ له في مسيرته التكامليّة من أن يعبر جميع النشآت والعوالم، وفي النهاية يصل إلى عالم ليس فوقه عالم، وهو ما يُسمّى المعاد والقيامة[2].

---

(1) **معاد يا آخرين سير بشر**، بقلم بانو مجتهده أمين المشهورة بـ«بانوى ايرانى» مع مقدمة مصطفى هادوى (الشهير بالإصفهاني)، منشورات **بهار إصفهان**، 1385ش/ 2006م، 212 صفحة من القطع الوسط.

(2) نصرت أمين، **معاد يا آخرين سير بشر**، ص4.

هذا الكتاب هو أحد كتب بانو أمين، أو السيّدة نصرت أمين، وهو كتاب مهمّ جدًّا، وكلّ كتبها مهمّة؛ لكن هذا الكتاب بالتحديد يستحق أن يترجم بأكمله، وقد كتبته باللغة الفارسيّة، وتجاوزت صفحاته المئتين، والحديث عنه بشكل مجتزء يقلّل من أهميّته.

بعد أن تتحدّث السيّدة عن الله وعن المبدإ، تبدأ بتعريف المعاد إلى أن تقول: «إنّ الإنسان الكامل حين يصل إلى منتهى الكمال، يتصرّف في الموجودات بإذن الله ويصبح مقامه أعلى من المَلك والفلك، يضع قدمه على كتف جبرائيل وميكائيل، ويرتفع فوق سدرة المنتهى»[1]. ولتوضيح هذا الكلام كتبت كتاب «المعاد» المتضمّن تسع مقالات، ودرست مبحث المعاد من الناحيتين العقليّة والنقليّة.

المقالة الأولى: عن سير البشر من العالم العلويّ إلى العالم السفليّ، ومن العالم السفليّ إلى العالم العلويّ، تقول: «إنّ روح أيّ موجود تتطلّع نحو الكمال والبقاء، وروح الإنسان تطير دائمًا بجناحين هما: العلم والعمل، إلى أن تنهي دورة مسيرها، ويهديها عالم الخلق إلى الحياة الأبديّة، حتى حبّة القمح غير مستثناة من قاعدة التكامل هذه، فنحن نخفي حبّة القمح أو الشعير في الأرض، فتخضرّ وتنبت، وترتقي من جماد إلى نبات، وتنشأ وتنمو وتتكاثر. يتغذّى بها الحيوان، فتصبح جزءًا منه، وترتقي إلى مرتبة الحيوانيّة، ثمّ ترتقي لتصبح غذاء للإنسان، وتصبح جزءًا من بدنه، لائقة بأن تتعلّق بالروح الإنسانيّة. ترتقي بعد المرحلة الحيوانيّة إلى المرتبة الإنسانيّة، والإنسان أيضًا يجب أن يطوي المراحل والمنازل ليصل إلى منتهى درجة الكمال»[2].

في المقالة الأولى أيضًا تتحدّث عن الإنسان في قوس النزول، مشبّهة

---

(1) المصدر نفسه، ص6.

(2) المصدر نفسه، ص7.

تنزّل روح البشر من عالم ما فوق الطبيعة إلى عالم المادة بالدائرة والقوس، ثمّ تتحدّث عن العقل الذي سخّر به الإنسان الماديّات، والذي من أجله سجدت الملائكة لآدم، ثمّ عن نفحة الروح[1]، ثمّ عن القوس الصعوديّ، بعد انتهاء أطوار الخلقة والوصول إلى الكمال، وتقول: إنّها ستحاول بفهمها القاصر ونفسها الضعيفة بقدر الإمكان أن تشرح بكلمات بسيطة ومختصرة أنّ مسألة المعاد من أهمّ المواضيع؛ حيث إنّ العقل والنقل شاهدان عليها، مطابقة لقانون التكامل، ومفادها أنّ الثابت بالوجدان والبرهان والمشاهد بالعيان أنّ جميع الموجودات، طالما أنّها موجودة، تتطلّع على الدوام نحو الكمال، لتصل في النهاية إلى الغاية والفائدة من وجودها، إلا إن وقف في طريقها ما يمنعها ويعيق مسيرتها، وقانون التكامل هو من المبادئ المسلّمة لدى الفلاسفة والعقلاء، فهم قد صرّحوا أنّ العالم على الدوام يسير باتجاه الكمال، ويصل من النقص إلى التمام[2].

وفي **المقالة الثانية**: من هذا الكتاب: نقرأ أنّ أيّ موجود حقير وضعيف ينشأ وينمو في ضوء وجود موجود أقوى منه، ويرتقي في أطوار وجوده في ظل وجود ذاك القويّ وسيطرته، وذلك هو العالم الحافظ والمكمل للوجود، ولكلّ موجود رفيع وجود وبروز في الأدنى، ذلك أنّ جميع الموجودات متّصلة ومرتبطة بعضها ببعض، ومترابطة كحلقات السلسلة[3].

في **المقالة الثالثة**: تعرّف الإنسان أنّه حقيقة وجدانيّة اختُصرت فيه مراتب الوجود؛ أي كلّ ما هو في العالم الأكبر، تخاطب الإنسان وتقول له: «إذا نظرت بدقّة إلى ذاتك من رأسك حتى القدمين سترى أنّك تتضمّن عالم الوجود؛ أي أنّ العالم الكبير مخفي فيك، فأنت إن وصلت إلى غاية وجودك وكمالك الإنسانيّ، وحيث إنّ ناظم العالم مخفي في كون وجودك

(1) المصدر نفسه، ص8ـ18.

(2) المصدر نفسه، ص19ـ25.

(3) المصدر نفسه، ص26ـ29.

وحقيقتك، تصل إلى معرض الظهور والبروز، سترى حينئذ أنّك خزانة الأسرار الإلهيّة، ومظهر ذلك الفرد الأزليّ والقائم بالوجود سبحانه وممثّله، وسترى نفسك في مركز الوجود، وسائر الموجودات في دائرة الوجود، وستدرك حينئذ كيف أنّ جميع الممكنات تدور كالفراش حول شمعة وجودك»[1].

في **المقالة الرابعة**: تشرح السيّدة حقيقة عالم البرزخ وخصائصه، وكأنّ الغشاوات قد أزيلت من أمام ناظريها، وكأنّها رأت حقيقة البرزخ -كما هو- والآن تريد أن تشرحه للآخرين. التحقيق حول البرزخ وأسئلة القبر، والقضايا المرتبطة به، سطّرتها في 57 صفحة، تقول في طيّاتها: إنّ بدن الإنسان بعد الموت يصبح قسمين: الأوّل تلك الأجزاء اللطيفة التي هي جوهره وحقيقته وأصله المحفوظ الباقي من لحظة تكوّنه إلى آخر حياته، ومستعدّ ومُعدّ للصعود، ينتقل بواسطة الروح إلى عالم البرزخ، والقسم الثاني العناصر الكثيفة التي هي من أوّل عمره حتى آخره في حالة تغيّر وتبدّل دائمين، ولا يبقى ساعة واحدة على حاله، يتحوّل إلى فضلات، وتتبعثر أجزاؤه وتتحلّل، وكلّ منها يعود إلى أصله الأوّل[2].

المقالة الخامسة: أطول مقالات الكتاب، تتطرّق في 84 صفحة إلى وصف سيماء الإنسان يوم القيامة، وتتحدّث فيها عن خمس قضايا مهمّة هي:

أ- هل المعاد روحانيّ فقط، أم هو جسمانيّ وروحانيّ؟ في هذا القسم تقول: «إنّ حقيقة الإنسان في أيّ عالم لا يلحقها الفناء، وتبقى في روحه وجسده، وأيّ عالم انتقلت إليه تظهر بلباسه، وحيث إنّ يوم القيامة هو عالم الجمع، وآخر سير البشر، يجب أن يكون الإنسان في هذه النشأة جامعًا

(1) المصدر نفسه، ص30-36.

(2) المصدر نفسه، ص59.

وحاويًا لجميع النشآت، وجامعًا لكلّ المراتب والدرجات، وغير فاقد لأيّ جهة من جهاته الجسميّة والروحيّة»[1].

ب- إنّ معرفة المبدإ والمعاد مبنيّة على معرفة النفس، فحين نعرف أنفسنا، سنعرف الله والمبدأ والمعاد.

ج- لمعرفة المعاد ارتباط بمعرفة المبدإ، فطالما أنّنا لا نعرف مبدأ وجودنا، من حيث العلم والقدرة والحكمة، ولا نعدّ الكمال والجمال والبهاء المطلق منحصرًا به، لن نعرف المعاد الذي هو في الواقع عودة إلى المبدإ، تقول في هذا الصدد: حين يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربّه يفهم أنّ كمال البشر يتحقق حين يصبح المظهر والممثل لأوصاف الحقّ[2].

د- إنّ تماميّة أيّ نوع من أنواع الموجودات هي في إدخال ما دونه تحت سيطرته وفعليّة وجوده، وكمال الإنسان بتماميّته، أي أنّ الشيء حين يصل إلى منتهى الكمال اللائق به، أيّ ما كان بالنسبة إليه بالقوّة يصبح بالفعل، مثلًا الطفل حديث الولادة يفتقد إلى الكمالات الإنسانيّة، لكنّه قابل ومستعدّ لأن يصل إلى جميع مراتب الموجودات، حين يصل إلى كماله الإنسانيّ، ويصبح إنسانًا كاملًا، أي النسخة الجامعة للوجود، جامعًا جميع المراتب والخصائص التي هي لما دونه، وكلّ ما هو موجود يندرج في نسخة وجوده الجامعة، ويدخل تحت كينونته، وحينما تتحقّق تماميّته، لا يعود مفتقدًا لأيّ نوع من أنواع الكمال، فكماله مرتبط بتماميّته. ونهاية أيّ شيء هي بدايته نفسها؛ أي أنّ الشيء يصل إلى منتهى الكمال، حين يصبح متضمّنًا لكلّ ما دونه من مراتب، وأوّل مرتبة هي وجوده، وكما قيل: «النهاية عين البداية»[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص112-113.

(2) المصدر نفسه، ص119.

(3) المصدر نفسه، ص120.

هـ ما هو المقصود بالمعاد؟ المعاد في رأيها العودة إلى الحياة في القيامة، والانتقال من عالم البرزخ بعد خراب الدنيا إلى عالم الآخرة، وهذا الانتقال انتقال جسمانيّ وروحانيّ، وقد فصّلت السيّدة حقيقة المعاد وفلسفته[1].

المقالة السادسة: من هذا الكتاب تشرح موضوع الصراط[2].

والمقالة السابعة: تشرح موضوع الميزان[3]، وتقول هنا: إنّ ميزان أيّ شيء معياره الذي يوزن ويقاس به ليعلم مقداره، وميزان القيامة كما قال في الآية الشريفة ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[4]، يمكن أن يكون ميزان العدل الخالق (عزّ وجلّ)، ويمكن أن يكون الأنبياء والأولياء، الذين هم المظاهر التي تمثّل صفات الحقّ سبحانه، كقول أمير المؤمنين (ع): «أنا ميزان القيامة»[5].

المقالة الثامنة: موضوعها الحساب يوم القيامة[6].

المقالة التاسعة[7]: موضوعها الجنّة والنار: نهاية مسيرة أيّ فرد من أفراد البشر مكان ومقام اسمه الجنة، أو موضع اسمه جهنم، وهو مقام ذلك الإنسان الذي لم يصل إلى الكمال الإنسانيّ، وتخلّى عن المقام الشامخ المهيّأ والمعدّ له، وإنّما وصل إلى درجة الكمال في الشقاء.

وتقول: إنّ أهل جهنّم هم أولئك الأشخاص الذين لم يفهموا في هذا

---

(1) المصدر نفسه، ص121ـ179.

(2) المصدر نفسه، ص179ـ185.

(3) المصدر نفسه، ص186ـ190.

(4) سورة الأنبياء: الآية 47.

(5) نصرت أمين، معاد يا آخرين سير بشر، ص186.

(6) المصدر نفسه، ص191ـ195.

(7) المصدر نفسه، ص196ـ212.

العالم سوى هذا الفضاء الضيّق والمظلم للعالم الماديّ، ولا خبر لديهم عن عالم «ما فوق الطبيعة»، أي الموجودات العلويّة الأرفع والأسمى من حيث الرتبة والمقام من هذه الموجودات الماديّة، وجعلوا إلههم في هذه الدنيا أهواء أنفسهم، وأعرضوا عن المعبود الحقيقيّ، وانصبّ همهم على إصلاح شؤون بدنهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[1]، وهؤلاء لا نصيب لهم ولو طفيفًا من فضاء عالم القيامة ونورانيّته وضيائه، ومن نعم الجنة.

والشخص الجهنميّ من حيث كدورة دورة النفس وخبث السريرة والذات والتعلق بالدنيا، يشتهي ما يضرّه، وحاله شبيهة بحال ذلك المريض، الذي لا يطلب إلا ما يزيد مرضه، وكما إنّ حظوظ أهل الجنّة الروحانيّة والجسمانيّة تفوق الحصر والعدّ، والإنسان عاجز عن إدراك حقيقتها طالما هو مقيّد بالعالم العنصريّ الطبيعيّ، كذلك فإنّ عذاب جهنّم للعاصين يفوق الوصف وفوق مستوى إدراك البشر، ويعجز اللسان عن الحديث عنه، والأذن عن سماعه، والقلم عن كتابته، لكنّ أولياء الحقّ وأئمّة البشر، قد وضّحوا وشرحوا قسمًا من ذلك العذاب، بالمقدار الذي يستطيع البشر أن يفهموه.

إنّما للأسف الشديد، نحن في هذه الدنيا وقد أعمت عيوننا، وشغلتنا الحظوة الطبيعيّة الماديّة إلى الحدّ الذي لم تعد فيه كلمات الوحي والتنزيل ذات تأثير فينا.

ما يثير التعجب، أنّنا (نحن البشر) إن قال لنا طفل أو مجنون، إنّ في هذا الطريق الذي تسلكونه حيوانًا مفترسًا، متربّصًا بكم، فإنّنا لا نتابع هذا الطريق ونعود أدراجنا، حتى وإن لم نكن واثقين كلّ الثقة بما يقول، حتى وإن كان ثمّة ضرر مترتّب على عدم متابعة الطريق. إذًا ما هو السر في أنّ أعمالنا وأفعالنا توحي كأنّنا متيقّنون من عدم وجود عالم غير هذا العالم

(1) سورة الأعراف: الآية 179.

الذي نعيش فيه، على الرغم من تأكيد الأنبياء والسفراء الإلهيّين وجود عوالم بعد هذا العالم يجب على البشر أن يجتازوها، وأنّ كلّ ما زرعناه هنا، وكلّ صفة خلقيّة أحرزناها، وكلّ عمل وفعل صدر عنّا في هذه الدنيا سيؤتي ثماره فيها (إن شرًا فشرّ وإن خيرًا فخير).

والسبب هو النفس الأمّارة التي، بمساعدة شياطين الجنّ والإنس، تزيّن لنا الشهوات النفسانيّة والأمور الدنيويّة الطبيعيّة، وكلّ ما نهى عنه الشرع، ولا تترك لنا أيّ مجال لاتّباع أوامر الشرع المطهّر النبويّ ونواهيه.

ولأنّ الشهوات النفسانيّة ملائمة للطبيعة الدنيويّة، يبدو كلّ ما وافقها جميلًا بنظرنا، لكن حين ينتفي حكم الطبيعة، وتظهر الموجودات بحقيقتها وجوهرها الذاتيّين، نعلم حينئذ أنّ حقيقة الدنيا هي حقيقة جهنّم؛ أي أنّ جهنم كامنة مخفية فيها.

هذه الدنيا، التي نراها اليوم جميلة، إن وُفّقنا لتحقيق آمالنا فيها، ستظهر لنا يوم القيامة على حقيقتها، وسنفهم حينها أيّ مستنقع جهنميّ هي، وأيّ مكان مظلم نتمرّغ فيه ليل نهار، من دون أن ننتبه.

وفي نهاية المطاف، فإنّ الإنسان يرد المحشر ومعه قواه ومشاعره وجوانبه الروحيّة والجسديّة، والآثار والأفعال الناجمة عنها، وكلّ ما صدرَ عنه وفعلهُ في هذه الدنيا، يُحاسب عليه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾[1] [2].

لقد صوّرت السيّدة في هذا الكتاب أجلى وجوه الموت والبرزخ والقيامة، وقدّمت الإجابات عن أسئلة ظاهرة وخفية عدّة. لقد صوّرت جميع هذه المراحل والعوالم والأحوال في هذا الكتاب، وكأنّ الحجب قد انشقّت، ورأت هي حقيقة هذه المقامات بأمّ عينها من دون وسائط.

---

(1) سورة الكهف: الآية 49.

(2) نصرت أمين، معاد يا آخرين سير بشر، ص211.

لهذا السبب؛ أنا أقول إنّ من واجبنا ومن المفيد ترجمة هذا الكتاب بالعربيّة، لإتاحة المجال أمام الدارسين للاستفادة منه.

السيدة وأخلاق الإسلام

بعد كتاب «المعاد»، وأثناء إعدادها كتاب «طريق السعادة»، كانت فكرة تأليف كتاب حول الأخلاق تراودها من حين لآخر، وترى أنّ تعريف المباحث الأخلاقيّة للناس ضرورة قصوى، لكنّ علماء الأخلاق قد كتبوا الكثير في هذا الموضوع، ولم يتركوا مجالًا لقائل، فارتأت أن تنقل إلى الفارسيّة كتاب «طهارة الأعراق» لابن مسكويه، وتقتبس منه. في المتن اقتصرت على ترجمة ما كتبه ابن مسكويه، وكتبت رأيها الشخصيّ في الحواشي.

فمثلًا لما ترجمت قول ابن مسكويه: «حين تتحقق هذه الفضائل المذكورة أي (العفّة والشجاعة والحكمة)، وتكون كلّ واحدة منها معتدلة بالنسبة إلى الأخرى، وتصل إلى الكمال والتمام، ستتولد منها حينئذ صفة أخرى هي الصفة المسمّاة: العدالة». كتبت في الحاشية: «المقصود من العدالة هنا العدالة الأخلاقيّة، التي هي عبارة عن تعديل في الصفات، واختيار الحدّ الوسط في جميع الأفعال والحركات، والتي تتحقّق بجميع الملكات والأوصاف الإنسانيّة الحميدة، وليس تلك العدالة المطلوبة لدى الفقهاء في إمامة الجماعة والشهادة وغيرهما»[1].

---

(1) نصرت أمين، **روش خوشبختى**، ص33؛ زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص9.

ذكر ابن مسكويه في فصل من كتاب «طهارة الأعراق» الفضيلة بصفتها الحدّ الوسط بين الرذائل، ومثّل لذلك بقوله: «الفضيلة بمنزلة النقطة الوسط في الدائرة، التي تسمّى المركز، والرذائل بمنزلة محيط الدائرة، ونقطة المركز في الأجزاء البعيدة عن المحيط، كما إنّ الأرض التي هي المركز بعيدة كلّ البعد عن الأفلاك المحيطة بها»، علّقت السيّدة في الحاشية بقولها: «بناء على علم الهيئة (علم الفلك) القديم، الأرض هي المركز، وهي ساكنة، والأفلاك تحيط بها، وهي متحرّكة، لكن بناء على علم الهيئة الجديد الأرض كغيرها من الكرات متحرّكة»[1].

أمضت عامًا في ترجمة الكتاب، وكانت قد أصبحت في الرابعة والخمسين أو الخامسة والخمسين حين أنهته، وبحسب التقليد الذي اتبعته في كتبها، بعد حمد الله (عزّ وجلّ)، أرّخت للكتاب على النحو الآتي: «تمّت بعون الله ترجمة المقالات السبع من كتاب «طهارة الأعراق»، تأليف علي بن محمد بن يعقوب ابن مسكويه ـ قدس الله نفسه الزكيّة ـ في تهذيب الأخلاق، بقلم أقلّ خادمة من خدّام آل رسول الله (ص)، وأصغر ذرّة من ذراري البتول (ع)، بتاريخ التاسع عشر من شهر رجب المرجّب، عام 1368هـ.ق، المطابق لأرديبهشت 1328 ش/ 1949م.

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص91، نقلًا عن: نصرت أمين، روش خوشبختى، ص51.

العرفان في نظر السيدة أمين

واحدٌ من جوانب التميّز في شخصية السيدة أمين أنها فضلًا عن العلم والفقاهة، كانت من المهتمين بعالم السير والسلوك؛ بل ومن المرشدين فيه علمًا وعملًا. وما هذا إلا انسجامًا مع مبادئها وإدراكها لحقيقة الإنسان وأنه يقيَّم ببعده المعنوي، وأن هذا الجسد ما هو إلا الأداة التي ينبغي أن تكون خاضعة للروح وتسير بسيرها لا كما هو حال كثير من البشر. وقد تجلى الجانب المذكور في كتابات السيدة وإرشاداتها وسيرها وسلوكها العملي منذ صغرها على ما ينقل عنها تلامذتها ومريديها، بحيث يرجح أن تدرس تجربتها في هذا المجال.

وأفض نتاجاتها في هذا المجال كتاب «الأخلاق وطريق السعادة»، قرّرت تدوين كتاب يحتاج إليه المجتمع المنقطع عن الثقافة الدينيّة، وفكرت في تلك الحالات الخاصّة العرفانيّة الجميلة التي حصّلتها منذ الصبا، فسجّلت بعضها على صفحات الورق، وبعضها لم تصرّح به. بإلهام داخليّ خاصّ كتبت تلك الواردات القلبيّة، والإلهامات الداخليّة، لتكون لنساء ذلك الزمن مصباحًا ينير طريقهنّ، فكان كتاب «النفحات الرحمانيّة في الواردات القلبيّة» بالعربيّة، ورفضت أن يُترجم إلى الفارسيّة وهي على قيد الحياة[1]، وهو حتى الآن غير مترجم.

(1) هُمايوني، المصدر نفسه، ص93.

ربما أرادت أن تنحصر قراءته بالذين واللواتي يعرفون العربيّة (والذين كانوا يعرفون العربيّة هم علماء الدين وطلبة العلوم الدينيّة). وربما كانت خائفة وهي على قيد الحياة أن يُقال إنّها دوّنت تلك الحالات للتفاخر. دوّنتها لأنّها شعرت بأنّها يجب أن تدوّنها، وسيأتي يوم تُقرأ فيه بالعربيّة، وليتصدّ بعد وفاتها من يتصدّى لنقلها إلى الفارسيّة، حين يحين الوقت لذلك.

كتبتها على الأرجح لنفسها أوّلًا؛ كي لا تغيب عن بالها ولتتذكّرها في أزمنة مختلفة، ولتشكر الله على هذه النعم المعنويّة التي حباها إيّاها الله، كتبت في مقدمة الكتاب تسويغًا لكتابته:

«لا يقال: لا شك في أن تزكية النفس قبيحة، وهذه المندرجات تتضمّن ذلك؛ أي ذكر هذه المطالب التي ستأتي إن شاء الله تعالى، وتسويدها لا يخلو من تزكية النفس؛ لأنّه يقال: أوّلًا لما كان كلّ كمال وبهاء إنّما يكون في الحقيقة لله تعالى وحده، والممكن في نفسه ليسٌ وبه أيسٌ؛ أي الممكن من حيث الإمكان ليس قوّة صرفًا ولا عدمًا محضًا، وهو في نفسه فاقد لكلّ كمال، وكلّ ما يتراءى منه من الكمال والبهاء من تجلّيات كمال خالقه وبروز أنوار عظمته (والعبد وما في يده لمولاه)، ففي إظهار شيء من الكمالات إظهار كمال وجود الحق وسعة رحمته وعموم قدرته»[1].

بدأت هذه الإلهامات، وكانت السيّدة لا تزال في الثلاثين من عمرها، ولما كان بعضها من دون ذكر لتاريخ كتابته، يُستنتج أنّها لم تكن في وارد تدوينها وكتابتها، واعتمدت من بعد على الذاكرة حين قررت التدوين، وقد فعلت ذلك حين رأت أنّ الوقت قد بات مناسبًا لذلك (والأمور مرهونة بأوقاتها).

النفحات من الأولى حتى الثانية عشرة من دون تواريخ، لكنّها بعد

(1) المصدر نفسه.

النفحة الثانية عشرة بدأت تذكر التواريخ، وحيث إنّ السيّدة كانت على معرفة بأهل زمانها ومطّلعة على ما أصاب ثقافتهم من غزو واجتياح، وضّحت في مقدّمة الكتاب المطوّلة نسبيًّا سبب كتابة الحالات من منظار شخصيّ ومنظار اجتماعيّ، وأقفلت الطريق على أيّ نوع من أنواع الاتهام الذي يمكن أن يوجه إليها (وهذا مستحيل)، وتذكر في هذه المقدّمة أنّها لا تعدّ نفسها صوفيّة، وأنّها تسعى إلى الابتعاد عن مسلك صوفيّي عصرها المشهورين. وهي تعدّ هذه الحالات نورًا وكمالاً، مع ذكرها أنّ الكمال المحض والنور المطلق هو الله (عزّ وجلّ)، وإذا تحدّث أحد عن تجلي هذا النور، فهو في الواقع كأنّه يمتدح الشمس ولا يمتدح نفسه، تبعد عن نفسها تهمة الكِبَر والعُجب والرياء، وتشرح سبب تدوين هذا الكتاب على نحو منطقيّ ومحسوس، تقول:

«وفي يوم عرفة من العام المذكور (1357ق) حين مسافرتي من إصفهان إلى قم، كأنّي رأيت كلّ شيء من الشجر، والمَدَر، والصحاري، والبراري، والجبال، والأودية، يسبّح بلسان الحال بحمد ربّهم، وانكشف لي في الجملة كيفيّة تسخير الله تعالى إيّاها ومطاوعتها لربها»[1].

لقد أدركت السيّدة من خلال هذه الحالة النورانيّة والمكاشفة، المفهوم الحقيقي للآيتين الشريفتين: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[2]، وأيضًا ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3]، وفي نفحة أخرى، في اليوم الذي تلا يوم عرفة، في أثناء عودتها من قم إلى إصفهان، أدركت إحاطة نور الله بجميع الموجودات من طريق المشاهدة القلبيّة، وعن هذا الإدراك الباطنيّ:

---

(1) نصرت أمين، **النفحات الرحمانيّة في الواردات القلبيّة**، ص100، نقلًا عن: زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص94.

(2) سورة الرعد: الآية 15.

(3) سورة الجمعة: الآية 1؛ سورة التغابن: الآية 1.

«وفي اليوم العاشر من ذي الحجة من تلك السنة المذكورة حين رجوعي من قم إلى إصفهان، رأيت بمشاهدة قلبيّة سريان نور وجود الحق (عزّ وجلّ) في كلّ الموجودات، وإحاطته بها بحيث ما رأيت بينونة أزليّة بين الحقّ والموجودات، وإن كنت قبل ذلك قد رأيت الموجودات أيضًا كذلك، إلّا أنّي ما رأيتها بهذا الظهور والوضوح قطّ. لكن هذا النحو من المشاهدة، وقد مضت عليّ خمسة أيّام، وأرجو من الله تعالى عود تلك الحالة عن قريب»[1].

تقول كاتبة سيرتها السيّدة هُمايوني: إنّ النقطة اللافتة التي يمكن أن نستنتجها من هاتين النفحتين الرحمانيّتين اهتمام بانو أمين بالعبادات، وإنجاز أيّ عمل أو فريضة على النحو الأفضل. ولمّا كانت إمكانات السفر محدودة في ذلك الزمن، فإنّ التزام السيّدة بأن تقرأ دعاء عرفة في قم، في جوار حضرة المعصومة، أمر يثير الإعجاب. بناء على هاتين القضيّتين، تسافر السيّدة يوم عرفة من إصفهان إلى قم، وتبقى حتى عصر (التاسع من ذي الحجة) في تلك المدينة المقدّسة، وفي اليوم الآتي، أي في العاشر من ذي الحجة تعود إلى إصفهان، على الرغم من أنّ لديها بيتًا في قم، ربما كانت عودتها السريعة بسبب وجود زوجها وابنها الوحيد في المنزل، ووجود هذه الأم السماويّة في المنزل ضروريّ[2].

في كلّ الأحوال لا ننكر تعب السفر في مثل سنّ السيّدة أمين، لكنّها كانت تعشق الدعاء والزيارة والعبادة، كما إنّها تحبّ زوجها وابنها وبيتها، فهي كما قال عنها الكاتب العراقيّ عبد الله سبيتي «إنّ حياة السيّدة نصرت أمين خليط امتزج فيها الكتاب والمحراب والزوج والولد»[3].

---

(1) نصرت أمين، **النفحات الرحمانيّة**، ص100ـ101.

(2) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص93.

(3) المصدر نفسه، ص94.

في «النفحات الرحمانيّة» الذي أنهت بانو أمين آخر كلماته في العام 1370هـ/ 1329ش (1950م)، وكتبته في أوقات متفاوتة ولمدّة طويلة، 56 نفحة رحمانيّة، وفي معظم الحالات، تجلّت أمام بصيرة السيّدة أنوار إحدى الآيات القرآنيّة. تعبّر السيّدة عن بعض هذه الحالات بكلمة الإشراق، وأحيانًا بكلمة الإلهام العرشيّ، أو الوارد الغيبيّ.

وعن مرتبة ظهور هذه الحالات النورانيّة والروحيّة تقول: «وما أشرق على قلبي في الأوايل كان كالعلوم النظريّة، أي كصور الأقيسة من كونها مركبة من الصغرى والكبرى، ولكن لم تكن مسبوقة بالفكر والنظر على النحو المتعارف، وبالتعليم والتعلّم، بل على نحوٍ آخر؛ أي كنت أجد القياس بصغراه وكبراه ونتيجته دفعة واحدة بإلهام من الله تعالى»[1].

تبدأ كلّ نفحة بعبارة مثل:

ـ سأل أحدهم: «...»، قلت: «...».

ـ صباح أحد الأيّام استيقظت وأدركت أنّ «...».

ـ صباح أحد الأيام تملكتني حالة، كأنّ أحدًا يسألني: «...».

ـ مرّة كانت حالة من الهمّ والغمّ والحزن قد تملّكتني، أحسست في داخلي بحالة من: «...».

ومثل هذه النفحات دوّنت في ما بعد لتكون نورًا يضيء قلوب القرّاء، مستمدًا من نور كلام كاتبته ومن أنفاسها.

في هذا العام أي العام 1950م، وكانت السيّدة قد أنهت هذا الكتاب،

(1) نصرت أمين، **النفحات الرحمانيّة**، ص14.

زار عبد الله سبيتي الكاتب والصحافيّ البغدادي طهران، واطّلع على كتاب السيّدة «الأربعون الهاشميّة».

وأخذ معه إلى بغداد «النفحات الرحمانيّة» هديّة لينشر بعض المقاطع منه في صحيفته.

ارتباطها بأهل البيت (ع)

زارت السيدة أضرحة أهل البيت تبركًا وطلبًا لرضا الله تعالى، وحصل أن نذرت نذرًا ـ كما تقول ـ لقضاء حاجة خلال زيارتها لضريح علي بن أبي طالب (ع) بأن تؤلف كتابًا عنه فيما لو قُضيت حاجتها، وهو ما حصل، فقد قُضيت الحاجة وجاء وثت الوفاء بالنظر، فكان كتاب «مخزن الآلئ في فضيلة مولى الموالي»[1]، وفيه يتجلّى بوضوح مدى حبّها لأهل البيت (ع)، وعشقها لهم، ولا سيّما أمير المؤمنين (ع).

تبدأ الكتاب بحمد الله (عزّ وجلّ)، والسلام على النبيّ (ص)، وعلى آل بيته (ع)، ثم تقول إنّ الدافع إلى تأليف هذا الكتاب، أنّها كانت في إحدى زياراتها للنجف الأشرف، قد نذرت نذرًا لقضاء حاجة، أن تؤلف كتابًا عن الإمام علي (ع)، ولما استجيب نذرها، وبدأت تفكّر بأدائه، استصعبت الأمر، وتهيّبت الخوض فيه، فالحديث عن الإمام أمير المؤمنين

(1) كتبته بالفارسية، من منشورات مؤسسة رعاية العائلات الفاقدة المعيل، إصفهان، شارع حافظ، مطبعة رباني 1389هـ/ 1970، ط3.

لم تذكر السيدة في نهاية الكتاب تاريخ انتهائها من تأليفه، وثمّة خلاف بين كتاب سيرتها حول الزمن الذي كُتب فيه، وإن كانت مريدتها السيدة علوية هُمايوني قد رجّحت أن يكون قد كتب بعد **أربعين الهاشمية** مباشرة. (زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، الحاشية، ص76).

(ع) يحتاج إلى زاد معنويّ كبير؛ وبعد تفكير مضن، والمرور بحالات من اليأس، تذكّرت بوضوح الحديث القائل: «إنّ ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جلّه»، فتجرّأت على تبيان بعض من فضائل الإمام ومناقبه، من دون الادّعاء أنّ بإمكانها شرح أيّ فضيلة من فضائله كما ينبغي؛ بل كانت تريد أن تقفو آثار خطى السالكين الماضين، وتقطف وردة من حديقة علمه، وتحصد سنبلة من بيدر إحسانه، لعلّها بذلك تُحسب من بين مريديه والموالين له، مشبّهة نفسها بتلك العجوز، التي رُويَ أنّها كانت حاضرة في سوق النخاسة، حين عُرض يوسف (ع) للبيع، وتسابق الخلق لشرائه بأثمان باهظة، فتقدّمت عارضة شراءه بشيء من غزلها، قائلة للمستهزئين بها، إنّها تعرف أنّها لن تحصل على يوسف بهذا الثمن الحقير، لكنّها تريد أن يُذكر اسمها من ضمن أسماء الراغبين في شرائه.

بعد ذلك، تذكر أنّها سمّت الكتاب «مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي»، وأنّها رتّبته في مقدّمة وخمسة أبواب وخاتمة، وأنّها أخذت في الحسبان أن تكون مباحثه مختصرة وبسيطة، ليستفيد منه القرّاء، كلّ بحسب قدرته ومستواه[1].

في المقدّمة مبحثان: الأوّل: شرح مختصر لسيرة الإمام (ع) وأحواله، ولأسمائه ومعانيها، وفيه كلام على أخلاقه وتواضعه، وطريقة معاملته للناس، وتقول: إنّ فضائل الإمام تفوق العدّ والحصر، ولكنّها ستشير إلى بعضها، وتتطرّق كذلك في هذا المبحث الأوّل إلى ذكر زوجاته وأولاده، وموضع ولادته، وتتحدّث عن أبيه وأمّه، وهيئته الخارجيّة، ومدّة عمره الشريف، واستشهاده.

أما المبحث الثاني من مبحثي المقدّمة ففي ثواب ذكر فضائل الإمام

(1) نصرت أمين، مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي علي بن أبي طالب (ع)، المقدمة، ص3ـ4.

ومناقبه، وثـواب سماعها وكتابتها وحفظها، من خلال الأحاديث التي رواهاالعلماء من السنّة والشيعة على السواء[1].

الباب الأول: في بيان فضيلة محبّة أمير المؤمنين (ع)، ويتضمّن ستة مباحث مهمّة ذات جانب معرفي وعرفانيّ وفلسفيّ أيضًا.

المبحث الأول، في شرح بعض الروايات الدالة على فضيلة محبّة أمير المؤمنين (ع)، وهي كما تقول كثيرة جدًّا، اكتفت بما اتفق على روايته السنّة والشيعة بطرق مختلفة، عن الرسول الأكرم (ص)[2].

في المبحث الثاني: تؤكّد أنّ المقصود بمحبّة علي (ع) حبّه على أساس مقام ولايته وإمامته، وليس فقط محبّة شخصه. وهذه المحبّة منوطة بمعرفته من خلال مقام عصمته وولايته المطلقة، أي بمعرفته النورانيّة، وهذه هي المحبّة المعادلة للإيمان، ومن كان في قلبه مقدار حبّة خردل من هذه المحبّة، لن يدخل جهنّم، وكلّ عاقل يعرف أنّ فضائل محبّته ليست ناشئة من كمالاته النفسيّة والطبيعيّة فقط، فعلى الرغم من أنّه يعدّ في جميع الكمالات والفضائل أكمل بني البشر بعد النبيّ (ص)، إلاّ أنّ بعض البشر قد اشتهروا ببعض الفضائل كما ذكرت الكتب التاريخيّة... وتقول: «نحن لا ننكر أنّ الكمال الطبيعيّ كالجمال مثلًا، والكمال النفسيّ كالصفات الحسنة والأخلاق الحميدة من بواعث المحبّة، لكن ليست هي المحبّة المنبثقة من محبّة الحقّ تعالى، تلك المحبّة المُنجية من العذاب...»، وبعد أن توضح بالأدلّة العقليّة والنقليّة فضيلة محبّة علي بن أبي طالب، تخاطب القارئ وتقول له: «إذا كنت تريد أن تحسب من شيعة أمير المؤمنين الخلّص، اسعَ إلى معرفته من خلال مقام النورانيّة والولاية، وأحببه على هذا الأساس، لا كما يحبّه العوام...؛ لأنّ المحبّة جاذبيّة إلهيّة، وهي سبب الاتصال المعنوي

---

(1) المصدر نفسه، ص5ـ9.

(2) المصدر نفسه، ص10ـ15.

بين المحبّ والمحبوب...، وقوّة المحبّة هذه تظهر لدى كلّ موجود على نحو خاص وباسم خاص، وللمحبّة من حيث مقدارها وكيفيّتها درجات، ولكلّ درجة حبها؛ أي أنّ أنواع المحبّة تختلف من حيث المقدار والشدّة والضعف، ومحبّة الإمام النابعة من معرفته لا تقاس على الإطلاق بالمحبّة الخالية من هذا التنوّع من المعرفة. كذلك ثمّة تفاوت في درجات العارفين بمقام الولاية والإمامة، إن من حيث أصل المعرفة، وإن من حيث مقدارها، وكلّما زاد مقدار المعرفة زادت المحبّة، وكلما زاد مقدار المعرفة ارتفعت فضيلة المحبّ ودرجته»[1].

تأتي بعد ذلك على ذكر الأدلّة النقليّة التي تؤكّد أنّ محبّته يجب أن تكون بحسبان مقام الولاية والإمامة[2].

تخاطب بعد ذلك القارئ بصيغة يا أخي، شارحة معنى قول الله (عزّ وجلّ) ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾، ثمّ تناقش موضوع العدل الإلهيّ، الذي هو أصل من أصول المذهب، وتُبيّن من هم البشر الذين لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، والذين هم كالأنعام؛ بل أضلّ منها، وتتحدّث عن العلاقة بين العدل الإلهيّ والرحمة الإلهيّة، وتصل إلى خلاصة مفادها أنّ مقتضى العدالة الإلهيّة والحكمة الإلهيّة أنّ الجنّة معدّة للذين آمنوا عن بصيرة، والنار للذين كفروا عن بصيرة؛ أي أنّ الجنّة دار الكرامة ومظهر رحمة الحقّ تعالى، وهي للذين فُتحت بصائر قلوبهم، الذين يعرفون أنفسهم ويعرفون ربّهم، وقد آمنوا بالدين الحقّ عن بصيرة، واتّبعوا أئمّة الهدى. أمّا جهنّم فهي دار الحساب والعقاب، ومظهر غضب الحقّ تعالى على الذين ينكرون الحقّ والدين

(1) المصدر نفسه، ص15ـ18.

(2) المصدر نفسه، ص18ـ20.

الحقّ تعصّبًا وهم يعرفون؛ أما المستضعفون من عوام الناس، فإنّ الله (عزّ وجلّ) يحاسبهم بحسب نواياهم ومن يحبّون[1].

المبحث الثالث[2]: من الباب الأول: في معرفة أمير المؤمنين (ع) بمقام النورانيّة: ما معنى مقام النورانيّة؟ وكيف يُعرف؟

إنّ مقام النورانيّة هو ولاية أمير المؤمنين (ع) المطلقة، وفي الحديث القدسيّ أنّ الله (عزّ وجلّ) خاطب النبيّ (ص) بقوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك»...، وفي آية المباهلة، جُعل أمير المؤمنين (ع) بمنزلة نفس النبيّ (ص)، وكلّ فضيلة من فضائل النبيّ (ص) باستثناء درجة النبوّة والرسالة، يتمتّع بها أمير المؤمنين (ع) أيضًا، وإلا فلا معنى لأن يجعله الله (عزّ وجلّ) في القرآن بمنزلة نفس النبيّ (ص)، وبمقام الروحانيّة محبّة الإمام هي محبّة النبيّ (ص) (الإنسان الكامل)، بناء على قوله (ص): «من أحب عليًا فقد أحبّني».

تفصّل بعد ذلك الكلام على الإنسان الكامل: من هو؟ وما هي صفاته ومقاماته؟ تقول في المقدّمة: «اعلم أنّ أوّل مقام من مقامات الإنسان الكامل أن يكون مزاجه في منتهى درجات الاعتدال، فقد قال الحكماء: «رأي العليل عليلٌ»، وأن تكون قواه الطبيعيّة قويّة ومحكمة...

وثانيًا، يجب أن يتمتّع بالكمالات النفسانيّة؛ أي يجب أن يكون أفضل أهل زمانه أخلاقًا وملكات حميدة، كالعلم والشجاعة والحلم والسخاء، ومن تنقصه ملكة واحدة من هذه الملكات، لا يكون إنسانًا كاملًا، وثالثًا، أن يتمتّع بالكمالات الروحيّة إلى أقصى الممكن، فكمال الروح متأتٍّ من مقام العبوديّة، ومقام العبوديّة يتحقّق بأمور أوّلها: الإعراض عن الدنيا وترك

(1) المصدر نفسه، ص21ـ26.

(2) المصدر نفسه، ص27ـ36.

الملذّات...، فكل من يريد أن يخطو خطوة في مرحلة الإنسانيّة، يجب أن يبتعد عن مرحلة الحيوانيّة، وأن يتحرّر من ربقة الشهوات الحيوانيّة، وإلّا فإنّ السموّ بالنسبة إليه صعب؛ بل محال...، وثانيها المواظبة على الطاعات والعبادات، مع مراعاة شروط الصحّة والقبول، وممّا يمنع قبول العبادات كما ورد في الحديث الصفات الرذيلة والأخلاق غير الحميدة، مثل الكبر والحسد والعُجب والحرص وغيرها، وكلّ صفة من هذه الصفات مانع من موانع قبول العبادات؛ لأنّ الله (عزّ وجلّ) ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]... وثالث الأمور التي تتحقّق العبوديّة بها تهذيب الأخلاق، أي ارتقاء النفس عن الصفات الحيوانيّة واتّصافها بالصفات والأخلاق الإنسانيّة التي تنبثق عنها ملكة العدالة التي هي الحدّ الفاصل بين الإفراط والتفريط... وبالنسبة إلى معيار معرفة الحدّ الوسط، فهو الأحكام الإلهيّة التي حدّدها لنا الشارع المقدّس. ورابع الأمور التي تتحقّق بها العبوديّة، التوجّه إلى الحقّ تعالى؛ أي أنّ الإنسان بعد الإعراض عن الدنيا، وقطع العلائق بها، وبعد تهذيب أخلاقه، واتّباع النبيّ (ص) وأئمّة الهدى (ع)، يتوجّه في جميع أحواله إلى الحقّ تعالى، مستندًا في أفعاله وأعماله وأقواله إليه، منقادًا ومطيعًا له، لا يبتغي إلا رضاه، ولا يرى في الوجود مؤثرًا إلاّه، وبالمداومة على هذه الأمور، تحصل لديه الحالة الحضوريّة...، ويرى بعين القلب أنّ جميع الموجودات مضمحلة في سعة وجوده (جلّ وعلا)، وكلّ العلوم مضمحلة في علمه الأزليّ الأبديّ، وجميع القدرات مضمحلة في قدرته التامة. ومن يصل إلى هذا المقام يكون قد وصل إلى مقام العبوديّة، ومن مقام العبوديّة ينبثق مقام الربوبيّة، أي أنّ الإنسان الكامل يتّصف حينها بالصفات الإلهيّة، ويتخلّق بالأخلاق الربوبيّة...»[2].

ثمّ تقول للقارئ: «إن كنت تريد أن تعرف إمامك ومولاك بمقام

---

(1) سورة المائدة: الآية 27.

(2) نصرت أمين، **مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي علي بن أبي طالب (ع)**، ص27ـ36.

الإمامة والولاية، لتعدّ من شيعته الخلّص، اصقل نفسك أوّلًا بتخليتها من الرذائل، وتحليتها بزينة الفضائل: ومعنى التخلية، تخلية القلب من العلائق الماديّة والصفات الحيوانيّة، ويتحقّق ذلك بترك الأماني والآمال، وترك الكبر والغرور والأنانيّة والخيلاء، أمّا تحلية القلب فتكون بالصفات الملكوتيّة والأخلاق الإنسانيّة، وتخليته من الصفات الحيوانيّة... وفائدة التخلية والتحلية أنّ الروح المجرّدة الخارجة من حدود الزمان والمكان، التي هي شعاع من أشعّة النور الإلهيّ، ومن عالم الأمر، ومصدر مشيئة الحقّ تعالى، المودعة في الإنسان، تتجلّى وتظهر، وحينئذ يعرف الإنسان نفسه، ويعرف ربّه، ويفهم أنّه ليس هذا البدن الترابيّ، وإنّما هو هذه الروح الشريفة، التي نفخها الله فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1]، لذلك قال النبيّ (ص): «من عرف نفسه عرف ربّه»، والمقصود معرفة روحه الإنسانيّة الصادرة عن المشيئة الإلهيّة الكاملة، وهي أنموذج عالم المجرّدات؛ والخلاصة أنّ الإنسان إذا أراد أن يعرف أولياء الله، أوّلًا: يجب أن يصقل نفسه؛ ليزيل الحجب الظلاميّة التي تحجب أنوار العالم النورانيّ أو تتخلّلها، فيصل إلى مرتبة التجرّد الروحي، حينئذ يعرف تجلّي الروح الإلهيّة، وبمعرفة الحقّ تعالى تُعرف النفوس القدسيّة للمقرّبين...، لكنّ الناس في معظمهم غافلون عن هذه الروح الملكوتيّة، وينظرون إلى الإنسان على أنّه هذا البدن الترابيّ فقط، ويحسبون الإدراكات محصورة بالمحسوسات...».

«ولعلّ هذا هو المقصود من إرسال الرسل وتنزيل الكتب السماويّة التي توقظ الناس من نوم الغفلة، وبالوعد والوعيد تحضّ الناس على عبادة الخالق، وتمنعهم من اتّباع النفس الأمارة، فتظهر لديهم الروح الملكوتيّة الإلهيّة، ويسعون إلى العثور على السبيل الذي يوصلهم إلى معرفة الحقّ

(1) سورة ص: الآية 72.

تعالى، فيعرفون الله، ويعرفون أولياءه؛ لأنّ معرفة الأولياء معرفة للحقّ تعالى، ومعرفة الحقّ تعالى معرفة لأنفسهم».

تقول: «يتبيّن من خلال ما ذكرناه أنّ شخص النبيّ (ص) أو الإمام (ع) يجب أن يكون أفضل أهل زمانه من هذه الجوانب الثلاثة: أي الكمال الطبيعيّ، والكمال النفسيّ، والكمال الروحيّ، وعن هذه المقامات الثلاثة ينشأ مقام العبوديّة، وفي الحديث أنّ «العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة»»[1].

تفصّل بعد ذلك الكلام على معنى العبوديّة، ومعنى الربوبيّة، وتصل إلى قضيّة كيفيّة معرفة الله، وتفسّر الحديث: «بنا عُبد الله وبنا عُرف»، ثمّ تعرّف الجانبين البشريّ والملكوتيّ لدى النبيّ (ص) ولدى الإمام (ع)، لتصل إلى نتيجة مفادها أنّ المحبّة (محبّة الإمام) من خلال المعرفة بمقام ولايته وإمامته، هي بعينها معرفة الحقّ تعالى ومحبّته، وهذه المحبّة هي التي تُبعد المحبّ عن المعاصي، ومن كان لديه من هذا الحبّ مقدار حبّة الخردل لا يدخل جهنم، وهذه المحبّة ليست هي المحبّة السطحيّة التي يدّعيها معظم عوام الشيعة، وأما معنى الحديث «حبّ علي حسنة لا تضرّ معها سيئة»، فهو أنّ هذا الحبّ إن كان من خلال المعرفة، فإنّه يمنع المحبّ من ارتكاب المعاصي، وليس كلّ قلب يليق بمثل هذه المحبّة، إلّا ذلك القلب الذي يجتاز الامتحان، ويخرج نقيًّا كالذهب الخالص[2].

وتقول: «الخلاصة أنّ من يريد أن يشعّ في قلبه نور الولاية، يجب عليه قبل كلّ شيء أن ينقاد لحكم الإمام ويطيعه، ويجتث جذور الشجرة الخبيثة من بين جذور الشجرة الطيّبة التي هي محبّة ولايته، ومن خلال النور الذي يظهر في باطن المحبّ ويشع، يعرف الإمام بنورانيّته وولايته المطلقة، وهذا هو المقصود من معرفة علي بالنورانيّة... وهذه المعرفة والمحبّة لا تتأتيان

(1) المصدر نفسه، ص40.

(2) المصدر نفسه، ص41ـ43.

إلّا بتهذيب الأخلاق والاتصاف بالصفات الحسنة، وترك اتباع الهوى والنزوات والأماني الباطلة والآمال العريضة، والتسليم والانقياد لأحكام الإسلام الشرعيّة المقدّسة، واتّباع النبيّ (ص) وأئمّة الدين المبين، وقطع العلاقة بما سوى الله، والتوجّه إلى الحقّ بجميع القوى والمشاعر...».

ثمّ تقول: «إنّها تحبّ أن تكرّر وتذكّر أنّ القلب الذي لم يُصقل، ولم يتخلّص من آثام الحاجات الطبيعيّة، لا يمكنه أن يعرف الإمام بالنورانيّة وبالجوانب الملكوتيّة»[1].

تنتقل إلى شرح فائدة محبّة مولى الموالي علي أمير المؤمنين (ع)، وأنّ موضع هذه المحبّة الروح الإيمانيّة، وليس النفس الحيوانيّة، ولا بدّ قبل ذلك من تعريف المحبّة[2].

ما هي المحبّة؟ إنّ المحبّة جاذبية عامّة وميل فطريّ، وهي أساس الحياة، وما من موجود من موجودات العالم يخلو من هذا الميل الطبيعيّ. إنّ المحبّة سرّ من الأسرار الإلهيّة، وهي أساس الخلق، سارية في مكامن بواطن الموجودات، وهي كالنور ذات مراتب ودرجات: طبيعيّة، وحيوانيّة، وإنسانيّة، وروحانيّة، ورحمانيّة.

وبعد أن تشرح الأنواع الثلاثة الأولى...، تقول عن المحبّة الروحانيّة[3] «إنّها الميل الروحيّ، ومنشأه القوّة الملكوتيّة، و(الجاذبيّة الإلهيّة)، التي يميل الإنسان بواسطتها إلى عالم المجرّدات، فيحسّ بلذّة الوصول والاتصال الروحانيّ واكتساب العلوم اللدنيّة، وتلك القوة هي: مصباح الهداية، تدلّ الإنسان وتقوده نحو العلوم الإلهيّة والعشق الحقيقيّ؛ لأنّ كلّ فرع يطلب أصله، ويسعى إلى الاتصال به، فيتمم به نواقصه».

---

(1) المصدر نفسه، ص43.

(2) المصدر نفسه، ص44ـ45.

(3) المصدر نفسه، ص46ـ47.

«والخلاصة أنّ نور المحبّة هو الظاهر والساري في تمام ذرات الكائنات، وهو الضوء الذي يظهر في الأفلاك والكرات بصورة حركة دوريّة، وفي العناصر بصفة الميل الطبيعيّ، وفي النباتات بمبدإ النشوء والنماء، وفي الحيوانات بصورة الشهوة والغضب، وفي النفوس الإنسانيّة الكاملة بصفة العشق الحقيقيّ، ومن ينظر بعين البصيرة إلى العالم بأسره سيرى أنّ كلّ ما في هذا العالم من الملإ الأعلى إلى أدنى التراب، ما من ذرّة خالية من نور العشق والمحبة...؛ لذا فإن قدر كلّ إنسان يعرف بقدر الميل والمحبّة المودعة في بنيته. وإن لم يشعر الإنسان أنّ لديه ميلًا إلى العالم الروحانيّ واكتساب المعارف الإلهيّة، وصرف همّته في أمور هذه الدنيا الفانية، ولم يجد في نفسه سوى الميل إلى لذات الغرائز الحيوانيّة، فهذا الشخص حيوان وإن كان يُشبه الإنسان بالاسم والمظهر، وهو من الذين وصفهم الله (عزّ وجلّ) أنّهم كالحيوانات أو أدنى مرتبة».

...وعن المحبّة الرحمانيّة[1] تقول: «إنّها تلك المحبّة الإلهيّة المنبعثة من صفة رحمانيّة الحقّ تعالى»، وتخاطب القارئ، وتقول له: «إنّ الله (عزّ وجلّ) بالمحبّة خلق الخلق، فإذا كنت تريد أن تعرف نفسك، وتعرف في أيّ درجة ومرتبة من مراتب الوجود أنت، انظر في نفسك، وإلى أيّ شيء تميل، وأيّ شيء تريد. هل يتغلّب لديك الجانب الحيوانيّ أم الجانب الإنسانيّ؟

وهل نزل عليك شعاع من العالم العلويّ والملكوتيّ؟ وأنت ميّال إلى الملذّات الروحانيّة وإلى اكتساب المعارف الإلهيّة، وتشعر باللذّة إن أنت وصلت إليها، أم أنّك تجهل كلّ الجهل ذلك العالم؟ إنّ المعيار الصحيح ليعرف الإنسان نفسه، أن يعرف في أيّ درجة ومقام ميوله ومحبّته، وإلى أيّ جهة وأيّ عالم يميل، فهو في نهاية الأمر سيدخل ذلك العالم ويُحشر مع أهله...».

---

(1) المصدر نفسه، ص47-48.

ثمّ تقول: «يتبيّن ممّا قلناه سرّ فوائد محبّة الأمير، التي لا يمكن إحصاؤها؛ لأنّ المحبة ـكما مرّـ النابعة من المعرفة بمقام نورانيّة هذا العظيم هي بعينها محبّة الحقّ تعالى، وهي قرينة الإيمان، وحين تتملّك محبّة الله (عزّ وجلّ) ومحبّة أوليائه مجامع قلب العبد المحبّ، تصفّي القلب من أدران الغرائز والكبر والغرور، فتقوى روحه الإيمانيّة، ويبتعد عن الصفات الدنيئة والأخلاق السيّئة...، وهذا العشق هو الذي يدفع الإنسان إلى جادة الحقيقة ونبع فيض الأحديّة، فيلتذّ في الدنيا والآخرة بلذّة لم ترَها عين، ولم تسمع بها أذن، ولم تخطر ببال أحد...، وهذه المحبّة موطنها الروح الإنسانيّة وليس النفس الحيوانيّة؛ لأنّ النفس الحيوانيّة في معرض الفناء والزوال، وهذه المحبّة نورٌ من أنوار الألوهيّة، وتجلّ من تجليّات جمال الأحديّة، وأمر حقيقيّ ودائم، ومحلّها الحقيقيّ الدائم ليس سوى روحنا التي لا تفنى، تلك الروح التي مصدرها المشيئة الإلهيّة (عالم الأمر)، وقد قال (عزّ وجلّ) ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾»[1].

بعد ذلك تتطرّق إلى تبيان مراتب المحبّة[2]...

الباب الثاني[3]: في شرح ميزات أمير المؤمنين وفضائله وهو في ثلاثة مباحث... يتشعّب الكلام في هذا الباب على فضائل أمير المؤمنين، وعلى وصفه بالقرآن وتشبيهه بالنور، والشرف الذي يناله واعيه وحافظه، وعلى معنى المحبّة الطبيعيّة والحيوانيّة والإنسانيّة، وتعريف المؤمن الكامل، واجتماع المتضادات في عليّ (الشجاعة والرحمة، وأمثال ذلك)، وقربه المعنويّ، وماذا يعني القرب المعنويّ، وأنّ من علامات القرب العلم والقدرة، وتتحدّث عن علاقة فضائل الإمام بأقسام التوحيد الأربعة: أيّ التوحيد في مقام الذات، والتوحيد في مقام الأفعال، والتوحيد في مقام

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه، ص49ـ50.

(3) المصدر نفسه، ص50ـ100.

الصفات، والتوحيد في مقام العبادة والشفاعة بإذن الله، وما معنى حديث النبيّ (ص) إنّ القرآن والعترة لا يفترقان وحكاية غدير خم، وأهل الكساء، وأنّ المحبّة هي سبب الاتحاد؛ لأنّ كلّ إنسان يوم القيامة يُحشر مع من يُحبّ، لأنّ علقة المحبّة تؤدّي إلى الاتحاد، والاتحاد يؤدّي إلى ظهور صفات المحبوب في مرآة قلب المحبّ...، أمّا حبّ علي والاقتداء به فيكون أوّلًا بالاقتداء بكلامه ومواعظه ونصائحه...

وثانيًا، الاقتداء بأعماله وسيرته العطرة، وعباداته وعبوديّته، ومن سار على نهجه هذا، فقد اهتدى إلى طريق النجاة، ومن خالفه هلك في ظلمة التكبّر والعناد... وثالثًا: الاقتداء بأخلاقه الحميدة وصفاته وملكاته الملكوتيّة، وكلّ منها أنموذج يقتدي به المحبّ... ورابعًا: الاقتداء بحقيقة روحانيّته، وبارتباط وجوده، واستغراقه في لجّة بحر عظمة الحقّ تعالى.

وتصل إلى خلاصة[1] مفادها أنّ أثر محبّة من يحبّون الله ويحبّهم الله (وهذه حال علي (ع))، الاتصاف بصفاتهم: فبقوّة المحبّة التي هي كالمغناطيس تتولّد الصلة بين المحبّ والمحبوب، فيتصف المحبّ ببعض صفات المحبوب. من هنا يتبيّن أنّ المعيار الصحيح لمعرفة محبّي الأمير، أن يكون ظاهرًا في وجودهم بعض صفاته الحميدة وأخلاقه الملكوتيّة، ومن خلال هذه المحبّة يصبح المحبّ حبيب الله، ويبلغ بواسطته قرب جوار الأحديّة. هذا هو السرّ في أنّ حبّ علي إيمان وعداوته كفر. ويتبيّن أنّ المحبّة هي الأمر الوحيد الذي يرفع الإنسان من حضيض الطبيعة الأرضيّة إلى قمّة السعادة والرفعة الملكوتيّة.

الباب الثالث[2]: في ذكر بعض معجزات أمير المؤمنين (ع)، وهو يتألّف من مبحثين:

---

(1) المصدر نفسه، ص100.

(2) المصدر نفسه، ص100ـ142.

- **المبحث الأول**: في شرح بعض المعجزات والكرامات المتفق عليها بين السنّة والشيعة.

- **المبحث الثاني**: المعجزات التي ذكرها الشيعة وحدهم.

الباب الرابع[1]: في شرح صفات أمير المؤمنين، وسيرته الحميدة، ويشتمل على مبحثين:

تقول: في **المبحث الأوّل**، «لا أحد من المسلمين ينكر أنّ أمير المؤمنين قد وصل في جميع الفضائل والملكات النفسانيّة إلى منتهى درجات الكمال، وهذا من المسلّمات لدى السنّة والشيعة، ولتوضيح هذا الأمر تقول: إنّ الإنسان يفضلُ الموجودات بأخلاقه الفاضلة وصفاته الإنسانيّة؛ لأنّ الإنسان خلاصة عالم الوجود وأنموذجه، والجامع للصفات الحميدة...، وملكة العدالة هي الجامعة للصفات الحميدة، وهي ناجمة عن العفّة والشجاعة والحكمة، ومن يمتلك ملكة العدالة هو حتمًا أشرف الموجودات. وأوّل درجة من درجات العدالة أن يكون الإنسان منزّهًا عن الصفات الدنيّة البهيميّة، متّصفًا بالصفات الإنسانيّة الحميدة، والإنسانيّة ليست بالقامة المتناسقة واللباس الفاخر والجمال الظاهر؛ بل الإنسان الكامل هو الذي ابتعد عن الأخلاق السبعيَّة البهيميّة، وجعل قلبه مهبط الأنوار والفيوضات اللامتناهية، فأصبح كالمرآة المصقولة تتجلّى فيه أشعّة أنوار اليقين والعرفان، ومن افتقد هذه الدرجات، يجب أن يُمحى اسمه من صحيفة البشريّة، ويحسب في زمرة السباع والبهائم...

هذه أولى درجات العدالة، وأوّل خطوة يخطوها الإنسان في دائرة الإنسانيّة، أما آخر درجة من درجات العدالة، فهي أن يُعدّل قواه إلى حدّ أن تتولّد لديه حقيقة روحانيّة، تكون هي الآمرة الناهية على مملكة بدنه، بحيث

(1) المصدر نفسه، ص143.

تصبح كلّ قواه ومشاعره مطيعة ومنقادة لتلك الحقيقة، وهذه الملكة هي ملكة العبوديّة[1]، والمقصود بملكة العبوديّة تلك القوة الروحانيّة التي تُظهر لديه حالة من الطاعة والعبوديّة والنفسيّة، فلا يعود مالكًا لنفسه، ولا لقواه، وتصبح جميع خياراته في يد تلك القوّة، وبهذه القوّة يعبد الله، من دون أن ينتظر أجرًا ولا بدلًا، كما قال الأمير (ع): «ربّي ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا بجنتك، ولكنّني وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك»[2]... ومن جملة الصفات الحميدة؛ بل أهمّها صفة العلم، وباعتراف المحبّ والقالي، كان علي أعلم الناس بعد النبيّ، ألم يقل (ص): «أنا مدينة العلم وعلي بابُها»؟ ألمْ يربّه النبيّ؟ فنور علمه مستمدّ من مشكاة النور المحمديّ، وهو في العلم؛ بل في جميع الصفات يلي النبيّ (ص) مباشرة. ومن تلك العلوم؛ بل فوقها كلّها علم التوحيد... ومن يرجع إلى خطب الإمام، يرى فيها من علوم التوحيد والنبوّة والمعاد، والقضاء والقدر، ما يفوق قدرة البشر. ومن الثابت بالأدلّة أنّ أوائل علماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، قد أخذوا علم التوحيد عن علي، ومن العلوم أيضًا علم التفسير، ورئيس المفسرين ابن عباس، قد أخذ علمه عن علي، وأما بالنسبة إلى علم الفقه، فالنبي قد قال «أقضاكم علي»...، وأما علم تصفية الباطن، فمعلوم أنّه سيّد الموحّدين ورئيس العارفين، والعرفاء جميعًا يفاخرون بانتسابهم إليه، وأينما وجد علم أو معرفة أو كمال، فهو قطرة من بحر علمه، وكلّ واحد يأخذ من هذا البحر المحيط، بقدر مساهمته واستعداده... وهو واضع علم النحو...، وإذا كان شرف الإنسان بقدر علمه، فإنّه أشرف الناس بعد رسول الله...»[3]. ومن صفاته الحميدة الأخرى التي فضّلت السيّدة الكلام عليها، صفات: السخاء،

(1) المصدر نفسه، ص143ـ147.

(2) المصدر نفسه، ص148.

(3) المصدر نفسه، ص150.

والكرم، والإيثار، والشجاعة، والحلم، ومن فضائله ومناقبه التي كتب عنها علماء الشيعة والسنّة الكتب وأفاضوا: الزهد والإعراض عن الدنيا[1]...

في المبحث الثاني من الباب الرابع: تحدّثت عن بعض الصفات الروحيّة والجوانب الملكوتيّة التي كان يتصف بها أمير المؤمنين: «والمقصود بها الصفات المنبثقة عن الروح المجرّدة المرتبطة والمستغرقة في بحر عظمة الحقّ تعالى: إنّها الروح، القوّة الملكوتيّة التي أوجدها الله (عزّ وجلّ) في الإنسان وشرّفه بها على باقي المخلوقات: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، هذه الروح الإلهيّة لا تظهر لدى أكثر الناس، إمّا لنقص في الاستعداد، أو لاشتغال النفس بالأمور الدنيويّة، أو لاتّباع الأماني والأوهام؛ بل ربما قضت عليها النفس الأمّارة والشيطان تدريجيًّا، وهذه القوّة لا تظهر إلا لدى الأنبياء والأولياء، وهي هذه الروح المجرّدة، مصدر الإلهامات الإلهيّة، ومصدر الفيوضات الربانيّة، وبها يتّصف الإنسان الكامل بالصفات الإلهيّة، كما ورد في الحديث القدسيّ، أنّ الله (عزّ وجلّ) أوحى إلى داوود أن «تخلّق بأخلاقي، وإنّ من أخلاقي الصبر»...

والخلاصة أنّ أيّ إنسان تظهر لديه هذه الروح الإلهيّة، تظهر لديه تاليًا الصفات الربانيّة، والآثار الملكوتيّة، وهذا تفسير قول الإمام: أنّ لديه علم ما كان وما يكون»[2]

الباب الخامس: المواعظ التي تستفاد من خطب أمير المؤمنين، ترجمت فيه بالفارسيّة بعض خطب الإمام، وشرحت مقاصده كما فهمتها.

وفي هذا الباب عدّة مباحث:

تقول: «إنّ ما يستفاد من كلام أمير المؤمنين (ع): الترغيب بالزهد،

---

(1) المصدر نفسه، ص152ـ153.

(2) المصدر نفسه، ص154ـ155.

والعزوف عن الدنيا، وتهيئة الزاد للآخرة، وسرعة انقضاء الساعات والدقائق والثواني، وقرب الفناء والفراق...

ومدّة العمر هي زمان العمل، وترويض البدن على الرياضات النفسيّة والشرعيّة، والأعمال الصالحة والتوبة...، وتمييز الحق من الباطل...، ويجب على الإنسان أن يتخلّص من الأحابيل التي ينصبها له الشيطان، والنفس الأمّارة، وأن يربط شجرة وجوده المرّة بالشجرة الطيّبة، شجرة وجود النبوّة والإمامة؛ أي أنّه بعد أن يُحكم علقة المحبّة بمحمد وآل محمد، يقتدي بهم في جميع أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، لينجو من البئر الحمئة، بئر الطبيعة، ومن أحابيل الوساوس الشيطانيّة، ليصل سالمًا إلى المنزل المقصود، فيتذوّق من شجرة حياته الفاكهة الحلوة الطعم، أي محبّة الله تعالى والأنس به، ويجد نفسه في سلك السالكين والسائرين نحو الله والفائزين بقربه...»[1]. ثمّ تقول: «مما يستفاد من كلام الإمام أنّ الإنسان لا يجوز أن ييأس من رحمة الحقّ تعالى غير المتناهية، ومن اتقى الله لا ييأس من رحمته»[2]، وتشرح بعد ذلك معنى «خير الزاد التقوى»، وتقول: إنّ التقوى، هي حفظ النفس من كلّ ما يمنع الإنسان من الوصول إلى قرب الأحديّة، والحصول على رضى الله، والتقوى درجات ثلاث: الأولى: الكفّ عن محارم الله، أي عدم اقتراف المعاصي، والثانية، عدم التخلّي عن أوامر الله ونواهيه، أي العمل بالأحكام الشرعيّة، والثالثة: منع القلب من التعلّق بغير الحقّ تعالى، أي صرف الهمّة للتوجّه إلى الحقّ تعالى لتحصيل القرب منه، وذلك بتنقية القلب من زينة الحياة الدنيا، والنظر إلى الموجودات من خلال الوجه المرتبط بالحقّ تعالى، ليرى فيها آثار الحق...»[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص156ـ159.

(2) المصدر نفسه، ص159.

(3) المصدر نفسه، ص160.

ويستفاد من كلام الإمام أيضًا في معنى الزهد: «أنّه أعلى درجات الأخلاق الحميدة، وأشرف الصفات المحمودة، ومن غير الممكن السلوك إلى الله تعالى من غير الزهد، وفي نهج البلاغة أنّ الزهد بين كلمتين: «لكيلا تيأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم»، ويُستفاد من كلام الإمام أنّ الزاهد هو القليل الرغبة بالدنيا، لا يحزن على ما فاته منها، ولا يفرح بما آتاه؛ أي أنّ حالته هي هي في السرّاء والضرّاء، ولا تحصل هذه الفضيلة إلّا لمن أعرض عن الدنيا، وعن ملذّاته الوهميّة...، ولازمه الزهد: الإعراض عن الدنيا، وشكر المنعم، والورع عن محارم الله...»[1].

تناقش بعد ذلك ما يبدو تناقضًا بين ما قاله علماء الأخلاق من أنّ معنى الزهد الإعراض عن الدنيا، وعدم الرغبة بها للوصول إلى نعم الآخرة، وما جاء في القرآن من حثّ المؤمنين على أن لا يحرّموا طيبات ما أحلّ الله لهم، أو ما جاء في الحديث من أنّ الزهد ليس بتضييع المال أو تحريم الحلال، إنّما الزهد في الدنيا، هو ثقة الإنسان بأنّ ما في يده أقلّ مما هو لدى الله...

تقول: «ظاهريًّا وسطحيًّا يبدو أنّ ثمّة تناقضًا، لكن إن نحن أمعنّا النظر يتبيّن أن لا تناقض؛ لأنّ بالإمكان الجمع بينها، والقول إنّ حقيقة الزهد، كما يدلّ معناه اللغويّ، هو عدم الرغبة بالدنيا، وعدم التعلّق بها، لكن هذا الأمر، كما قلنا، من الفضائل الأخلاقيّة، والصفات الإنسانيّة الحميدة، وترك المباحات من لوازم عدم الميل إلى الدنيا والتعلّق بها، وليس هو حقيقة الزهد، فالزهد صفة باطنيّة، وترك المباحات من لوازمه، فحين لا يكون لدى الإنسان همّ سوى الدنيا، ولا يتوجّه أبدًا إلى الحقّ تعالى، يتسلّط عليه الشيطان، ويوقعه في حبائله، ويسدّ الطرق في وجهه، إلّا إذا حباه الله من فضله، وخلّصه من حبائل الشيطان...»[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص161ـ165.

(2) المصدر نفسه، ص166ـ167.

تقول: «هذا هو معنى الزهد الذي امتدح في الآيات والأحاديث، وعدّه علماء الأخلاق من مزايا الصالحين، وعدّ العرفاء طريق السلوك إلى الله منحصرًا به.

والخلاصة أنّ للزهد علامتين: الأولى عدم التعلّق بشيء من أمور الدنيا، والاتكال على الله. ولا يعني ذلك أنّ الزاهد غير راغب بالدنيا، يقفل على نفسه، ويجعل التواكل شعارًا له باسم الزهد، فهذا مخالف للحكمة ولنظام العالم»[1].

أمّا العلامة الثانية فقصرُ الأمل، فطالب الآخرة والفيوضات الربانيّة تقلّ حتمًا أمانيه وآماله الدنيويّة؛ لأنّه يتطلّع إلى نعم الآخرة، والفرق بين نعم الآخرة ونعم الدنيا كالفرق بين الجواهر والخزف... بعد ذلك تورد ما جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، الذي تعدّه أفضل كتب علم الأخلاق، حيث يقسّم الزهد إلى ثلاثة أقسام:..ثالثها وأرفعها زهد المحبّين والعارفين، أي أنّ الشخص لا يحبّ الله إلّا إن عرفه، ومن عرف الله، يدرك عدم إمكانيّة الجمع بين الملذّات النفسيّة والتنعّم بمشاهدة الأنوار الإلهيّة، وما أشبه حال طالب الحظوظ النفسانيّة، تارك الحظوظ الروحانيّة بحال الطفل الذي يترك الملك والسلطنة، وينشغل بملاعبة العصفور، وهذا لصغر عقله، وليس لأنّ الانشغال بالطائر في نفسه ألذّ من الملك والسلطنة، ولا تظنّن أنّ أهل الجنة مقابل الأنوار الإلهيّة يولون أهميّة لنعم الجنة، وهذا القسم من الزهد يعدّ من أعلى مقامات العارف بالله.

ثمّ تعلّق بقولها: «أذكر أنّ الشخص يُحسب من بين الزاهدين والدنيا مقبلة عليه، وهو معرض عنها، لا ذاك الذي تركته الدنيا، وتخلّت عنه...»[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص168.

(2) المصدر نفسه، ص169ـ170.

أمّا صفات المؤمن الكامل، التي استخلصتها من كلام أمير المؤمنين[1] فهي أنّه:

1ـ يمضي عمره حزينًا على تقصيره في ما مضى من عمره في العبادة، واكتساب القرب من الحقّ تعالى، ومتفكرًا في آخرته، أين سينتهي به المطاف بقرب جوار الأحديّة، أم ينتهي في الدرك الأسفل؟...

2ـ يخاف من سوء عمله؛ لأنّ العمل السيّئ يشكّل حجابًا بينه وبين أنوار عظمة الحقّ تعالى.

3ـ يضيء قلبَه نور المعرفة الإلهيّة الحقة، وبهذا النور يهتدي إلى الطريق الموصل إلى مقام القرب من ربّ العالمين.

4ـ الموت بالنسبة إليه ضيف منتظر قدومه، وكما يستعدّ الإنسان لاستقبال الضيوف يستعدّ للموت، بأن يطهّر قلبه وسريرته، وينقيهما من الأغيار، ويزيّنهما بزينة الطاعات والعبادات، ويتهيّأ ليوم الموت الذي هو يوم لقاء الحق تعالى.

5ـ ومن الصفات التي يتميّز بها حبيب الله ومحبّه، أنّه دائم التفكير في عجائب الملك والملكوت، يستمدّ معارفه وعقائده من المقدّمات اليقينيّة، كما قال شيخنا البهائي:

فكركم إن كـان فـي غير الحبيب ... ما لكم في النشأة الأخرى نصيب
فاغسلوا يـا قـوم عـن لـوح الـفـؤاد ... كل علم ليس يُنجي في المعاد

6ـ ومن صفاته أنّه يمضي معظم أوقاته ذاكـرًا الحقّ تعالى بقلبه

(1) المصدر نفسه، ص171.

ولسانه، إلى أن يشعر من أعماق قلبه بالطمأنينة ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

7ـ العلوم والمعارف الإلهيّة تشبه الماء الزلال الصافي، الذي يرشح في قلب العالم العارف، فيروي ظمأه، ولا يعود محتاجًا إلى شربه ثانية؛ لأنّ العلوم الحقّة، حين تحتلّ قلب العبد المحبّ، تزيل عنه ظلمة الجهل بالكامل، وتصفّي قلبه من أدران الطبيعة.

8ـ المؤمن الكامل، حبيب الله ومحبّه، يخلع لباس الشهوات التي تسوّد القلب، وتحجب عنه تجلّي الأنوار الإلهيّة.

9ـ لا يسلك إلا الطريق المستقيم الذي يوصله إلى جوار الحضرة الإلهيّة.

10ـ إنّ مطلبه ومراده ومقصوده وهمّه لقاء الحقّ تعالى، والوصول إلى قربه، ومنتهى أمله مطالعة جماله وجلاله، وسروره في مناجاته وذكره، وحين يتوحّد لدى الشخص الهمّ والمقصد، ويظهر شعاع من النور الأزلي في مرآة قلبه، سترى كلّ ذرة من ذرّات وجوده مظهر ذات الحقّ تعالى، فيصبح حينئذ هو المحبّ والمحبوب في الوقت عينه.

11ـ حين يصل المحبّ إلى هذا المقام، سيشعّ في قلبه نور بصيرته، فيتفتح قلبه ـ ويصبح مبصرًا، ويدرك المعارف الحقة وأسرار الخلقة، ممّا لا يدركه الآخرون ولا يفهمونه؛ فيخرج حينئذ من صفة العماء ومشاركة أهل الأهواء، ويصبح من مفاتيح باب الهداية، ومن أقفال أبواب الضلالة، فيهدي الناس بقوله وفعله وسيرته ووجوده كلّه، إلى طريق الحقّ والحقيقة، ويصدّهم عن الهلاك والضلالة، ويرى بعين البصيرة الطريق المستقيم الذي أمر بأن يسلكه بحركاته وسكناته وأفعاله، إلى أن يصل إلى الحدّ المقصود،

(1) سورة الرعد: الآية 28.

طريق محمد وآل محمد ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1] ـ وهو يعلم بعين البصيرة والنور الذي شعّ في قلبه علامات الطريق المستقيم ومعالمه، ولعلّ المقصود أنّ السالك إلى الله تعالى بعين القلب والصدق يعرف أئمّة الدين، فينجو من الضلالة، ليصل باتّباعه لهم إلى حظيرة القدس الإلهيّ جلّ شأنه.

12ـ من الصفات التي تميّز حبيب الله ومحبّه، أنّه لا تؤذيه المشقّات والمصاعب؛ لأنّ القلب المتوجّه إلى الله تعالى، والمطّلع على العالم الروحانيّ، لا ينظر إلى الدنيا وما فيها بعين بصيرته إلا ككومة تراب، ومبنى خراب، وبحر يباب، ومن ينظر إلى الدنيا على هذا النحو، لن يتألم، ولن يحزن أبدًا لفقدها...، وينظر إلى جميع الموجودات والكائنات بعين الرأفة والمحبّة، ويطهّر قلبه من داء التفرقة والثنائيّة والضديّة، وينظر بمحبّة إلى جميع الناس أسودِهم وأبيضهم، ووضيعهم وشريفهم، على أنّهم متساوون، كما قال الشاعر العارف:

أنا عاشق للعالم كلّه فكلّ العالم صادر عنه

13ـ إنّ حبيب الله ومحبّه، المؤمن الكامل متمسّك بحبل الإيمان المحكم، الذي لا ينقطع أبدًا، ومستقرّ في جبل اليقين والإيمان، الذي لا تزعزعه رياح الشكوك والأوهام.

14ـ إنّ معرفته ويقينه كضوء الشمس، أي إنّ عقائده ومعارفه وصلت إلى درجة عين اليقين، وكما يرى بعينه المادية ضوء الشمس، يرى كذلك بعين قلبه آثار الألوهيّة ودقائق الربوبيّة وعالم الملكوت؛ بل يصبح هو نفسه مرآة جمال الأحديّة؛ أي أنّ ذاته وصفاته وأفعاله مظهر ذات الحقّ تعالى ومثاله وصفاته وأفعاله...

---

(1) سورة الأنعام: الآية 153.

15ـ حين يصل الإنسان إلى هذه المرتبة يقينًا ومعرفة، يصير منصفًا وجديرًا بأن يحكم الخلق ويكون مولاهم، وأن يجلس على كرسي القضاء ليحكم بين الناس؛ لأنّ الإنسان الكامل يصبح لشدّة عبوديّته صاحب قوة قدسيّة، والمقصود بالقوة القدسيّة ذلك النور الذي يظهر في قلب وليّ الحقّ تعالى، وبهذا النور يميّز الحقّ من الباطل، وبه يعرف حقوق أفراد البشر، وتلك القوّة هي التي تردّ كلّ فرع إلى أصله، وتجيب عن أيّ سؤال، وتردّ على أيّ انتقاد.

عليّ (ع) هذا الإنسان الكامل، هو مصباح الظلّمات، الذي يجب أن يقتبس من نوره جميع أهل الأرض، وهو كاشف الأمور العظيمة من الأحكام الشرعيّة، وباعتراف صحابة النبيّ الأصدقاء أو الأعداء، ما من وصي نبيّ كان يمتلك هذه الصفات مجتمعة إلّا عليّ بن أبي طالب (ع).

16ـ من علامات المحبّ الحقيقيّ، أنّ كلامه موجّه إلى جميع فئات البشر، كلّ يفهمه بحسب قدرته على الفهم وبحسب استعداده، ويسكت إن كانت الضرورة تقتضي ذلك، كما قال الشاعر الحكيم:

أمران يزيدان كدورة العقل: الصمت حين يجب الكلام، والكلام حين يجب الصمت.

17ـ أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى من شوائب الشرك والرياء قلبًا وقالبًا وقولًا وفعلًا. والإخلاص مقام رفيع جدًّا، وله درجات:

الدرجة الأولى: الإخلاص في العمل، وذلك أيضًا درجات:

أوّلها: إخلاص النيّة لله تعالى. **وثانيها**: ألّا يكون العمل خوفًا من

جهنّم ولا طمعًا بالجنة، **وثالثها**: أن يكون المقصود بالعمل العبوديّة لله تعالى، وإطاعته ورضاه، وليس شيئًا آخر[1].

والدرجة الثانية: خلوص القلب من غير الله تعالى، بحيث يصبح ذكر الله والتفكّر فيه هو معيار الراحة والسعادة لديه، والبعد عن ذكره والتفكّر فيه معيار التعاسة، وهذا يتمثّل في قول النبيّ (ص): «أرحني يا بلال» برفع الأذان وإقامة الصلاة.

18ـ حين يصل وليّ الله إلى هذه المرتبة، وإلى هذا المقام، يصبح من معادن دين الله وأوتاد أرضه، وكما إنّ باطن الأرض هو المكان الذي يحوي الذهب والجواهر والكنوز، فإنّ قلب وليّ الله هو منبع الدرر وجواهر العلوم والحكمة والفضائل، بحيث إنّ كلّ طالب للعلوم الحقيقيّة وللفضائل الأخلاقيّة، يجب أن يستخرجها من هذا المنجم، وهو وتدُ الأرض، بمعنى أنّ بقاء الأرض واستمراريّتها مرتبط بوجود الوليّ الكامل، كما ورد في الأخبار والأحاديث الكثيرة، أنّ الأرض إن خلت من إمام، فإنّها تخسف بأهلها.

19ـ من صفات وليّ الله التي تميزه من غيره، التزامه نفسيًّا بالعدل، أي أنّه لا يتبع شهواته في أيّ خطوة من خطواته، ويتجنّب الإفراط والتفريط فيها، بمعنى أنّه يختار الطريق الوسط في كلّ الأمور.

20ـ ومن هذه الصفات أيضًا معرفة صفات الحقّ، والعمل بها، أي اقتران القول بالفعل.

هذا المقام آخر مقامات السالك إلى الله الذي يسمّيه العرفاء السفر الثالث من الأسفار الأربعة وهي: **أوّلًا**: السفر من الخلق نحو الحقّ، أي الإعراض عن الخلق وعالم الكثرة، والإقبال نحو الحقّ (سبحانه وتعالى)

---

(1) نصرت أمين، **مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي علي بن أبي طالب (ع)**، ص179.

وعالم الوحدة بهمّة كاملة، ولهذا السفر منازل عدّة، أوّلها اليقظة من الغفلة والبطالة، وآخرها إدراك الحضور قرب الحقّ تعالى. والمنزل الأساس، الذي يقصده المسافر في هذا الطريق هو التوجّه نحو وادي العشق المهيب، وسُمّي هذا الوادي المخيف لكثرة الأخطار التي تعترض السالك السائر فيه، وقلّة قليلة من الشجعان، ذوي القلوب الحيّة، يمكنها السير في هذا الطريق الوعر بحماسة، فتجتاز الفيافي والوديان والجبال والقفار؛ وهذا الطريق كما يقول المولويّ:

هذا الطريق ليس سوقًا يا أخي، وزاده ليس درهمًا ولا دينارًا، إنّه طريق العشق، وليس طريق مدينة ولا قرية...

وإن نظرت إلى حال المسافرين في هذا الطريق بعين العبرة سترى منظرًا غريبًا، كأنّ المساء قد حلّ وخيّمت الظلمة، وغطى الغبار الطريق الضيّق الذي يقطع الجبال والأودية، وكثرت في الجادة الحجارة والمزالق، والسباع المفترسة من ناحية، والحيوانات المؤذية من ناحية أخرى، والغيلان وقطّاع الطرق واللصوص يكمنون في المنعطفات، والمنزل المقصود مخفي وراء الجبال[1].

وبعد وصفها لما يعانيه السالك إلى الله من تعب وشعور بالعجز، وبعد تفصيل الكلام على المخاطر التي تعترض طريقه، توجّه الكاتبة خطابها إلى البشر قائلة لهم: «ستفهمون أنّ هذا الطريق هو جادة التكامل، وذلك المنزل الذي يلوح من وراء الحجب، هو مكان القرب من الله (جلّ جلاله)، المكان الذي يحاول كلّ إنسان جاهدًا الوصول إليه، وأولئك الأشخاص الذين يحملون مصباح الهداية بأيديهم، هم سفراء الله (جلّ شأنه)، وخلفاؤه الذين يجب على سالك هذا الطريق المليء بالأخطار أن يتبع إرشاداتهم، كي لا ينحرف عن طريق الجادة، فتزلّ قدمه وتتخطّفه

(1) المصدر نفسه، ص180ـ183.

السباع: أي الرغبات والقوى الداخليّة، كالشهوة والغضب التي تتجلّى كلّ آن بشكل مختلف، وتسخّر الإنسان المسكين لحكمها، وترميه أرضًا. تلك الغيلان هي الأوهام الداخليّة، والجنود الشيطانيّة في الخارج، التي توسوس له في كلّ آن، فتحرفه عن الجادة، والعفريت الذي يظهر له على شكل غزال، يبدو في الظاهر جميلًا يأسر القلب، لكنّه في الباطن شيطان مضلّ، والحيّة الجميلة التي تعترض طريقه، إنّما هي المال والثروة الدنيويّة الناعمة ظاهريًّا، وفي باطنها السمّ القاتل»[1].

ثمّ توجّه خطابها إلى الإنسان قائلة: «أيّها الإنسان الفاقد الحميّة، أيّها الإنسان القليل العقل، إلى متى ستظلّ مستغرقًا في نومك، في سرير الجهل والغفلة؟ حين تستيقظ تكون قد فقدت رأس مالك، ويكون الأعداء قد كبّلوك بشباك الحيلة، وسدّوا من أمامك طريق النجاة سدًّا محكمًا، ستفهم حينئذ في أيّ ظلمة غارق أنت، وأنّك لن ترى أبدًا وجه الضياء. نعم، «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، انهض وعجّل، فالقافلة تسير وأنت غارق في النوم، والصحراء أمامك، لا تيأس من قِصر الوقت المتبقّي لك، حتى وإن كان الطريق وعِرًا وكثير المزالق»[2].

ثمّ تستشهد بأشعار للمولوي، تقول بعدها: «إنّ باب رحمة الله (جلّ شأنه) مفتوح أمام الناس جميعًا، والعائق هو نفسك الأمّارة فقط، وهي الغبار الذي يخفي الطريق، ومدبّر العالم قد هيّأ للسالكين وسائل السفر وعدّته، وأخفاها في المنعطفات والزوايا، وحين يضلّ مسافر يهديه إلى سواء السبيل، وإذا زلّت قدمه ووقع على الأرض، يأخذ بيده ويساعده على النهوض... نعم حين تنوي السير على الطريق، لا تخف من المخاطر؛ بل اعلم أنّ الظفر سيكون من نصيبك، فلا تعب من دون ثمار، وأيّ باب قرعت

(1) المصدر نفسه، ص180ـ185.

(2) المصدر نفسه، ص186ـ187.

ستجد مباشرة من سيساعدك، وإن أدمت البحث عمّا تبغيه ستصل إليه، ألم يقل (عزّ وجلّ): ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[1]. إذًا يا أخي، اعلم قدر نفسك، واعلم أنّ جوهرة قيّمة، ودرّة ثمينة كامنة في حقيقتك، فلا تضيّعها، فإلى متى ستظلّ غارقًا في نومك الثقيل هذا؟ انهض وعجّل ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴾»[2].

«أنت سلطان إقليم الوجود، ولست من الرعايا، فلماذا أحكمت طوق العبوديّة، حول رقبتك، العبوديّة للنفس الأمارة؟ أنت إن طوّقت عنقك بقيد العبوديّة لله تعالى. تصبح سلطان السلاطين، وإذا أطفأت نار غضبك تعلّقت بالرحمة الإلهيّة، وإذا تجرّعت مرّ الصبر في الشدائد ستتلذّذ بالنعيم الدائم، وإذا زهدت في الدنيا، وعزمت على السفر نحو الحقّ تعالى، ستسكن منزل القرب، وإذا تركت الملذّات الوهميّة، ستنال الحياة الأبديّة، والملذّات الواقعية الدائمة، وإذا نمّيت عُلقة محبّة الله في قلبك، ستصبح محبوب الخلائق، وإذا نسيت ذاتك ستصل إلى الحياة الخالدة، وإذا وصلت إلى عتبة الحضور ستستعيد جميع الممكنات، وإذا صرت دائم الحضور وأدّيت حقّ الله، يكون سفرك الأوّل قد انتهى وبدأ سفرك الثاني، وهذا السفر الثاني هو السفر من الحقّ نحو الحقّ، أي بعد أن يدرك السالك حضوره لدى الحقّ تعالى، يجد بالمشاهدة القلبيّة أنّه هو وباقي الموجودات قائمين به سبحانه في ﴿مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾، ويصل إلى أن يرى نفسه قطرة مطر غارقة في بحر عظمة الواحد الأحد وجلاله، وفي هذا المقام ينكشف حجاب أنانيّته وأنويته، فتنجلي أمامه الحقيقة المطلقة، وحينئذ سيرى كلّ ذرّة من ذرّات مظهر الذات الإلهيّة، فيقول كما قال الشاعر العارف: «معبد الأوثان والكعبة كلاهما بيت العبوديّة، قرع الناقوس نشيد العبوديّة، المحراب والكنيسة والتسبيح والصليب، هي حقًّا علائم العبوديّة»».

(1) سورة العنكبوت: الآية 69.

(2) سورة المزمل: الآية 8.

والخلاصة كما تقول: «إنّ السالك من أوّل سيره، وصولًا إلى سفره الثاني، ينسى نفسه من شدّة ظهور الحقّ وسعة عظمته وجلاله، ولا يرى شيئًا غير الله، كالغريق في البحر، لا يرى شيئًا غير الماء. وقد حُكي أنّ الأسماك اجتمعت مرّة وقالت، نحن نسمع دائمًا حكاية الماء، ويُقال إنّ حياتنا رهن بالماء، لكنّنا لم نرَ ماء في حياتنا، وقد سمعنا أنّ سمكة عالِمة في مكان ما، قد شاهدت الماء، فلنذهب إليها، لتدلّنا على الماء، ولما سألوها، أجابتهم: دلّوني أنتم على شيء غير الماء، لأدلّكم أنا على الماء».

بعد أن تستشهد بأبيات من الشعر، تتابع قائلة: «لكن هذا الطريق كالطريق الأوّل شديد المخاطر والأهوال، لا يستطيع أن يتخّطاها سوى الأنبياء والأولياء الذين يصلون إلى المنزل من دون أيّ عثرة. وفي نهاية هذا السفر مقام العبوديّة؛ أي أنّ السالك حين يصل إلى هذا المقام، يشعّ في قلبه نور، ويشعر بقوّة، مصدرهما الألوهيّة، قوّة تحيط جميع قواه ومشاعره، وتستولي عليه، بحيث تصير حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله موافقة للمشيئة الإلهيّة، ولا يغفل عن الله طرفة عين»[1].

تقول: «بعد أن يُكمل السالك هذين السفرين، يبدأ سفره الثالث، وهذا السفر هو سفر الحقّ في الحقّ، أي السير في أسماء الله الحسنى (جلّ شأنه)... وليس المقصود (كما كرّرنا دائمًا)، أنّ الإنسان يمكن أن تكون لديه صفات واجب الوجود؛ بل المقصود أنّ الإنسان حين يصل إلى كمال الإنسانيّة، ويحرز فيها مقامًا، تظهر في مرآة وجوده آثار الألوهيّة، وتتجلّى بعض صفات الربوبيّة بمقدار سعة وجوده لا بمعنى أنّه يتّصف بها...، وحين يصل السالك إلى هذا المقام تنتهي مراحل سيره، وتظهر في مرآة قلبه صفات الحقّ تعالى: فبقدرة الله التي تجلّت فيه أحيا عيسى (ع) الموتى،

(1) نصرت أمين، **مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي علي بن أبي طالب (ع)**، ص187.

وبهذه القدرة الإلهيّة كلّ ما يفعله الأنبياء والأولياء من معجزات، وذلك ما يشير إليه الحديث القدسيّ: «عبدي أطعني أجعلك مثلي».

إنّ الوصول إلى هذا المقام، يبدو في أوّل الأمر مستحيلًا على غير الأنبياء والأولياء، لكن إذا صقل الإنسان قلبه، وابتعد عن الشهوات والأماني والآمال الدنيويّة، وصرف همّه في طاعة الحقّ تعالى والتقوى، واتبع تعاليم أئمّة الهدى، سيصل إلى قلبه حتمًا شعاع من نور هدايتهم، يضيئه، حينئذ يرى ما لم تره عين ولم يخطر على بال بشر»[1].

«أمّا السفر الرابع فهو سفر الحقّ نحو الخلق، وهو على عكس السفر الأول، الذي كان سفر الخلق نحو الحقّ تعالى، أي أنّ الإنسان بعد أن يكمل درجات الإنسانيّة كلّها، ويُعرض عن عالم الكثرة، (أي عالم الماديّات والممكنات)، ويتطلّع إلى عالم الوحدة والحقيقة (أي الحقّ وعالم الألوهيّة)، ويغرق في بحر المعرفة، ويتصف ببعض صفات الربوبيّة، كالعلم والقدرة وغيرها، ويُغني نفسه، ويبقى في الحقّ، يتجه درجتين لإرشاد العوام، يتجه إلى عالم الكثرة (أي عالم الخلق)، فيهديهم ويرشدهم نحو الحقّ تعالى، ومعلوم أنّ من لم يجتز هذا الطريق، ولم يطّلع على عجائبه وغرائبه لا يستطيع أبدًا أن يرشد الآخرين، ونحن يجب أن نطيع الذي اجتاز هذا الطريق، وقطع جباله ووديانه وحفره، ووصل إلى منزل القرب، وعاد ثانية لإرشاد الخلق إلى الطريق المستقيم، الذي ينتهي بجوار قرب ربّ العالمين، والمعيار الصحيح لتشخيص أئمّة الدين ومعرفتهم اتصافهم بصفات فوق الصفات البشريّة، يُعرفون بها، وبتلك المعجزات والكرامات التي يشكّل كلّ واحد منها دليلًا على ما ندّعيه. ومن يتمتع بهذه الصفات يكون ممثّل صفات الله (جلّ وعلا)؛ ذلك أنّ الأفعال التي تصدر عنه تفوق قدرة البشر...، وهكذا يتوضّح لنا مقام النبيّ أو الوصي ودرجته، وما

(1) المصدر نفسه، ص188ـ189.

يصدر عنه من معجزات وكرامات إنّما هو تجلٍّ لصفات الحقّ تعالى في مرآة وجوده»[1].

«وهنا تنبّه القارئ وتنصحه ألّا يتّبع أيّ شخص ادّعى المنصب والرتبة، فاتباع غير المؤهَّل يودي إلى الهلاك في وادي الجهالة والضلالة. إنّ الذي يريد أن يخطوَ في هذا الطريق المستقيم، يجب عليه من دون ريب أن يتبع من يعلم بشكل كامل طريق سلوك هذا الطريق، وأن يعرف جيدًا طريق الهداية إليه، وهو المتصف بالصفات والمزايا ومكارم الأخلاق التي عرّفها لنا النبيّ والأئمّة، وكما ورد في خطبة الإمام عن أوصاف المتقين»[2].

أما المبحث الثاني من الباب الخامس ففيه شرح المواعظ والنصائح الواردة في الكلمات القصار لأمير المؤمنين[3]. على سبيل المثال:

موعظة أمير المؤمنين للإمام الحسن (ع):

«يا بنيّ احفظ عني أربعًا وأربعًا لا يضرّك ما عملتَ معهنّ، إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العُجب،وأكرم الحسب حسن الخلق...، يا بنيّ إيّاك ومصادقة الأحمق فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر، فإنّه يبيعك بالتافه، وإيّاك ومصادقة الكذّاب، فإنّه كالسراب يقرّب إليك البعيد، ويُبعد عنك القريب».

بعد أن تترجم الموعظة بالفارسيّة، تنتقل إلى شرح حقيقة العقل فتقول: «إنّ العقل جوهر نورانيّ، وقوّة ملكوتيّة وحقيقة روحانيّة من عالم الأمر، من الصعوبة بمكان معرفة كنهه وحقيقته، لا يعرفه إلا خالقه، والعقل

(1) المصدر نفسه، ص191.

(2) المصدر نفسه، ص191.

(3) المصدر نفسه، ص192ـ198.

درجات ومراتب، وضع العلماء لكلّ منها اسمًا، وظنّوا أنّ تلك الدرجة هي العقل الكليّ نفسه، فقال بعضهم: «العقل هو قوّة إدراك الخير والشر، وقال غيرهم إنّه حالة وملكة في الإنسان، يعرف بواسطتها قوّة الخير والشرّ لديه، فيميز بينهما فيتجنّب الشرّ والرغبات البهيميّة، ويتطلّع إلى الخير...، وقال آخر: إنّ العقل هو الذي ينظّم بواسطته الإنسان أمور المعاش، فإذا اعتمد قانون الشرع في ترتيب المعاش، سمّي العقل المعاش، وإذا صرفَ هذه القوّة في الأمور الباطلة، يسمّونه نكراء وشيطنة، والأقوال في معنى العقل كثيرة، لكنْ كما قيل، إنّ كنه العقل وحقيقته غير معلومين، وما قيل في معنى العقل بعضه يُعدّ من لوازمه، وبعضه من مراتبه. أمّا العقل فإنّه من عالم المجرّدات والروحانيّات، وعالم ما فوق الطبيعة. قال الحكماء: إنّ العقل أوّل موجود صادر من المصدر الإلهيّ، وهو مناط الثواب والعقاب، وهو بعينه النور الأحديّ، والحقيقة المحمديّة؛ لأنّ النبيّ نفسه، قال في روايات عدّة: «إن أولّ شيء خلقه الله تعالى هو العقل»، ومن الأحاديث المرويّة عن النبيّ وعن أمير المؤمنين، وعن صادق آل محمد الذي قال عن العقل «به يُعبد الله، وبه تُكسب الجنة». يُستنتج من هذه المرويّات، أنّ العقل جوهر ملكوتيّ من عالم الروحانيّات، وظهورُه في أيّ إنسان بمقدار استعداده وصفاء قلبه، ومثال العقل في العالم الروحانيّ مثال الشمس في العالم الجسمانيّ، وكما إنّ العين تدرك المحسوسات وتميّز بينها بواسطة الشمس أو الكهرباء وغيرهما من المحسوسات، ولولا وجود النور لما وجدت المرئيّات، والعين لا تدرك شيئًا من المرئيّات لولا وجود النور، كذلك فإنّ عين البصيرة تدرك المعقولات بنور العقل، وتميّز بين الخير والشر بنور العقل، وترى ما لا تراه العين»[1].

وتشرح بعد ذلك ما هو عقل المعاش وما هو عقل المعاد[2]، ثم تنتقل

(1) المصدر نفسه، ص191ـ201.

(2) المصدر نفسه، ص202ـ203.

إلى شرح وصيّة الإمام إلى كميل بن زياد: «الناس ثلاثة: عالم ربانيّ، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».

بعد أن تترجم الوصية بأكملها تعرّف العالم الربانيّ، وتقول إنّه العارف بالله تعالى، المنسوب علمه إلى الله (عزّ وجلّ)، والمأخوذ منه (جلّ شأنه)، وقد قال بعضهم إنّ العالم الربانيّ هو العالم الذي يقوم بإصلاح أمور الخلق بالتدبير والحكمة والهداية، فيقتدون به نحو الحقّ تعالى وطريق رضاه، وربّما كان المقصود أنّ العالم الربانيّ هو الذي يمتلك الصفتين: أي هو العارف بالله بالإيمان الكامل واليقين الثابت، وهو الذي يهدي الآخرين إلى الحق (جلّ وعلا)[1]...

ثم تنتقل إلى شرح قوله (ع): «كلّ وعاء يضيق بما جُعل فيه إلا وعاء العلم فإنّه يتّسع»[2]... تقول إنّ العلم هو أحد الكمالات النفسيّة؛ بل هو فوقها، ومن فقده ناقص، لذلك فإنّ «الناس أعداء ما جهلوا»... وفي شرحها لقوله (ع) «أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه». تقول: «إنّ النفس هنا هي النفس الأمّارة المائلة دومًا نحو الفساد وقبائح الأعمال، المضرّة للروح وللقلب وللذات»[3].

تقول بعد ذلك إنّ ناموس الخلق والحكمة من خلق بني آدم، اقتضيا أنّ الخالق (عزّ وجلّ) جعل لكلّ إنسان شكلًا وخلقًا وعملًا وميلًا وشهوة، وجمّله على نحو خاص بزينة الوجود، ولو لم يكن الأمر كذلك لاختلّ نظام العالم، وتعطّلت أموره وشؤونه وعمّته الفوضى، وحيث إنّ نظام العالم اقتضى أن يتصوّر كلّ شخص قيمة وجوده شيئًا ما، ويصرّ على طلبه،

(1) المصدر نفسه، ص204ـ205.

(2) المصدر نفسه، ص205ـ207.

(3) المصدر نفسه، ص208.

وجب لذلك أن يُجبر نفسه بمقتضى المشيئة الأزليّة على القيام بذلك العمل أو الشغل الذي يميل إليه، ونوع النتيجة التي يتمّ الحصول عليها بالإكراه والإجبار تبدو مشكلة أو مستحيلة. وقد أثبتت التجارب أنّ العمل الذي ينجزه صاحبه بالإكراه، لا يعطي نتيجة جيدة، ولا يُثمر.

انطلاقًا ممّا ذكر فإنّ قول الإمام: «إنّ للقلوب شهوة وإقبالًا وإدبارًا فاتوها من قِبل شهوتها وإقبالها، فإنّ القلب إن أكرِه عمي» يجب أن يُجعل أنموذجًا ومثالًا يُحتذى في التربية، وإذا راعاه معلمو علوم الصنائع والحِرف، وواضعو أسس تربية البشر، سينتظم نظام العالم جيّدًا، كما إنّ كلّ فرد يجب أن يُراعي هذه القاعدة في أعماله الشخصيّة، ليأخذ نتيجة جيّدة من أعماله. وإذا قيل كيف يمكن أن يُترك الناس لميولهم وأهوائهم، ومع ذلك من الممكن أن تنتظم أمور دينهم ودنياهم وترتّب؟ نجيب: صحيح إذا كانت الميول هي الميول والشهوات النفسانيّة، فبحكم العقل والشرع يجب الحؤول دونها، وإلا فإنّ أمور الشخص الدينيّة والدنيويّة ستضيع وتؤول إلى الخراب؛ لأنّ النفس ميّالة دائمًا إلى اللهو واللعب.

لكن القلب رئيس ومدبّر ومصلح، يأمر البدن بإرشاد من العقل بأن يرى ما فيه فائدته الشخصيّة[1]. وتقول: «من هنا يجدر بنا التمييز بين الميل النفسانيّ والميل القلبيّ». أمّا في تفسيرها لحديث الأمير: «من أصبح على الدنيا حزينًا، فقد أصبح لقضاء الله ساخطًا، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به، فإنّما يشكو ربّه». فتقول: «إنّ الإمام هنا يشير إلى مقام الرضا، أي أنّ حقيقة الرضا ترك السخط والغضب، ممّا قدّر الله (عزّ وجلّ)». وتقول: «إنّ درجة الرضا أرفع درجات المقرّبين من الله تعالى، ومنتهى درجات السالكين إليه، ولا يصل إليها إلا الذي اجتاز جميع درجات التكامل الإنسانيّ ومراتبه، ووصل إلى أعلى درجات القرب؛ لأنّ مقام الرضا نتيجة

(1) المصدر نفسه، ص210.

لكمال محبّة الله المتعال، ومحبّة الله نتيجة الأنس به، والأنس والمحبّة نتيجة معرفة الحقّ تعالى، والمعرفة لا تحصل إلا لمن يحارب قوى نفسه بعزم راسخ وإرادة قويّة، ويدير ظهره لحاجاته النفسانيّة، ويتحمّل مشقات العبادات والطاعات، ويتقبّل المصائب والبليّات، ويُلزم نفسه بدوام ذكر الله تعالى، والتفكّر في صنائع قدرته جلّت عظمته»[1]. وتقول: «إنّ من يدّعي محبّة الله تعالى، ولا يستسلم لقضائه وقدره، ولا يفضل رضاه على رغباته، شخص كاذب في ادّعاء المحبّة؛ لأنّ المحبّ الحقيقيّ يقبل كلّ ما يصله من الحبيب؛ بل كثيرًا ما يصل العشق والمحبّة إلى حدّ أنّ الشخص لا يشعر بالألم»[2]. وبعد أن تفصّل القول على مراتب الرضا الثلاث[3]، تصل إلى نتيجة مفادها أنّ الشيء الأساسي الباعث على الرضى، هو معرفة الله تعالى ومحبّته، والمؤكّد أنّه كلّما كان مقدار المعرفة والمحبّة أكبر، ارتفع مقام الرضى. إذًا من المعلوم أنّ مرتبة الرضى أعلى مراتب أو مقامات المقرّبين، ومنتهى درجات الكاملين.

تتحدّث بعد ذلك عن الصبر وأقسامه الأربعة[4]، ثمّ تشرح معنى التوكّل، وأنّ التوكّل لا يتنافى والكسب الحلال، والإشارة ضمن ذلك إلى الإيمان والزهد، وأنّ التوكّل من لوازم الإيمان، وتشرح معنى الزهد في قوله (ع): «ومن لهج قلبه بحبّ الدنيا الْتاطَ منها بثلاث: همّ لا يغبّه، وحرص لا يتركه، وأمل لا يدركه».

تقول إنّها أشارت في تفسير بعض الأحاديث إلى معنى الزهد، وأنّها هنا ستقتصر على شرح محبّة الدنيا المناقضة للزهد، وتقول إنّ محبّ الدنيا لا يفارقه الهمّ ولا تفارقه الغصّة؛ لأنّ أمور الدنيا لا تتناسب دائمًا وميول

(1) المصدر نفسه، ص212.

(2) المصدر نفسه، ص213ـ214.

(3) المصدر نفسه، ص215.

(4) المصدر نفسه، ص216ـ217.

الأشخاص، والمحبّ للدنيا كالطفل عديم التربية الذي ينسى النعم الكثيرة التي لديه، ويبكي من أجل شيء حقير لم يحصل عليه.

«إنّ محبّ الدنيا تتلاعب به الأهواء والغرائز كالأعمى في مواجهة الإعصار، لا يستطيع مقاومة أمانيه، ولا طاقة له على المقاومة، ولا طريق أمامه للفرار، ولا أمل له في النجاة، أو هو كالنعجة المقيّدة التي وضعوا لها العلف بعيدًا منها وأمام ناظريها، والمسكينة تظنّ أنّ بإمكانها إن هي أسرعت قليلًا أن يصل فمها إليه، لكنّها على الرغم من محاولتها الركض بعجلة، لم تتمكّن من الوصول إليه، نحن أيضًا نركض باستمرار وراء آمالنا العريضة والبعيدة المنال، وحتى الآن لم نصل إلى ما نصبو إليه، وتحلّ آمال أخرى محلّ الآمال الخائبة، وهذا ما يُسبّب الغمّ والهمّ اللذين لا نهاية لهما للإنسان، وقليلًا ما وُجد شخصٌ راضٍ وسعيد بما قُدّر له، حتى الأثرياء والمتموّلون، وأهل السلطة، هم في سعي دائم إلى مزيد من المال، أو إلى مناصب أرفع، يسعون وراء آمال ورغبات لا نهاية لها، ويعلقون في حبال الأوهام والأخيلة البعيدة والعريضة، ولا يحسون بأدنى راحة وهدوء بال، والآفة الثانية من آفات محبّة الدنيا كما يقول الإمام، هي ابتلاؤه بالحرص الذي لا يفارقه، وبقدر ما يقترب محبوبه تزداد نار الشوق إليه اضطرامًا، وبقدر ما يناله منه، يتضاعف حرصه ألف درجة»[1].

وبعد أن تفصّل الكلام على آفات الحرص، وعلى أنّ الإنسان ينسى، وهو متعلّق بالدنيا، أنّ قافلة البشر سائرة على الدوام نحو الموت والفناء، تقول: إنّ ثالث آفات محبّة الدنيا، تعلّق الإنسان بالآمال الكاذبة: «اتباع الهوى وطول الأمل» بحسب تعبير الإمام[2]، وأنّ الإنسان لا ينال من الدنيا إلّا ما هو مقدّر له، وأنّ الكسب الحلال بقدر الحاجة وما يلزم لا يتعارض

(1) المصدر نفسه، ص220.

(2) المصدر نفسه، ص222.

والتوكّل، ومن الغفلة القول إنّ الإنسان لا يجب أن يسعى وراء الرزق الحلال؛ بل إنّ الجلوس في المنزل وطلب الرزق عين الجهالة... إنّ العاقل يسعى كما يقتضي الأمر التكوينيّ في طلب الكسب، ويعمل من أجل الرزق الحلال، وهو يُعدّ من عمّال الله تعالى؛ لأنّ مسبّب الأسباب بحكمته الإلهيّة الكاملة، نظّم هذا العالم بالأسباب، ولكلّ موجود من الموجودات عيّن عملًا وجعله يحبّه، ونظام العالم مرتّب على هذا الأساس.

يجب أن نسعى وراء الكسب الحلال، لكن ليس إلى حدّ الوقوع في مستنقع الدنيا والغرق فيه، والتخلّي عن الحياة الباقية، والتفرّغ كليًّا لإصلاح مركبة الدنيا، فنصبح من ضمن أولئك الذين قال الله عنهم ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[1] [2]...

ثمّ تخاطب القارئ وتقول له: «اعلم أنّك أنت أنموذج عالم الوجود، ومن كلّ عالم وُضع أنموذج في وجودك؛ أي من عالم الجماد، والعالم النباتيّ، والحيوانيّ، والإنسانيّ، والروحانيّ، والعقلانيّ، والملكوتيّ، وكلّ واحد منها، يحتاج بمقتضى الوجود إلى مستلزمات واحتياجات، وأنت مسؤول بقدر قوّتك أن تلبّي احتياجات كلّ منها، وتُلزمه بأن يقوم بما يليق به من عمل، فإن أنت قصّرت في حقّ واحد منها، ستكون مسؤولًا أمام خالق الكون (جلّ شأنه)، وكما يحتاج جسمك إلى الطعام واللباس والسّكن والراحة... يحتاج عقلك وروحك إلى الغذاء اللازم، وهو اكتساب الكمالات والعلوم والمعارف»[3].

وتقول: «الخلاصة إنّ من واجب الإنسان أن يراعي جميع قواه، فإذا صرف همّه على إحداها، سيقصّر في حقّ سائر القوى، ولن يصل

---

(1) سورة الحشر: الآية 19.

(2) المصدر نفسه، ص222.

(3) المصدر نفسه، ص223ـ224.

إلى الكمال الإنسانيّ، وكما إنّ البدن يموت ويفسد إن لم يصله الغذاء الجسمانيّ، فإنّ الروح أيضًا تموت ما لم يصلْها الغذاء الروحانيّ، وتقصّر في الوصول إلى الكمال اللائق بها؛ بل إنّ البدن يموت بموت الروح، وإن كان في الظاهر حيًّا؛ لأنّ غاية البدن، والفائدة منه اكتساب الكمالات الروحانيّة، والـذي ماتت روحـه يجب أن لا يُعدّ من الأحيـاء؛ بل من الأموات؛ لأنّ الإنسان الحيّ هو في الحقيقة من اغتذى قلبه، وارتوى من نبع ماء الحياة، أيْ من العلم والمعرفة، ونال الحياة الأبديّة؛ لذلك كان الأولياء يتساهلون في أمر البدن، ويولون الاهتمام الأكبر للروح، ولتقوية القوى الروحانيّة؛ لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الروح والبدن، وإن اتحدا من ناحية، لكنّهما من ناحية أخرى متباينان ومتضادان؛ لذا كلّما ازدادت قوّة البدن والقوى الجسمانيّة، ضعفت القوّة الروحانيّة بالمقدار نفسه... إنّ البدن مركب الروح، ومقدّمة تكوّن النفس الناطقة، ويجب على الإنسان أن يسير بواسطة البدن في طريق التكامل لينال مقصوده، وعلى الإنسان كما أوصى لقمان الحكيم أن لا ينخرط في الأمور الدنيويّة إلى الحدّ الذي ينسيه آخرته، ولا يترك الدنيا إلى الحدّ الذي يجعله كلًّا ووبالًا على الناس»[1].

أمّا خاتمة الكتاب ففي مبحثين:

المبحث الأول: في بعض صفات المتقي الخالص والمؤمن الكامل:

تنقل من أربعين الشيخ البهائي حديثًا للنبيّ (ص)، برواية أمير المؤمنين (ع)، يقول الحديث: «من عرَف الله وعظّمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعنّا نفسه بالصيام والقيام، قالوا، بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، هؤلاء أولياء الله، قال: إنّ أولياء الله سكتوا، فكان سكوتهم فكرًا، وتكلموا فكان كلامهم ذكرًا، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نُطقهم حكمة،

(1) المصدر نفسه، ص225.

ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي قد كُتبت عليهم، لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفًا من العذاب وشوقًا إلى الثواب»[1].

تقول إنّ النبيّ (ص) في هذا الحديث يشير إلى بعض صفات أولياء الله، وثلاث صفات من صفات العارفين بالله:

أوّلها: الصمت: أي الصمت عن الكلام الذي لا فائدة منه؛ لأنّ السكوت من علامات المعرفة، ولأنّ من عرف الله تعلّق قلبه به، وفي هذه الحال، يعجز لسانه عن الكلام؛ بل إنّ أعضاءه كلّها تتوقف عن الحركة، وإذا انشغل الإنسان بالكلام سُلب حالة الانتباه؛ لذا فإنّ العارف يتحرّج من الكلام إلا في حال الضرورة واللزوم.

وثانيها: الجوع: أي الامتناع عن الأكل إلا ما يسدّ الرمق[2]، وقد دلّت التجربة على أنّ الجوع يؤدّي إلى رقّة القلب؛ لأنّ كثرة الأكل توجب القسوة، وكما إنّ رقّة القلب تقرّب الإنسان من الله تعالى، فإنّ قسوة القلب تبعده عنه، لذا قيل: إنّ الجوع مفتاح الخيرات. والأمر الآخر أنّ العارف بالحقّ تعالى والمتوجّه إلى مطالعة جمال الأحديّة في مظاهر الموجودات، كثيرًا ما ينسى نفسه، وإذا قويت المعرفة، من الممكن ألّا يشعر الإنسان في بعض الأوقات بالجوع أو العطش أو البرد أو الحرّ.

وثالث الصفات: الصيام والقيام: لأنّ العبادة تؤدّي إلى زيادة المعرفة، ولأنّ مقام العبوديّة يتحقق بالعبادة ويستحكم، ويجب على العارف أن يعرّض نفسه للتعب والمشقّة، وأن يتحمّل مشقّة العبادات، والأحكام الشرعيّة، لينال مقام العبوديّة، وليتوهّج نور المعرفة في قلبه.

---

(1) المصدر نفسه، ص226ـ280.

(2) تروي مريدتها هُمايوني أنّ السيدة المجتهدة كانت لا تتقوّت إلا ما تسدّ به رمقها. (زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانی بانو ايرانی: مجتهده نصرت السادات امين**، ص130).

ثمّ تستطرد وتقول: «أنا أذكر هنا أنّ الشخص لن يصل إلى مقام العبوديّة إلّا إن وجّه وجهه في العبادة إلى الله تعالى، أي أن تكون نيّته وقصده من العبادة طاعة الله، وليس توقّع الأجر أو الخوف من العذاب، ولا القرب من الله تعالى والمنزلة لديه».

والخلاصة أنّ العبوديّة لله (عزّ وجلّ)، تقتضي أن يكون العمل خاليًا من الأغراض النفسانيّة كما قال أمير المؤمنين (ع): «ربي ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا بجنّتك، ولكنّني عبدتك لأنّك أهل للعبادة». وهذا النوع من العبادة لا يتيّسر إلّا لمن عرف الله بالألوهيّة أي (بعين اليقين)، وشاهده بالبصيرة (مالك الملك والملكوت)، وللعارف نفسه أنّه مخلوق والله خالقه، وأنّه موجود بوجوده وقائم به؛ والمؤمن العارف نفسه، والعارف ربّه، يتصرّف بما تقتضيه عبوديّته لله تعالى؛ ولهذا فسّرت ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ في قول الله (عزّ وجلّ): ليعرفون؛ لأنّ العبادة من غير المعرفة غير ممكنة، فالمعبود لا يُعبد ما لم يُعرف؛ لأنّ العبادة من دون معرفة إنّما هي في واقع الأمر عبادة وثن النفس، والرغبات النفسانيّة.

وبعد أن أشار رسول الله (ص) إلى بعض صفات العارفين، سأله أصحابه إن كان الموصوفون بهذه الصفات هم أولياء الله، فقال لهم: إنّ لأولياء الله صفات أخرى منها: السكوت، وسكوتهم هو عين الفكر؛ لأنّهم وهم في حال الصمت، يكون قلبهم مشغولًا بذكر الله والتفكّر في صفاته وآثاره وأفعاله، وفي الحديث: «إنّ تفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة».

تقول الكاتبة: «إنّ الفرق بين التفكير في العالم الإلهيّ والصفات الربوبيّة ولطائف الصانع وحكمته اللامتناهية، والعبادة البدنيّة لا يحصى عددًا: وقد أورد بعض العلماء وجهين للتمييز بينهما: الأوّل أنّ الفكر عمل القلب والعبادة عمل البدن، والثاني أنّ الفكر يقرّب الشخص من الله تعالى،

والعبادة تقرّبه من الثواب، والقرب من الله أرفع بدرجات من القرب من الثواب».

وتضيف: «لكنْ ثمّة فرق آخر يمكن تصوّره، وهو أنّ التفكير في أنوار عظمة الحقّ تعالى، والتدبّر في بدائع صنعه تُحسب من علامات المحبّة؛ لأنّ إحدى علامات المحبّ الصادق أن يستغرق في جمال المحبوب أو اسمه في أكثر الأوقات، أمّا العبادة البدنيّة فليست كذلك؛ لأنّ محرّك الشخص في أعمال الظاهر، وإن كان يمكن أن يكون المحبّة، إنّما هذه فرضيّة نادرة، ويوجد غالبًا أغراض أخرى تتدخّل، كتوقع الأجر والخوف من العقاب، وربما أغراض دنيويّة وغيرها، ومن المعلوم أنّ العمل الذي يُنجز بمحبّة، لا يمكن على الإطلاق أن يقارن بالعمل الخالي من المحبّة. والوصول إلى قرب الأحديّة من طريق القلب والباطن أقرب بفراسخ من طريق البدن والظاهر، فقد نُقل عن الإمام الصادق (ع) قوله: «أفضل العبادات مداومة التفكّر في الله تعالى وقدرته»[1].

تقول: «لا تظنّن أنّ ما يقصده الإمام هو أنّ الشخص يجب أن يفكّر طيلة الوقت بذات الله، وبحقيقته وأينيّته، وكيفيّته؛ لأنّ هذا النوع من التفكير لم يُجزه الشرع، ولا العقل، ولا ينتج عنه إلا الوحشة والدهشة، والخوف كلّ الخوف، أنّ يؤدي بصاحبه إلى الجنون أو الكفر أو الزندقة...، إنّ المقصود بالتفكير الذي هو أفضل من العبادة بدرجات، تذكّر الحقّ تعالى والتوجّه إليه، والتدبّر في آثاره ومخلوقاته، أي أنّ الإنسان يجب أن يتوجّه بقلبه إليه، بحيث إنّه إن نظر في الحقيقة والواقع إلى أيّ شيء يكون قصده صفات الله من العلم والقدرة والحكمة؛ أي أن يشاهد صفات الله في مرآة الموجودات، وهؤلاء هم الذي وصفهم الله بقوله (عزّ وجلّ): ﴿ ٱلَّذِينَ

(1) المصدر نفسه، ص230.

يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

إذًا، المقصود من التفكّر في الحقّ تعالى ذكره والتوجّه إليه؛ لأنّ ذكر الحقّ تعالى يؤدّي إلى زيادة معرفته ومحبّته والأنس به، وإن لم نعرفه كيف يمكننا أن نتوجّه إليه ونستغرق في ذكره؟ لأنّ طلب المجهول المطلق محال، لكن من خلال الآثار يمكن معرفة المؤثر»[2].

ومن الصفات التي تميّز الموحّد من غيره، أنّه لا ينظر إلى الموجود إلا ليرى الله فيه، ويظلّ غافلًا عن ذات الموجودات، أي السماء والأرض والحيوان والنبات وغيرها؛ لأنّ نظره موجّه إلى الصنع لا إلى المصنوع، كمن ينظر إلى أشعار شخص أو مؤلّفاته، كونها آثار ذلك الشخص، لا كأشياء بحدّ ذاتها مستقلّة عنه، أي أنّه ينظر إليها على أنّها من كمالات الفاعل، والعالم كلّه «كتاب الحقّ تعالى». إنّ الموحد لا ينظر إلى ذاته هو إلّا من حيث كونه عبدًا لله تعالى، وهذا هو المقصود من «الفناء في التوحيد»[3].

وتتابع: «إن كان هذا الأمر مفهومًا وواضحًا لدى أصحاب البصيرة، لكن إدراكه صعب بالنسبة إلى العوام، إمّا لجهة ضعف أفهامهم، أو لجهة قصور العلماء في إيضاحه»[4].

وفي شرحها للصفة الثانية من صفات أولياء الله، تقول إنّ ما قصده رسول الله (ص) من الذكر الذي هو من صفات أولياء الله، ليس الذكر باللسان فقط؛ بل الذكر القلبيّ، أي أنّ القلب هو الناطق أوّلًا بذكر الحقّ

(1) سورة آل عمران: الآية 191.

(2) نصرت أمين، مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي علي بن أبي طالب (ع)، ص231.

(3) المصدر نفسه، ص232.

(4) المصدر نفسه، ص233.

تعالى وجلاله وجماله، وبعد ذلك إظهار ما في الضمير بواسطة اللسان، ثمّ تخاطب القارئ قائلة: «لا تظنّن أنّني أريد أن أقول إنّ الذكر الخالي من التذكّر القلبيّ لا فائدة منه، حاشا لله، إنّما المقصود أنّ الذكر الذي يُعدّ من علامات أولياء الله هو الذكر عن تبصّر، وليس فقط بتحريك اللسان، فالذكر باللسان وحده مجاز خال من الحقيقة، ولكن المجاز قنطرة الحقيقة كما قيل...

والقلب العاري من نور المعرفة يحتاج إلى تصفية الباطن، والمداومة على الأذكار، ولا سيّما عبارة «لا إله إلّا الله»، فمن خلال التجربة تبيّن أنّ هذه الكلمة الطيّبة لها دخل كبير في نورانيّة الباطن وصفائه»[1].

أمّا الصفة الثالثة من صفات أولياء الله، فهي التدبّر في نظام الوجود لرؤية لطائف صنع الله تعالى في ناموس الخلق، وتمازج الأضداد، وغير ذلك من لطائف صنع الباري (عزّ وجلّ)...

أما الصفة الرابعة فهي التكلم، وكلامهم حكمة كلّه[2].

والخامسة: المشي والحركة بين الناس، فتنتج البركة من ذلك[3]. والصفة السادسة تساوي الخوف والرجاء في قلوبهم[4].

تقول بعد ذلك: «أذكر أنّ الإنسان لا يصير كاملًا، ولا يصل إلى درجة أولياء الله إلّا إن حاز هذه الصفات الستّ، التي عُدّت في هذا الحديث، وبعضُها من خصائص العارفين، وبعضها الآخر من صفات أولياء الله.

إنّ ما يعتقده بعض أصحاب العقول القاصرة من أنّ الإنسان حين

---

(1) المصدر نفسه، ص235.

(2) المصدر نفسه، ص236.

(3) المصدر نفسه، ص237.

(4) المصدر نفسه، ص238ـ239.

يحوز مقام الإنسانيّة لا يعود بحاجة إلى العبادة، توهّم باطل ولا معنى له؛ لأنّه من غير الممكن أن يصل الإنسان إلى مرتبة العبوديّة إلّا بالعبادة النابعة من التذلّل والانقياد، وطالما أنّ الإنسان يعدّ نفسه عبدًا لله، فيجب أن يقوم بعبادته، ومع أنّ العبادة الحقيقيّة في طريقة أهل الله هي التذلّل والانقياد الباطنيّين فقط، لكن تلك العبادة روحانيّة، والبدن له دورُه في العبادة، فبواسطته يظهر الانقياد والتذلّل الباطنيّين. نعم العبادة الخالية من هذا المعنى لا فائدة مُتصوّرة منها، هذه صورة العبادة، وليست العبادة الحقيقيّة»[1].

تنتقل بعد ذلك للحديث عن صفات المتقين، وأفعالهم وأعمالهم وشوقهم للقاء الحقّ تعالى، وأخلاقهم الحسنة وشجاعتهم، وسخائهم، وعفّتهم، وفعالهم، وكيفية مخالطتهم الناس، وما هي حقيقة التقوى وآثارها[2].

أما التقوى كما يُفهم من كلام أمير المؤمنين (ع)، إنّما هي التوجّه إلى الله تعالى، والمتقي لا يرى غير الله، ولا يبقي في قلبه غيره، ويحصر فكره في ذكر الله تعالى، وينظر إلى عالم الوجود بعين العبرة والبصيرة، فلا يرى إلا هو وآثاره، فيشتاق إلى ملاقاته، ولولا الأجل لما قرّت أرواح المؤمنين في أبدانهم طرفة عين شوقًا للقاء الله (عزّ وجلّ)[3].

وتظهر التقوى في القلب، وتشرق في الأعضاء، وتنقّي القلب من الأدران...

ثمّ تتحدّث عن مراتب الإيمان ودرجاته، وعلامات المؤمن الكامل، وتذكر الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن المؤمنين، أولياء الله، الذين تصل

(1) المصدر نفسه، ص240.

(2) المصدر نفسه، ص240ـ248.

(3) المصدر نفسه، ص250ـ251.

درجتهم إلى درجة الملائكة المقرّبين، الذين لا سلطان لإبليس عليهم، وهم المخلصون ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[1]. وهم الذين وصفهم الله (عزّ وجلّ) بأنّ قلوبهم سليمة؛ لأنّ سلامة القلب هي أصل جميع الحسنات تنقي القلب من الغش، والغلّ، والخداع، والمكر، والتزوير، والحسد، والكبر، والبغض، والحرص، والطمع، والمكر، والرياء، والنفاق، وغيرها من الصفات الذميمة، التي هي ناجمة في معظمها عن التزيّي بزيّ أهل العلم، في اللباس والقول من دون علم وعرفان، وإنّما من أجل طلب المقام والمرتبة من دون الأهليّة والجدارة، وهذا هو أصل النفاق والعناد ومادة الإثم والفساد[2].

ومن ميزاتهم كذلك الخوف والخشية، والسير على الصراط المستقيم... إلخ، وقد بيّن القرآن الكريم الطريق المستقيم بدليل واضح وبرهان نيّر.

تتحدّث بعد ذلك عن صفات العلماء العلميّة، ومعنى «العلماء ورثة الأنبياء»، ومن هم الذين يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير؟

من ميزات العلماء العلميّة أنّهم وصلوا في مرتبة التكامل إلى منتهاها، أو أنّهم حازوا مقامًا ومرتبة، لم يعودوا بعدها بحاجة إلى غيرهم في اكتساب الكمالات، بخلاف غيرهم من العلماء، الذين يحتاجون في اكتساب العلوم إلى أسباب خارجيّة وأوضاع حسيّة، كأسانيد الروايات وغيرها، وعلومهم تبطل بتغيّر الأسباب، ويفقدون كمالاتهم. وهم كالأعمى المحتاج دائمًا إلى العصا، والعصا هنا هي المشايخ والأسانيد.

---

(1) سورة الفرقان: الآية 63.

(2) المصدر نفسه، ص252ـ254.

أما المقصود بقوله: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء»: إنّ علوم الأنبياء مستقاة من الحقّ تعالى من دون معلم بشري، أي أنّ العلوم مختصّة بالأنبياء، وتنتقل إلى تابعيهم بالوراثة، فهي ذلك العلم الذي يفيضه الله في قلوبهم[1]...، ومن جملة علامات أولياء الله الممتازة أنّهم موحدون حقيقيّون.

أما صفات المنافقين وأعداء الله وأولياء الشياطين، فهي نقيض صفات أولياء الله، وهم الذين لا يؤمنون بالآخرة، ويستبشرون بذكر غير الله[2].

توصي القرّاء قائلة: «أيّها الإخوة والأخوات المؤمنون والمؤمنات، أنا أوصيكم أن تجعلوا التقوى زادكم بكلّ ما لكلمة التقوى من معنى، أوّلًا احذروا أن تعصوا الله سبحانه وتعالى، وأن تخالفوا أوامره، واحفظوا قلوبكم من ذكر غيره، أي افرغوا قلوبكم من الأغيار وتوجهوا بكلّيتكم وبمشاعركم نحوه تعالى، وحاولوا جهد استطاعتكم ألّا تغفلوا طرفة عين عن ذكر الحق تعالى، عزّ اسمه، فقد ورد في الخبر أنّه ما من طائر يقع في شباك الصياد، إلّا من غفل عن ذكر الحقّ تعالى، ولا تنسوه في جميع الأحوال، أي في النعمة والبلاء والمصيبة والمرض، والصحة والعافية، والفقر والغنى، والسعادة والغمّ والحزن، واذكروه بالقلب واللسان، لتطمئن قلوبكم وتهدأ، واعبدوه كأنّكم ترونه. وأنت أيّها المدّعي المعرفة: اعلم بالعلم القطعيّ أنّه هو يراك، فقد رُوي أنّ النبيّ الأكرم (ص) قال لأبي ذر «يا أبا ذر اعبد الله كأنّك تراه، وإن عصيته فتذكّر غضبه». ورُوي عن صادق آل محمد في حديث طويل: إنّ القصد من ذكر الله ليس فقط ذكره باللسان؛ بل تذكّر ما حلّله أو حرّمه، فما كان طاعة اعملوا به، وما كان معصية فاتركوه، واجعلوا في كلّ الأوقات نصب أعينكم قوله (عزّ وجلّ): ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[3]، واعلم

(1) المصدر نفسه، ص258.

(2) المصدر نفسه، ص259ـ261.

(3) سورة النور: الآية 37.

أنّ التقوى هي الباعث لقبول العبادة: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وبالتقوى تصبح نفس الإنسان كاملة، وتنال مرتبة العبودية التي وصفها الصادق (ع) بقوله: «العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة»، وبالتقوى يتحصّل العلم الحقيقيّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[2]، واعلم أنّ العلم الذي هو نتيجة التقوى غير العلم الحاصل من التعليم والتعلّم؛ لأنّ العلم الذي مصدره التقوى هو النور المحض والحقيقة الصراح، وهذا هو النور الذي يقذفه الله في قلب من يريد. لكن العلم الذي يُتحصّل من الدراسة هو ظاهر العلم، وليس العلم الواقعيّ، كما قال الشيخ البهائي: «العلم الرسميّ من ألفه إلى يائه قيل وقال، لا تحصل منه كيفية ولا حال»»[3].

وتتابع: «أوصيكم أن تبذلوا جهودكم في تحصيل المعرفة، ومعرفة الحقّ تعالى، ونموّ محبّته في قلوبكم، فإنّ الشيء الوحيد الباعث على السعادة والصلاح، معرفة الله (عزّ وجلّ)، الفرد الصمد، وكلّ المصائب والشرور والبلايا ناجمة عن الجهل بالله تعالى وعدم معرفته، وعدم محبّته.

والقلب الخالي من معرفة الحقّ تعالى ومن محبّته بنظر أهل الحقّ، هو والخزف سيّان، ومهما بلغ مقدار أعماله وطاعاته، فلا وزن لها ولا قيمة في نظرهم؛ لأنّ روح الأعمال وحقيقتها هي هذه المعرفة بالحقّ تعالى ومحبّته، والعمل غير الناجم عن المعرفة والمحبّة كالجسد بلا روح، سرعان ما تبدّده الأوهام والشكوك، وتجعله مضمحلّاً، كالوردة من دون جذور سرعان ما تذبل».

وتتابع مخاطبة القارئ قائلة له: «إن كنت تميل لأن تُحسب من الأولياء

---

(1) سورة المائدة: الآية 27.

(2) سورة البقرة: الآية 282.

(3) نصرت أمين، **مخزن اللآلئ في فضيلة مولى الموالي علي بن أبي طالب (ع)**، ص262ـ264، البيت بالفارسية هو: علم رسمى سر بسر قيل است وقال، نه از او كيفيتى حاصل نه حال.

المقرّبين إلى الله تعالى، اسعَ أن تجعل في قلبك مكانًا لمعرفة الحقّ تعالى ومحبّته، فقد ذُكر أنّ عيسى (ع)، صادف في طريقه رجالًا رقيقي الأبدان، حائلي اللون، سألهم: ما الذي فعل بكم ذلك؟ قالوا: الخوف من النار، فقال: الحقّ الحقّ أقول لكم، إنّ الله نجاكم من نار جهنم، وبعد أن ابتعد عنهم، التقى ثلاثة آخرين، شديدي النحول، لكنّ وجوههم منورة كالبدور، قال ما الذي أوصلكم إلى هذه المرتبة وإلى هذا المقام؟ قالوا: محبّة الله (عزّ وجلّ)، فقال: أنتم المقرّبون من الله تعالى»[1].

تتابع وصيّتها بالقول: «جدّ واجتهد لتحصيل هذه الأصول الكبرى: أي تقوى الله ومحبّته ومعرفته، واعلم أنّ المتقين هم المقرّبون من الله (عزّ وجلّ)، الساكنون في موضع الأمن والأمان، والسعيد الحظ هو ذاك الذي يقضي أوقاته كلّها في الليل والنهار منشغلًا بالتفكّر في الحقّ تعالى، وفي ذكره، ولا يغفل لحظة عن مطالعة جماله وجلاله، أي يرى بكلّ قواه ومشاعره آثار الله في مرآة الموجودات جميعًا. وأوصيكم أن تؤمنوا بالله تعالى وبأنبيائه الكرام وخلفائهم، والملائكة والرسل، والكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والمقصود بالإيمان: أصل الإيمان أي الإذعان والاعتقاد القلبيّين، وجدّوا وجاهدوا لتكون أعمالكم صالحة خالصة لوجه الله تعالى، خالية من الشوائب والأغراض النفسانيّة، والأخيلة الشيطانيّة»[2].

بعد أن توضح مقام المتقين، وكيفية تحصيل الإيمان الكامل والعمل الصالح، توصي بتحصيل التوكّل والصبر والرضى والتسليم، واتباع أولياء الله، ومخالفة النفس، وتجنّب المحرمات والمعاصي، والمشتبهات والمكروهات، وتوطين النفس على هذه الأمور الأربعة: «أن تتقوّت بالقدر الذي لا تفقد معه قواك الجسديّة، ولا تضعف، ونم بالقدر الذي يرفع عنك

(1) المصدر نفسه، ص265.

(2) المصدر نفسه، ص266ـ268.

التعب، وتكلم بمقدار الضرورة واللزوم، واعلم أنّ معنى العبادة والعبوديّة هو الانقياد لأحكام الشرع الإسلامي، وتحمّلها لأنّ لأوامر الشريعة الإسلاميّة ونواهيها فائدتين وميزتين:

إحداهما: أنّ لكلّ أمر فوائد لا حصر لها، لا يحيط بها كلّها إلّا الله (عزّ وجلّ)، وكلّ ما نهى عنه أضراره لا حصر لها ولا يعلمها إلّا هو.

والثانية: أنّ الذي يستحقّ مرتبة العبوديّة هو الذي يسلّم أمره لله (عزّ وجلّ)، من دون كيف ولماذا؟ ويتحمّل مشقة الأحكام وإطاعة الله من دون تأمل أو تردّد، متحليًّا بالصفات الحسنة، مبتعدًا عن الصفات السيئة، فالأولى توصل إلى الجنة والثانية إلى جهنم. والذي يعدّ العمر غنيمة، ويعكف على محاسبة النفس والشكر الحقيقيّ».

وتوصي كذلك بمساعدة خلق الله، وفضيلة ذلك، وكيفيّة مخالطة الناس، وتأدية حقوقهم، وتذكر بقول رسول الله «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»، وكيفيّة خلاص النفس من أحابيل شيطان النفس[1].

وتردّ بعد ذلك على أولئك الذين يشبّهون أنفسهم بالنبيّ والأئمّة، وتتكلم على حرمة مقارنة الإنسان العادي بالإنسان الكامل[2].

تنهي الكتاب بمخاطبة القرّاء، طالبة إليهم أن يشهدوا لها بعد قراءة الكتاب أمام الله، تقول: «أشهدكم أيّها القرّاء الأعزاء، أن تشهدوا لي أمام الله، كما أشهد الله (عزّ وجلّ)، والملائكة والأنبياء والرسل، أنّني أقرّ وأعترف، ليس فقط بقلبي ولساني، وإنّما بجميع أعضائي وجوارحي، أنّني أشهد بوحدانيّة الله تعالى، وبالكلمة الطيّبة «لا إله إلا الله»، وأشهد أنّه واحد فرد صمد، لا شريك له ولا وزير ولا مثيل، ولا ضدّ ولا ندّ، ولا شبيه،

---

(1) المصدر نفسه، ص260ـ274.

(2) المصدر نفسه، ص275ـ277.

متصف بجميع الصفات الكاملة: كالعلم، والقدرة، والحياة، والمشيئة، والإرادة، والوحدانيّة، وباقي الصفات الحقيقيّة، وصفاته عين ذاته.

وكما إنّ ذاته وكنه حقيقته أجلّ من أن تتلوّن بأدران أذهان البشر، كذلك فإنّ صفاته الحقيقية أسمى وأرفع من أن يستطيع أحد أن يدرك كنهها وحقيقتها.

لكن من الممكن بعد تصفية الباطن أن يتجلّى إشراق من نور الألوهيّة في قلب الإنسان الكامل، وبقدر سعة قلبه، وبمقدار دلالة وجوده تحصل معرفة الحقّ، وأشهد أنّ الله (عزّ وجلّ) منزّه ومبرّأ من جميع النقائص والصفات الإمكانيّة.

وأشهد لجميع الملائكة والأنبياء والرسل، وأنّ محمد بن عبدالله حبيب الله الخاص، ورسوله ونبيّه، وخاتم جميع النبيّين والمرسلين، وأنّ كلّ ما قاله صدق وحقّ، وكلّ ما بلّغه من الله تعالى، وأشهد أنّ القرآن كلام الله، وأشهد أن عليّ بن أبي طالب وصي النبيّ وخليفته ومفسّر القرآن وحافظ دين النبيّ». وبعد أن تذكر الأئمّة المعصومين وصولًا إلى المهدي (ع) تقول: «وأشهد أنّ الله عادل أي أنّ كلّ ما يكون فبمشيئته الكاملة، يخلقه بحكمته ومشيئته وإرادته التامة، ولا يجوز عليه الظلم في ساحة قدسه، وأشهد أنّ المعاد الجسمانيّ والروحانيّ والصراط والميزان والجنّة والنار، وكلّ ما أخبر به الأنبياء حقّ كلّه وصدق».

ثمّ تقول: «وأشهد الله ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1] أنّ هذه المعارف الحقّة، التي ذكرت بعضها (في هذا الكتاب)، ليست من باب تقليد الغير والتعصّب، وإنّما أنا اهتديت إليها من بركات تتبع دين الإسلام، والتوسل بالأئمّة الكرام، وبعين البصيرة تبصرتُ دين الإسلام، وألهمت بقدر

(1) سورة الرعد: الآية 43.

وسعي وطاقتي المعارف الإلهيّة، وآثار الربوبيّة، إلى أن وصلت من الشك والتخمين إلى درجة اليقين، وهذا بفضل الله ورحمته، يعطي من يشاء ويمتحنه (أأشكر أم أكفر؟).

اللهم ثبتني وجميع إخواني وأخواتي من المؤمنين والمؤمنات على كلمة الإخلاص، وهب لنا من لدنك رحمة، وقنا عذاب النار»...

وتذيّل الكتاب بقصيدة طويلة للمولوي حول شكر الله (عزّ وجلّ).

تفسير «مخزن العرفان»

من أهم ما أنجزته السيدة تفسيرٌ كامل للقرآن مطبوع، يستحق أن يدرس لاستنباط معالم منهجها في التفسير منها، وماهية طروحاتها فيه.

المعروف أن السيدة أمين كانت تدرس القرآن منذ صغرها، وكانت ترغب بشدّة في أن تكتب دورة كاملة مختصرة في تفسير القرآن، وتوضح مقاصد الآيات المنزلة للناس؟ وقد عبّرت عن ذلك بقولها: «منذ مدّة من الزمان، وأنا أفكّر أحيانًا أن أكتب تفسيرًا مختصرًا، وأن أقتبس فيه من كلام الأئمّة المعصومين، وأقتطف سنابل من شروح المفسرّين، لعلّني أحسب هكذا من المفسّرين والمتدبّرين في القرآن».

ولكن حالت بعذ العوائق دون تنفيذ هذه الرغبة، كقلّة العدّة والفقر والضعف.

تقول «من ناحية ضعف النفس والحقارة من عوائق هذا الطريق، ومن ناحية أخرى تحذير الشارع المقدّس من التفسير بالرأي، لذلك لم أجرؤ على دخول هذا الوادي المهيب، لكن الرغبة بأداء هذا الواجب لم تترك لي مجالًا للراحة».

بعد الكثير من التفكير والمطالعة، خطت السيّدة أولى خطواتها في هذا

الوادي المقدّس، لتكون أوّل مفسّرة للقرآن في الكون، بعد جدّتها فاطمة الزهراء.

أنهت السيّدة أوّل مجلدات مخزن العرفان في العام 1376هـ/ 1957م، وفي هذا العام توفي زوجها، وسلمت إدارة المنزل وشؤونه لابنها الوحيد ولزوجته[1]؛ لتتفرّغ، وقد كبُرت في السن، لكتابة التفسير، الذي كانت تدعو ليل نهار ألّا تنتهي أيّام عمرها على هذه الأرض، قبل أن تنهيه.

كانت علاقتها بزوجة ابنها علاقة صداقة وتفاهم وصفاء باطن، فقد كانت من تلميذاتها ومريداتها، فضلًا عن كونها ابنة أخيها، فكانت لها نعم الابنة، والتلميذة، والمريدة، والممرّضة المتفانية.

كما كان لها دور مهم في إنجاز كلّ الأمور الإداريّة والعمليّة المتعلّقة بتشييد «مكتب فاطمة» أو (المدرسة الفاطميّة)[2].

استمرّت السيّدة تكتب هذا التفسير، إلى أن أتمّت المجلد الثاني سنة 1378هـ/ 1958م. يتناول الجزءان الأول والثاني سورة البقرة. ولأنّ السيدة كانت خائفة من أن تغادر الدنيا قبل أن تنهي التفسير، خصّصت المجلد الثالث منه للجزءين الأخيرين من القرآن وللسور القصار، وأنهت هذا المجلد سنة 1381هـ/ 1962م. في السنة التالية، وكانت في الثامنة والستين من عمرها عندما كتبت وصيّتها، ومما جاء فيها: «أوصيكم بأن تجعلوا التقوى شعارًا لكم، وتحرصوا على طاعة الله (عزّ وجلّ)، ولا تتبعوا أهواء أنفسكم، واعلموا أنّ أمامكم طريقًا محفوفًا بالمخاطر، واستيقظوا ولو قليلًا

---

(1) زوجة ابنها فروع السادات، كانت هي والسيدة علوية هُمايوني التلميذتين اللتين كانت تعطيهما دروسًا خاصة في أول عهدها بالتدريس. وقد توفيت هذه السيدة في العام 1999م عن 77 عامًا.

(2) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانی بانو ايرانی: مجتهده نصرت السادات امين**، ص106.

من نوم الغفلة، واجعلوا منزل القلب خاليًا من حب غير الله، وتوجّهوا بكليّتكم صوب ذاك المعبود الأوحد، وأخرجوا من قلوبكم محبّة غير الله، فهو ملجأنا الوحيد»[1].

بعد أن أنهت السيّدة المجلد الثالث من التفسير المتضمّن الجزءين 29 و30 من القرآن، بدأت بكتابة المجلّد الرابع، وهي في خوف دائم من ألّا تستطيع إتمام التفسير الكامل، لكن التفسير اكتمل بعون الله تعالى، وفي الصفحة الأخيرة من كلّ مجلد تاريخ إنهائه بخطّ يدها[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص107، وهذه الوصية قرأها ابنها في المؤتمر الذي انعقد في إصفهان تخليدًا لذكراها.

(2) **المجلد الأول**: نصف سورة البقرة، انتهى في 11 ذي الحجة 1376هـ.ق/ 1957م.

المجلد الثاني: تفسير النصف الثاني من سورة البقرة، انتهى في 18 جمادى الثاني 1378هـ.ق/ 1959م.

المجلد الثالث: تفسير الجزءين 29 و30، انتهى في 4 صفر 1381هـ.ق/ 1962م.

المجلد الرابع: تفسير من سورة الملك حتى سورة النبأ وتاريخ الانتهاء منه غير مذكور وربما سقط في أثناء الطباعة.

المجلد الخامس: من سورة الرحمن حتى سورة التحريم، انتهى سنة 1383هـ.ق/ 1964م.

المجلد السادس: من سورة الزخرف حتى سورة القمر، انتهى سنة 1385هـ.ق/ 1966م.

المجلد السابع: من سورة يس حتى سورة الشورى. **المجلد الثامن**: من سورة العنكبوت حتى نهاية سورة فاطر. **المجلد التاسع**: من سورة المؤمنون حتى العنكبوت. **المجلد العاشر**: من الكهف حتى المؤمنون، وتاريخ إتمام هذه المجلدات الأربعة الأخيرة غير مذكور.

المجلد الحادي عشر: من الرعد حتى الكهف، نهايته في العام 1391هـ.ق/ 1972م.

المجلد الثاني عشر: من التوبة حتى الرعد، انتهى في العام 1392هـ.ق/ 1973م.

المجلد الثالث عشر: من الأنعام حتى نهاية الأنفال، انتهى في العام 1392هـ.ق/ 1972م.

المجلد الرابع عشر: سورتا النساء والمائدة، من دون ذكر التاريخ.

المجلد الخامس عشر: سورة آل عمران، من دون ذكر التاريخ.

أجوبتها عن شتات الأسئلة

كانت في الواحدة والسبعين من عمرها مشغولة بتدوين تفسير القرآن الذي سمّته «مخزن العرفان»، وكانت قلقة من أن ينتهي العمر قبل إنهاء التفسير، فقواها الجسديّة بدأت تخونها، وفي الوقت عينه كانت تعيد التفكير في كلّ ما صنّفته من كتاباتها المتفرّقة، والرسائل والاستفتاءات التي وصلتها، والتي أجابت عنها، وكانت تدرك أنّ كثيرين بعد وفاتها سيكتبون عنها، وربما لجأ بعضهم من محبّتهم لها، إلى الغلوّ والمبالغة، وهي كانت تبحث دائمًا عن الواقع، ولم تترك في كلّ ما كتبت مجالًا لأن يُفسّر كلامها بغير ما وُضع له، فاختارت من بين الرسائل الكثيرة والعديدة التي وصلتها من المدن المختلفة، رسائل أرسلها إليها مفكّرون وعلماء كبار طالبين منها أجوبة فقهيّة تفسيريّة لا أصوليّة فلسفيّة، وفكّرت في جمعها ونشرها، وحيث إنّ هذه الرسائل والكتابات لم تكن بصدد موضوع خاص، وطُرحت فيها مواضيع مختلفة ومتنوعة، سمّت المجموعة التي تتضمّن هذه الكتابات «جامع الشتات»[1]، أي مجموعة الأقوال المختلفة والمتفرّقة. في هذا

(1) كتاب **جامع الشتات**، وفيه أسئلة موجهة إليها بعضها بالعربية وبعضها مطعَّم بالفارسية، أما أجوبتها، فكلها بالعربية. جمعه ورتّبه وصححه حجة الإسلام الشيخ مرتضى المظاهري النجفي، طُبع في مطبعة «نشاط إصفهان»/ جمعية حماية العوائل الفاقدة المعيل، 23ـ25 خرداد 1371ش/ 11ـ13 ذي الحجة 1422ق.

الكتاب ـ الذي تزيّنه الإجازات الثلاث بخطّ ثلاثة شخصيّات من كبار الفقهاء المشهورين ـ جمعت بانو ايرانى نصوص أسئلة العلماء والأجوبة التي وجّهت إليها منهم وطبقتها.

تقول عن نفسها في مقدّمة الطبعة الأولى: «هذا الكتاب من تأليف أفقر خلق الله إلى هدايته وتوفيقه، وأحوجهم إلى إرشاده وتأييده، وأضعف خادمة من خدّام آل الرسول (ص)، وأقلّ ذرّة من ذراري البتول (ع)، وأمة من إماء الله تعالى».

وفي كتب التقريض التي كانت توجّه إليها تكرّر وصفها بالعالمة العاملة، كما تكرر وصف كتاباتها بأنّها تتميز بالتتبع والاستقراء، واستخدام الحجج والأدلّة والبراهين.

يبدأ الكتاب برسالة موجّهة إلى السيّدة المجتهدة بانو أمين من العلّامة السيّد محمد سعيد الحسيني الحلي النجفي، يقول فيها بعد التحيّة والسلام: «إلى صاحبة الرأي والاجتهاد العالمة العاملة ـ وحيدة مصرها ـ وفريدة عصرها، والممتازة على سواها من النساء اللاتي لم يبلغن كعبي قدميها في العصر الحاضر.

أيّتها السيّدة الرشيدة، لقد عظُم مقامك في نفسي وقت ما طالعت أسفارك القيمة «الأربعون» و«النفحات» و«السير والسلوك» وطفقت أدعو المولى سبحانه أن يمنحك القوة والتوفيق على المواصلة لنشر العلوم الثمينة في مثل هذا الوقت الحالك بالظلم والضلال، فلّله درّك على تلكم الموهبة الطافحة بالعلم الغزير ـ الظاهر على عباراتها قوّة الاستنباط وقدرة الملكة بحسن الأسلوب ـ وسبك الجمل، وبلاغة البيان، وظهور المعاني ووضوحها، وربط الموضوع بعضه ببعض؛ كلّ ذلك يحكي عن قريحة حيّة تستلهم الإفاضة الروحيّة، من مكان رفيع عظيم، كما في الحديث، قال

(ص): «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»[1]. وأنت من مصاديق هذا الحديث الشريف قطعًا.

ولقد كان لتتبعك وأسفارك باع طويلة، وقدرة مكينة يراهما البصير اللبيب، ولا يخفيان على من له أدنى دراية ونظر، فكنت من أجل ذلك كلّه المرأة الممتازة، في فنونك وعلومك، وكنت السيّدة حقًا على نساء مصرك وعصرك.

وإنّي لا أحسب لهذا الوصف نكير، لما عرفه الناس فيك من سداد الرأي والاجتهاد، فيا فذّة الأمّة الإسلاميّة، ويا مفخرة العلماء والعالمات، ويا نادرة العصر ومعجزة الزمان، فالحقّ والحقّ أقول: لحقًّا أنت قدوة ربّات الخدور عروبة وإسلامًا. أقول ذلك من دون رياء، ولا مراء، طبعًا.

أجل فبعد كلّ هذا وذاك، حقيق على بلدك إيران أن يفتخر بك قبال البلاد الإسلاميّة..؛ لأنّك ثروته المعنويّة الثمينة، كيف لا؟ وقد حزت الصيت الحميد في نشراتك المتتابعة...، من حقّه أن يفتخر ويباهي بعلمك العواصم الراقية والأمم المتمدّنة، إنّ من أعظم ما أنعم به الله جلّ شأنه على الفرقة الإماميّة الاثني عشريّة، أن منّ عليها بوجودك في الوقت الحاضر، فكنت بفضله عالمة عاملة، مجتهدة مجاهدة، قد أوقفت نفسها على نشر العلم والفضيلة، وكسح الجهل والرذيلة، ترتجي بذلك إعلاء كلمة الحقّ، وترويج الدين، وإتمام الحجج البالغة، ذات الدليل والبرهان على من يسعى في الأرض فسادًا.

أجل، فجدير بالمرأة المسلمة والرجل المسلم المثقفين اللذين يرتادان الحقّ والحقيقة... أن يقتديا بك ويطلبا العلم الشريف...

---

(1) نستنتج أن هذه الرسالة قد وجهت إليها بعد صدور كتابها الثالث: **السير والسلوك**، أي بعد العام 1946م.

وختامًا أسأل المولى جلّ ثناؤه أن يسدّدك ويسدّد بك الأمّة الإسلامية من كلّ ما لا يرضيه ويُسخطه ويجعلك منارة تشرق أنوارها من إصبهان فتنير البلاد الإسلاميّة، والبلاد الأخرى في الكرة المعمورة لبني الإنسان».

ثم ينهيها بأبيات شعر يقول تقديمًا لها: «وهذه أبيات شعر أوحتها قريحتي في وصفك الحقيقيّ، متوخيًا منها رضا المولى سبحانه، وأجدادك الأطهرين (ع)، من دون أدنى مبالغة:

«لعمري إن الذي قلته في وصفك ليس هو إلا من صفاتك وصفائك؛ ذلك لإيماني بفضلك ودينك، وإيمان الآخرين من عرب وعجم»».

وثمّة أيضًا قصيدة مدحيّة، أرسلها إليها إمام مسجد الحسن المجتبى في الأهواز الشيخ محمد طه الهندواي نجفي زاده، في 8 شوال من العام 1381هـ.

القصيدة من ثمانية وثلاثين بيتًا، يبدأها بمدح النبيّ وآله، إلى أن يقول عنها:

كيف لا نفخر بفرع منهم	هي للعلم مثال الوارثينا
يكفها الفخر إذا ما سُمّيت	للعلى أمًّا وللعلم أمينا
قلم سيال في علم لها	نشرته بين كلّ الكاتبينا
شاهد هذا لها من فضلها	نبعة الفضل وفيها مقتدينا
جئت والقرآن أهديه لها	حيث فيه نحن جمعًا مقتدينا
خير ذكرى لاقتدائي عندها	خير قربى لست أخشى الناقدينا

ومع القصيدة يُرسل إليها رسالة يستفتيها فيها حول أربع عشرة مسألة يقول في مقدّمتها بعد البسملة:

«سيّدتي المجتهدة العالمة العاملة السيّدة العلويّة الهاشميّة الأمينيّة المحترمة.

بعد تقديم واجب التحيّة والاحترام، أدعو الله العلي القدير أن يديم لكم العزّ والشرف أهل البيت، كما طهركم وميزكم بالعلم والعمل في مرضاته.

وبعد فقد أشكلت عليّ بعض مسائل اعترضتني في مجرى مواضيع كتابي «مناظرة المفسّرين»، ورغبت أن آتي إلى إصفهان لأقف على بابكم سائلًا ومستفسرًا عنها؛ لأنّكم فرع الدوحة المحمديّة، وينبوع العلوم الحيدريّة، لذا أرجو التنازل للإجابة عنها لتعمّ الفائدة بين الناس وهي هذه.

(لن ننقل من الكتاب كلّ الأسئلة وإجاباتها عنها، وإنّما بعضًا منها، للتدليل على كيفيّة استنباطها الأحكام)، من ذلك جوابها عن سؤاله السابع الذي يقول فيه: «نرى الفطاحل من علمائنا يقولون بنقيصة القرآن وتحريفه وتبديله والزيادة عليه، ويؤيّده قول أهل السنّة عندما يريدون الطعن في الشيعة، فهل في هذا القول دليل ثابت؟ وما هو؟ وهل له صحّة أو قريب منها؟».

الجواب: «إنّ المدّعين لثبوت التحريف في طرف النقيصة تمسّكوا بالأخبار الآحاد، مع أنّ بعضها من الأخبار الضعيفة، فلذلك في إثبات هذا الأمر العظيم لا يجوز الاعتماد عليها ـ مع أن تنقيصه فضلًا عن الزيادة عليه، إن كان لها قول ـ ولم أره ـ لا أزعم من قال بالزيادة عليه ـ مخالف للعقل والنقل...

أمّا العقل، فإن صار تحريفه في طرف النقيصة، لجاز أيضًا في طرف الزيادة عليه.

فحينئذ يسقط إعجازه والاعتماد عليه، مع أنّه مخالف لقوله تعالى

في مقام التحدي ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[1].

وقوله سبحانه ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2].

كيف وإن جاز تحريفه في طرف النقيصة، جاز تحريفه في طرف الزيادة، فحينئذ يلزم الكذب. (والعياذ بالله) في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾. لصدق ما زاد عليه بكونه قرآنًا ويصير مثله، فيسقط إعجازه والتحدّي به، فتأمل.

وأما النقل: فمن الآيات مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3].

ولا شكّ في أن المقصود من الحفظ حفظ آياته وسوره وكلماته، فمع تحريفه وتنقيصه كيف يصدق أنّه تعالى حفظه؟

وأيضًا مناف لقوله سبحانه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾[4]، لأنّه لا شكّ في أن التحريف هو تبديل كلماته.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالّة على عدم إمكان التبديل والتحريف في كلام الله سبحانه.

ويؤيّده قول الرسول (ص): «إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله

---

(1) سورة البقرة: الآية 23.

(2) سورة الإسراء: الآية 88.

(3) سورة الحجر: الآية 9.

(4) سورة الأنعام: الآية 115.

وعترتي لا يفترقان»؛ لأنّ عدم افتراقهما يدلّ على بقائهما على ما هما عليه، وعدم الاختلال في وجودهما.

وكما كان هذا القول مخالفًا لحكم العقل والنقل ـ مع كون دليل القائلين به أخبار الآحاد ـ فلا اعتماد عليه ـ وبزعمي هي من الأخبار التي قال عنها المعصوم في الحديث المشهور «فاضربوه على الجدار (عرض الحائط)».

وإلا كيف يُتصوّر أنّ القرآن الذي نزل لهداية الخلق، وهو من المعجزات الباقية إلى يوم القيامة يمكن تحريفه وتنقيصه؟

هذا ما عندي في حلّ هذا الإشكال والله تعالى عالم بحقيقة الحال.

أما السؤال التاسع الذي وجّهه إليها فهو: «متى وُجدت المواكب العزائيّة، ومن هو المؤسّس الأوّل لها بهذه الكيفيّة: من لطم على الصدور وضرب (بالقامات) وتشكيل دائرة التشبيه (تمثيل الواقعة)؟ وهل إنّ التشبيه غير اللائق بمقام أهل البيت (ع) جائز ويترتب عليه الثواب؟

فكان جوابها على النحو الآتي:

إنّ هذا السؤال يشتمل على سؤالين: الأوّل من هو مؤسسها ابتداءً، والثاني: أنّه هل يجوز شرعًا اللطم والضرب وتشكيل دائرة التشبيه أم لا؟

فنقول: أمّا الجواب عن الأوّل فلا أدري من هو مؤسّسها بالخصوص. ولكن القدر المسلم أنّها كانت من مؤسّسات عوام الشيعة، والعلماء مع علمهم أنّها مخالفة للقوانين الشرعيّة، لم يمنعوهم، أو منعوهم ولم يسمعوا، فتركوهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1].

(1) سورة البقرة: الآية 15.

والعوام ارتكبوا الخلاف من حيث لا يشعرون، وهم من الذين يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا.

وأما (الجواب) عن الثاني، فأقول، على ما تقتضيه القواعد الفقهيّة لاستنباط الأحكام الشرعيّة، لا نستفيد منها إلا الحرمة؛ لأنّه لا مخصّص للعمومات الأوليّة، والقواعد الكليّة من حرمة الإضرار والإيذاء بالنفس ولا دليل لنا لاستثنائها في المقام.

وأيضًا العمومات التي نستفيد منها حرمة تشبه الرجال بالنساء وبالعكس، كما يصنع في دائرة التشبيه، تشملها، ولا دليل في المقام لخروجها عنها...

نعم، الأخبار الواردة، في ثواب البكاء والإبكاء على الحسين (ع) كثيرة، لكن اللازم على خطباء المنابر، أن يُفهموا الناس أنّ الحسين (ع) قُتل وبذل نفسه الشريفة لأجل العمل بشرائع الدين، فمن لا يلتزم بأحكام الإسلام، ويتجاهر بالمعاصي، فالحسين (ع) منه بريء.

أما السؤال الثاني عشر الذي وجّهه إليها، فهو الآتي: «هل إنّ الأعلميّة في التقليد واجبة وكيف تتحقق إلخ؟ فكان جوابها: «كما برهن في محلّه، الأعلميّة في التقليد واجبة، وذلك لأنّه لما كان تقليد غير المعصوم (ع) خلاف القاعدة، واستنباط الأحكام من مداركها متعسّر بل متعذّر لعموم الناس، فلهذا بحكم العقل يجوز للعوام في المسائل الفرعيّة أن يقلّدوا، فلمّا كان كذلك فيلزم الاقتصار على القدر المتيقن، وهو تقليد الأعلم.

والأعلميّة مثل سائر الموضوعات الشرعيّة تتحقق بالبيّنة أو الشياع المفيد للعلم، أو الظنّ المتاخم للعلم، والشياع حجّة إذا تحقّق من أهل الخبرة، وهم العلماء المتبحرون في الفقه، فبعد الاختبار عن من ادّعى الأعلميّة (هكذا) في محاوراتهم الفقهيّة وشهادتهم بكونه أعلم أهل زمانه،

بحيث يصير شائعًا بين المؤمنين، فحينئذ يجوز للعوام أن يقلدوه، وهم معذورون في ما يخطئون».

أما السؤال الرابع عشر فهو حول قضيّة المعراج وما حام حولها من الاعتراضات والشبهات ويقول السائل: «لم يتيسر لنا الرد عليهم إلا بقول القرآن وإتيان المعجزة وخرق العادة لله سبحانه وتعالى لإظهار فضل نبيّه (ص)، وهذا غير مقبول في الأوساط العلمية الخاصة، ثمّ يقول: أجيبونا عن هذا جزاكم الله خيرًا أهل البيت؛ لأنّكم أهل العلم ومعدنه».

وكان جوابها الآتي: «إن الذين لا يقبلون ذلك إما أن يكونوا من الذين يعتقدون بوجود المجردات، ويعتقدون أنّ لكلّ فرد من أفراد البشر روحًا مجرّدًا، وإما أن يكونوا من الذين ينكرون وجود مجرّد رأسًا، ويقولون لا يكون في عالم الوجود شيء سوى المادة ولوازمها.

فإن كانوا من الطائفة الأولى، فالكلام معهم سهل؛لأنّه لا شكّ في أنّ أفراد البشر في درجات الروحانيّة متفاوتون، بعضهم في الطرف الداني، يعني وإن كان له روح مجرّد، ولكن الروح فيه ضعيف في غاية الضعف، بحيث إنّه لا أثر لروحه ونفوذه في المادة، لجموده في الماديات؛ بل يمكن أن يُقال ليس له روح مجرد بالعقل وذلك لانتفاء أثر روحه ووقوعه تحت استيلاء قوى الطبيعة وسيرورته من توابع المادة. وبعضهم في الطرف العالي، بحيث يكون في أعلى درجة من درجات القوة ـ لأنه ليس للوجود المجرّد حد محدود ـ فحينئذ له القوّة والاستيلاء على المادة ويستخرج منها خواصّها وآثارها، وبينهما مراتب كثيرة في القوة والضعف. ولما شاهدنا هذا التفاوت بين أفراد البشر في القوّة والضعف في الروحانيّة، ينكشف لنا أنّ الروح حقيقة واحدة ذات تشكيل، كالوجود على رأي بعض الحكماء. وله مراتب في القوة والضعف، وكلّ مرتبة منها لها مرتبة فوقها، حتى تنتهي إلى درجة ليس لها ما فوق إلا وجود واجب الوجود (جلّ وعلا).

فإذا تمهدت هذه المقدمة، فنقول لما كان روح النبي الخاتم (ص) في أعلى درجة القوّة والاستيلاء ـ باعتراف كلّ العقلاء ـ حتى إنّ المنكرين لنبوّته معترفون بأنّه كان عالمًا حكيمًا في أعلى درجات الحكمة ـ فيكفي لنا معهم في إثبات معراجه الجسمانيّ أن نقول إنّ النبي الخاتم (ص) لما كانت قوته الروحانية وتجرده في أعلى مرتبة التجرد، فكان قوة إرادته وعزمه بحيث نفذت في الموجودات وتصرف فيها بمشيئة الله تعالى.

فلما كان كذلك فقوة إرادته وعزمه نفذ في جسمه الشريف وحرّكه وصعّده بإذن الله سبحانه في عالم الملك والملكوت؛ ليرى آثار صنع إلهه وخالقه، ويزيد في معرفته.

وأما إن كان المنكر من الطائفة الثانية، أعني المنكرين لوجود مجرّد برأسه، فنقول له من حيث الحكمة الطبيعيّة والكشفيات العصريّة بعد أن وصل علماء المادة وفلاسفة الطبيعة إلى استخراج جملة من قوى العناصر المودعة في الكون المحسوس التي ما ظفر بها أحد من السابقين، فاستخرجوا منها ما يدهش الألباب مما ترتب عليها من الآثار والأسرار من عجائب المخترعات النافعة كالسيارة والطيارة وأمثالهما، فضلًا عن الاكتشافات الفلكيّة والطبّ وأضرابهما.

فهل يبقى بعد ذلك مجال للاستنكار والاستبعاد من أن يكون في الكون قوى كامنة وأسرار خفيّة ـ أطلع الله تعالى عليها أنبياءه وأولياءه (ع) ويظهرون بها المعجزات والكرامات ـ خصوصًا الفرد الكامل منهم كالنبيّ الخاتم (ص)، بأن أفاض عليه قوّة وقدرة واستيلاء على القوّة المغناطيسيّة، التي مرتبة ضعيفة منها مودعة في كلّ بشر (إنسان)، وصار (النبيّ) بها بحيث إنّ روحه الملكوتيّة تصعّد جسمه الناسوني إلى السماء ليطّلع على ما فيها من عجائب صنعه (سبحانه وتعالى)...

ثمّ تضيف: هذا جواب إقناعي لمنكري المعراج لكسر استبعادهم، وإلا فمقام الأنبياء، ولا سيّما النبيّ الخاتم (ص) فوق ما يتصوّر وكذلك القوى المكنونة في نفسه الشريفة تكون فوق ما في سائر النفوس؛ بل سائر الموجودات حتى المجرّدات العلويّة؛ لأنّه كما بُرهن في محلّه هو العقل الكليّ والصادر الأولّ، فكيف يمكن مقايسته بغيره؟».

تنهي أجوبتها بقولها: «هـذا ما ظهر لفهمي القاصر في حلّ هذه الإشكالات، وكلّ واحد منها يحتاج إلى مزيد بسط في الكلام، ولا يسعني المجال إلا الإجمال، والله تعالى عالم بحقيقة الحال».

العلويّة الأمينيّة

من الأسئلة والاستفهامات التي وُجهت إليها، وبعضها بالعربيّة وبعضها بالعربيّة المطعّمة بالفارسيّة.

سـؤال وجهه إليها من تبريز السيّد حسن ميرزائي يصفها بقوله: «السيّدة الجليلة، العالمة، النبيلة، الفيلسوفة، الفقيهة»، ثم يقول لها بالفارسيّة إنّه بعد أن اطّلع على مؤلّفاتها، وعرف مستوى علومها الرفيع، يتمنى أن تجيبه عن معنى التسبيح في الآيـة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] ونظائرها، أهو التسبيح والتقديس الذاتي؟ أم التسبيح والسجود التكليفيّ والتشريعيّ؟ وبعد ذلك، يخبرها أنّ نسخ كتابها «الأربعون» قد نفدت، وأنّه يتمنى أن تؤمن له نسخة منه.

وهي تنهي جوابها المستفيض بقولها: «هذا ما حضر عندي في توجيه (تفسير وتأويل) الآيات، والله أعلم بحقائق كلماته».

(1) سورة الإسراء: الآية 44.

ومن ثمّ تعتذر عن نفاد نسخ كتابها «الأربعون»، وهذا يدلّ على أنّ هذه الأسئلة قد وجّهت إليها قبل أن يطبع الكتاب طبعة ثانية.

ومن الأسئلة التي وُجهت إليها أيضًا سؤال عن المراد من حديث الرسول (ص): «من صام يومًا في سبيل الله تعالى كان كعدل سنة يصومها».

بعد أن تُنهي ردّها المطوّل على السؤال، تستنتج: «لعلّ المقصود أنّ من صام يومًا خالصًا لوجه الله تعالى، بحيث لم يكن له محرّك لامتثال أمره سبحانه إلا معرفته بجلاله وجماله وكونه أهلًا للعبادة، كان كعدل سنة يصومها، فمن عرف الله بجماله وجلاله وألطافه اشتاق إليه وأخلص عبادته له سبحانه، فأحبّه الله وأخلصه وأدناه قربًا معنويًّا، فمن كانت عبادته بهذه المثابة فحقيق أن تصير عبادته في كلّ يوم من حيث فضيلتها وآثارها الخارجيّة المترتبة عليها، وثوابها الأخرويّ كعبادة سنة إن لم تكن كذلك. والدليل على أنّ اتصاف العمل بالإخلاص غير اتصافه بالعبادة، وأنّ العمل الخالص هو الذي يكون خالصًا لوجه الله تعالى، ولا يكون لغيره تعالى مدخليّة فيه أصلًا، الآيات الباهرات والأخبار الكثيرة الدالّة على فضيلة الإخلاص في العبادة».

ثمّ تقول: «فهذا بعد إمعان النظر ما خطر ببالي في توجيه (تفسير) هذا الحديث، والله العالم بحقائق أسرار كلمات أنبيائه وحججه صلوات الله عليهم أجمعين».

وتقول: «بعد ذلك لقيت عالمًا جليلًا وقلت له ما تقول في توجيه هذه الرواية، فهو بعد إمعان النظر الدقيق، قال يُحتمل فيها وجوه: منها... ومنها... ومنها... ومنها...

ولكن هذه الوجوه التي احتملها دامت بركاته، في نظري القاصر، كلّها بعيدة، لعدم الدليل المعتدّ به عليها: على أنّ سياق الحديث آبية عنها».

«والخلاصة من جميع ذلك أنّ أحسن الوجوه، في توجيه الرواية، هو الذي رجّحناه، وقلنا إنّه أقرب إلى المراد من غيره، وقوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]، لعلّ المراد من لقاء ربه فوزه برحمته، وكثرة ثواب عمله وعلوّ درجاته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته... العلويّة الأمينيّة»[2].

في مكان آخر من الكتاب، تناقش الكلام الذي نقله الشيخ البهائي في الكشكول عن البيضاويّ: بأنّ تعليق الأمر بالتبيين على فسق المخبر -بالنسبة إلى خبر الواحد[3]، والظاهر أنّ هذه الأوراق مفقود أوّلها، إذ لا ذكر فيها لأصل الموضوع (الذي من الواضح أنه متعلّق بأخبار الآحاد)، ولا إن كان سؤالًا وجّه إليها من أحدهم، أو تتمة لأمر ما.

بعد ذلك تجيب من سألها عن الرواية المنسوبة إلى علي (ع)، والمتعلّقة بالتوحيد، وهي قوله (ع) «من سأل عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو مشرك، ومن عرف التوحيد فهو ملحد، ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر»، بعد أن تفسّر هذه الأقوال كلًّا على حدة[4] تقول: «والحاصل أنّه (ع) أدرج في هذه الفقرات المذكورة المختصرة مطالب دقيقة ونكات لطيفة[5]:

---

(1) سورة الكهف: الآية 110.

(2) نصرت أمين، **جامع الشتات**، ص54-61.

(3) انظر: المصدر نفسه، ص62-65

(4) المصدر نفسه، ص66-67.

(5) المصدر نفسه، ص68.

«منها: أنّ معرفته تعالى بكنهه وحقيقته محال؛ لأنّ لازمه معرفة الشيء كذلك والعلم به ـ إحاطة العارف واستيلاؤه عليه ـ والله تعالى محيط بكلّ شيء، فلا يمكن الإحاطة به؛ لأنّ المحيط مستحيل أن يصير مُحاطًا.

ومنها: أنّ معرفته سبحانه واجب على كلّ مكلّف عقلًا لشكر المنعم، ونقلًا لقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]، وغير ذلك من الآيات، ولقوله (ص): «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم»، وتفسيره: العلم الواجب تحصيله ـ بعلم الأصول والفروع والأخلاق ـ كما شرحناه في الحديث الثاني من كتابنا «الأربعون الهاشميّة»، إن شئت فارجع إليه، وتحصيل المعرفة الواجب معرفته تعالى بوجهه لا بكنهه جمعًا بين الفقرتين من هذه الرواية وسائر الأخبار.

ومنها: أنّ معرفته تعالى لا تحصل بطريق التعليم والتعلّم؛ بل هي نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده، إلى غير ذلك من الدقائق في كلامه (ع) التي لا يعلمها إلا الراسخون في العلم.

هذا ما خطر ببالي في شرح كلامه (ع)، والله العالم بأسرار كلمات حججه وأوليائه»[2].

تأتي بعد ذلك إجابتها عن سؤال ثانٍ هو: «هل للبالغة العاقلة الرشيدة الباكرة أن تتزوّج بغير إذن أبيها؟»[3].

بعد الشرح، والتعليل، والتوضيح، وتمحيص الأحاديث المروية عن النبيّ والأئمّة (ع)، وتبيان الضعيف منها، تصل إلى القول: «ولمّا كانت هذه المسألة من معضلات المسائل، فإنّها تحتاج إلى مزيد بيان، ولا مجال

---

(1) سورة محمد: الآية 19.

(2) المصدر نفسه، ص68.

(3) المصدر نفسه، ص68ـ69ـ70ـ71ـ32ـ43ـ74.

لي لاستيفاء جميع الأخبار المتعارضة فيها ونقضها وتنقيحها، ويحتاج ذلك إلى مباحثة شديدة ومطالعة كاملة، ولكن اقتصرت على ذكر الأقوال وأدلّتها في الجملة؛ لكي لا تخلو العريضة من الجواب، والله الهادي إلى الصواب».

العلويّة الأمينيّة.

في موضع آخر من الكتاب تفصّل قضيّة الزكاة، وهل هي واجبة بعد إخراج ما يأخذه السلطان (الحكومة) فقط، أم بعد إخراج المؤن كلّها؟[1]،تقول في آخر جوابها[2]: «هذا ما ظهر لفهمي القاصر بعد إمعان النظر الدقيق في أجوبة هذه المسائل المعضلة التي سألها قبل ثلاثين عامًا بعض الأعلام من فحول العلماء من الحقيرة»

العلويّة الأمينيّة.

من الأسئلة التي وجّهت إليها وأجابت عنها وأوردتها في هذا الكتاب (أوردت الأسئلة والأجوبة من دون ذكر اسم السائل، لأنّ هذه الأسئلة كانت قد وجّهت إليها منذ زمن بعيد):

ـ سؤال عن رجل طلق زوجته رجعيًّا، ثمّ قبل انقضاء العدّة عقد عليها، أهو رجوع أم لا؟[3].

ـ ما هو حكم جماعة من الفسّاق والفجّار عقدوا مجالس مشتملة على أنواع المعاصي وأقسامها، من المسكرات، واستعمال آلات اللهو،

(1) المصدر نفسه، ص76ـ91.

(2) المصدر نفسه، ص91.

(3) المصدر نفسه، ص92ـ95.

والاستهزاء بالشرع وأهله: من الأذان وجماعة المسلمين، والتدريس إلى غير ذلك؟[1].

ـ سؤال فقهيّ حول من قصد السفر إلى أربعة فراسخ ويريد أن يصلّي.

ـ سؤال: لو احتلم المكلف في نهار شهر الصيام، فهل يجوز له التواني في الغسل؟ أم يجب عليه المبادرة إليه؟[2].

ـ سؤال: ما المراد من قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[3] مع منافاة ظاهرها لمرتبة العصمة الثابتة للأنبياء والأئمّة (ع) بالدلائل العقليّة؟

بعد أن تورد التفاسير المختلفة تقول:

«إلى غير ذلك من التفاسير، لكن الأولى هو التفسير الأول (ما أجاب به الإمام الرضا المأمون حين سأله عن ذلك: قال نقلًا عن جدّه الصادق (ع): همّت بأن تفعل وهمّ بألّا يفعل)؛ لأنّه هو المناسب لمقام النبوّة ـ لكونه معصومًا ـ والمعصوم لا يهمّ بذنب كي يمنعه شيء من خارجه، ولا يميل إلى الفحشاء والمنكر ـ كما يُشعر بذلك قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ـ وهم الذين أخلصهم الله لطاعته وعبوديته ـ أو أخلصوا دينهم لله تعالى ـ والله العالم بحقائق كلامه»[4].

العلويّة الأمينيّة.

---

(1) المصدر نفسه، ص96ـ99.

(2) المصدر نفسه، ص100ـ103.

(3) سورة يوسف: الآية 24.

(4) نصرت أمين، جامع الشتات، ص103ـ104.

ـ سؤال عن معنى قول أمير المؤمنين (ع): «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيُركب ولا ضرعٌ فيحلب».

تأتي أوّلًا بأقوال الشرّاح لكلامه، ثمّ تقول: «وأنا أقول احتمل لكلامه (ع) معنى لم يسبقني إليه أحد في ما أعلم، وهو أنّه (ع) أراد من الفتنة الدنيا ـ إذ هي فتنة ما أعظمها ـ كما قال الله تعالى ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1]، وأراد (ع) من التشبيه بالضرع عدم ادّخار الأموال، وبالظهر عدم تحمّل أثقال الغير، وحاصل المعنى أنّه: كن في الدنيا حرًّا من التقيّد بالأموال ومن الحرص في جمعها وادّخارها؛ لكي لا يأخذ الظالم منك بكره، وكن حرًّا عن الطمع في أموال الناس كي لا يحكم عليك ولا تصير عبدًا لإحسانهم كما ورد عنه (ع): «أحسن إلى من شئت تكن أميره، احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن نظيره»، والله العالم»[2].

ـ سؤال عن معنى ما هو مشهور من أنّ أمير المؤمنين (ع) كتب إلى معاوية: غرّك عزّك فصار قصار ذلك، فاخش فاحش فعلك، لعلك تُهدى بهدي[3].

ـ سؤال هل التخيير بين الأقلّ والأكثر شرعًا أو عقلًا يمكن تصويره أو لا؟ ومع فرض الإمكان صحيح أم لا؟[4].

ـ سؤال أصوليّ: هل أسامي العبادات حقيقة في خصوص الصحيحة منها، أو في الأعم؟[5].

---

(1) سورة الأنفال: الآية 28.

(2) نصرت أمين، **جامع الشتات**، ص105ـ106.

(3) المصدر نفسه، ص107ـ108.

(4) المصدر نفسه، ص109.

(5) المصدر نفسه، ص110ـ127.

يأتي بعد ذلك، تقريظ كتابها «الأربعون الهاشمية» ونصّ الإجازة التي منحها لها الشيخ محمد تقي الرازي النجفي[1].

ثمّ قصيدة مدحيّة وجّهها إليها الخطيب المنبري الشاعر حبيب الله الروحاني الكاشاني، من نسل المرحوم (الفيض الكاشاني)، يتحدّث فيها عن فرادة هذه السيّدة، التي ظهرت في عصره جوهرة وفخرًا لنساء إيران ولكلّ الإيرانيّين، وأنّ لسانه يعجز عن وصفها، وهو مهما قال، لا يمكن إلّا أن يكون قوله جزءًا من ألف من صفاتها، وأنّها هاشميّة الأصل، إصفهانيّة الموطن، وأنّها فقيهة أصوليّة حكيمة، ثمّ يذكر كتبها كتابًا كتابًا. والبيت الأخير من القصيدة تأريخ نظمه لها سنة 1384ش[2].

بعد ذلك نسخة من رسالة أرسلها إليها المرحوم السيّد محمد حسن (سلطان الواعظين) الكاشاني وتتضمّن 151 كلمة من الأضداد، يقول لها إنّ غايته تسهيل مطالعة لغات الأضداد في الآيات القرآنيّة والأخبار والأحاديث المروية، ويطلب رأيها في عمله، ويرجوها أن تطبع هذه الرسالة في آخر أحد كتبها، لهذا إجابة له طبعتها في آخر كتابها هذا، من دون أن تتمكن من مراجعتها، ثمّ تقول: «فالعهدة عليه رحمة الله تعالى».

العلوية الأمينيّة[3].

(1) المصدر نفسه، ص128ـ143.

(2) المصدر نفسه، ص144ـ145.

(3) المصدر نفسه، ص146ـ156.

مكانتها العلميّة

لقد بلغت السيّدة أمين من الشهرة بين أهل العلم حدًّا جعل العلماء والفضلاء من إيران والعراق، يتسابقون للقائها، لكن حيث إنّ عددًا كبيرًا من تلك المقابلات واللقاءات، لم يدوّنه أصحابه أو الشهود عليه في كتاب، ولم ينشروه في مجلة[1]، بقي ما جرى في تلك اللقاءات من الأسرار التي دُفنت مع أصحابها.

مع ذلك فإنّ القليل الذي دُوّن، أو حكي، يعطي فكرة عن تقدير العلماء لهذه السيّدة التي وصلت إلى هذه الدرجة العالية من العلم والحكمة والعرفان. لقد أدرك بعض العلماء الأعلام والعرفاء، ومنهم العلّامة الأمينيّ وآغا رحيم أرباب عظمة هذه السيّدة العالمة، وكانوا كثيرًا ما يتردّدون عليها ويناقشونها ويستمعون إليها. كما إنّ كثيرين من العلماء والفقهاء وأرباب الحكمة كانوا يأتون لزيارتها ولإجراء حوارات علمائيّة أو عرفانيّة: من بين الكبار العلّامة الطباطبائي وآية الله المرعشي النجفي، وآية الله السيد هاشم حداد، والأستاذ محمد تقي الجعفري، والشهيد مطهري، وآية الله الحائري الشيرازي وآخرون، وقد عبّر كلّ منهم على نحو خاص عن حصيلة لقائه بها.

شرح الشهيد المطهري ما جرى في أثناء مقابلته للسيّدة بعد ذلك

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص71.

بأعوام في جلسة درس من دروسه على النحو الآتي: «سألت السيّدة أمين سؤالًا: وحين شرعت بالإجابة أحسست أنني يجب أن أجمع يدي ورجلي (أحسست بالضآلة)»[1].

عن هذا اللقاء ورد في مقابلة أجراها مراسلو فصليّة «مجلس النساء الاجتماعيّ» مع آية الله الموسوي الزنجاني قوله: أتذكر أنّ الشهيد المطهري قال: كانت شهرة هذه السيّدة (المجتهدة أمين) وعلمها ومعرفتها قد عمّت الأرجاء، قلت في قرارة نفسي: كيف تستطيع امرأة أن تُدرك المسائل المعقّدة والفلسفيّة، وأن تحفظ هذه المصطلحات والعناوين الفلسفية وتدرك أغوارها؟! لأنّني كنت أستبعد وجود كلّ هذه المعرفة والفضيلة لدى سيّدة، وللتحقق من الموضوع؛ قرّرت السفر إلى إصفهان وأخذت موعدًا من المخدّرة المشار إليها، وذهبت للقائها، وفي محضرها، طرحت للنقاش إحدى المسائل الفلسفيّة، وهي قاعدة «المحامد لا تصدر إلا عن الله الحامد»، وحين بدأت السيّدة الجواب والسؤال، شعرت بأنّني يجب أن أصمت بعد أن أفحمتني» يقول آية الله الزنجاني، حتى الآن لم يغب عن بالي تعبير الشهيد مطهري[2].

من الذين التقوا بها من العلماء المعروفين، السيّد هاشم الحداد: كان عارفًا تقيًا محترمًا، يعيش في كربلاء المقدّسة، ورد في كتاب «الروح المجرّد»، الذي هو سيرة حياة هذا العارف الكامل، العالي القدر وبيان أحواله ما يأتي: «لقد سمع السيد هاشم حداد من رفاقه وأصدقائه الكثير من المديح للمرحومة المخدّرة السيّدة العلويّة الهاشميّة الإصفهانيّة، ولكمالاتها، ولا سيّما ما يتعلق بمكاشفاتها العرفانيّة، ودرجاتها التوحيديّة، لذلك رغب في ملاقاتها. أخذ آية الله الطهراني بواسطة أحد علماء إصفهان

---

(1) المصدر نفسه، ص62.

(2) المصدر نفسه، ص62، نقلًا عن: فصلية شوارى اجتماعى زنان، العدد الأول، ص81.
العبارة بالفارسية: «ديدم كه من بايد دست وباى خود را جمع كنم».

موعدًا لملاقاة هذه السيّدة، وذهب برفقة السيّد هاشم حداد وجماعة من العلماء إلى منزلها. قبل موعد صلاة الظهر بساعتين، يقول آية الله طهراني مؤلف كتاب الروح المجرد: «دخلنا غرفة الاستقبال، وإذا بالمخدّرة المحترمة العفيفة، التي كانت في ذلك الحين قد بلغت الثمانين من عمرها، تدخل الغرفة، وتقول لنا: أهلًا وسهلًا، وبعد الضيافة، سألت عن هويّة السيّد هاشم حداد وعن مكان إقامته»[1].

يقول العلّامة الطهراني إنّ السيّد هاشم حداد، العارف الكامل طلب إليه أن يناقش مع السيّدة موضوع التوحيد، وليس العلوم والمسائل الفقهيّة أو الأصوليّة أو التفسير، كان يقصد من وراء ذلك أن لا يضيع الوقت المخصّص للجلسة هدرًا في الكلام على المتعارف والعادي من المسائل، وأن يشخص في هذه الجلسة مقدار درجاتها ومسارها التوحيديّ وعرفانها العمليّ. لذا افتتحت أنا باب البحث وطرحت أسئلة أجابت عنها السيّدة إجابات لاقت قبول السيد هاشم حداد واستحسانه وإعجابه.

بقي هذا العالم الربّاني في منزل السيّدة نحو الساعة وجرى الحديث عن «كيفية اضمحلال السالك بعد فناء الاسم في فناء الذات»، وعن «أصل الوجود»، وأخيرًا عن «حقيقة نقطة الوحدة بين قوّتي الأحديّة والواحديّة»، ووحدة مقام الولاية الكلية للأئمة المعصومين (ع) مع الذات الإلهيّة القدسيّة، وبعد ذلك غادر السيّد هاشم حداد ورفاقه المكان.

كانت السيّدة قد تخطّت الخامسة والسبعين من عمرها، حين جاءت لمقابلتها السيّدة نور الحاجيّة[2]، إحدى شخصيّات قم القرآنيّة، كانت نور

---

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص72، نقلًا عن: محمد حسين الطهراني، الروح المجرد، ص279ـ281.

(2) السيدة «هاجر ساري أصلاتي» الملقّبة بـ«نور الحاجية» من السيدات أهل المعنوية والعبادة في قم. درست في صغرها لدى الحاج السيد مجتبى العراقي لمدة سنة ونصف النحو =

الحاجيّة ـ حين روت قصّة اللقاء ـ قد تجاوزت الثمانين من عمرها، وكلّ من كان يراها كان ينجذب إلى شخصيّتها النورانيّة وكلامها المعنوي الناجم عن التواضع، تقول عن لقائها بالسيّدة المجتهدة: «في ذلك اليوم كنت في الثامنة والأربعين من عمري، وقد أحسست في داخلي عشقًا وشوقًا كبيرين للقرآن والعلوم القرآنيّة. كنت قد سمعت أنّ في إصفهان سيّدة عظيمة القدر من أهل الفقه والحكمة والتفسير، تقوم بهداية الناس، وقررت أن أذهب إليها، لأستمدّ نورًا من أنفاسها القدسيّة، ذهبت في أحد الأيام، وكانت تعطي درسًا في التفسير. أُدخلت غرفة أنتظر قدومها، كانت امرأة نورانيّة متواضعة يبدو أنّها كانت تعرف أنّني أقيم جلسات في قم وأدرّس القرآن، قلت لها: أنا نور الحاجيّة، فهزّت رأسها، كأنّها تقول: أنا أعرف».

قلت: «أنا أقيم جلسات في قم أدرّس فيها القرآن، قدمت لأستفيد من توجيهاتك، أكون ممتنّة لك إن أنت قدّمت إلي النصائح والإرشادات».

قالت: «خانم! جيّد جدًّا، إنك تقيمين مثل هذه الجلسات في قم، وليس في إصفهان مثل هذا الأمر، فالنساء هنا محرومات من هذه النعمة، حسنًا تفعلين، تابعي مسيرتك، ففي المستقبل سيحصل تقدّم في قم، وأنا أتمنى لها التقدّم».

قلت: «نصيحة إن سمحت، أكون ممتنة لك».

قالت: «ابدئي الصرف والنحو الذي تدرّسينه بالأمثلة[1]، لتتمكّن

= والصرف، وبعد ذلك عكفت على دراسة الكتب الدينية. أمضت خمسين سنة من حياتها في قم، تقيم جلسات القرآن والتجويد، وكانت من الخطيبات المفوّهات، ودرّست في المدارس الإسلامية قبلُ الثورة وبعدها. ومعظم معلّمات القرآن في قم من تلميذاتها. وهي والدة حجة الإسلام والمسلمين محمدي العراقي مسؤول مؤسسة الدعوة الإسلامية. (زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص64).

(1) نلاحظ في جوابها هذا حسّها معلمة، ومدى فهمها لكيفية تدريس النحو والصرف من خلال =

المبتدئات من الاستفادة جيدًا، بعد الأمثلة ابدأي بشرح الدروس» (وهذه أفضل الطرق لتعليم هذه الدروس).

تقول الحاجيّة: «ولأنّ حالة السيّدة الصحيّة لم تكن على ما يرام، لم نمكث كثيرًا، قضيت في محضرها ساعة، وجّهت إليها أسئلة أجابتني عنها».

تتابع نور الحاجيّة: «أذكر أنني شعرت بالكثير من الندم لأنّني لم أتتلمذ على يدي السيّدة في مرحلة الشباب وقبل الزواج. لقد كانت حقًا سيّدة عظيمة، وأنا آسفة جدًّا لأنّني لا أذكر الآن [كانت في الثمانين حين قالت ذلك] تفاصيل ذلك اللقاء، أنا اليوم لا أتذكّر كلّ شيء ولا أستطيع أن أقول عنها أكثر مما قلت».

من لقاءات السيّدة المجتهدة المهمّة أيضًا لقاؤها بآية الله الحائري الشيرازي، وتطارحهما مباحث عرفانيّة عميقة، وقد تحدث آية الله الحائري الشيرازي مرّات عدّة عن هذا اللقاء. وقد تكلّم على تفاصيل هذا اللقاء في المؤتمر الذي انعقد حول شخصيّة بانو أمين في شيراز[1]. يقول: «تعود معرفتي باسم السيّدة أمين إلى الوقت الذي أهدى فيه أحد جيراننا، ويدعى «ذو الرياستين»، والدي كتاب السيّدة أمين: «الأخلاق وطريق السعادة».

هذا الكتاب الذي هو ترجمة لكتاب «طهارة الأعراق» لابن مسكويه، وقد أضافت عليه السيّدة حواشيَ جميلة، لفتت انتباهي، ومن خلال معرفتي بجارنا، وعلمي أنّه من دراويش فرقة «النعمت اللاهية»، قرّرت أن أتعرّف شخصيّة السيّدة أكثر، وعلى الرغم من قراءتي كتبها الأخرى، رأيت أنّ اللقاء

= الأمثلة، علمًا أننا بعدها بأكثر من قرن، لا نزال نلاحظ من يدرس النحو والصرف نظريًّا من دون أمثلة أو قبل الأمثلة.

(1) هذا المؤتمر انعقد في شيراز في العام 1992م، قبل عدة أشهر من انعقاد المؤتمر التكريمي للسيدة في إصفهان. (زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص66).

الشخصيّ بها أمر ضروريّ، فإما أن أزيل الشكّ في أنّ السيّدة صوفيّة، أو أن أتيقن من ذلك. كنت أريد أن أتعرّف العرفان الإسلامي من وجهة نظر عارفة مسلمة، لذلك تحضّرت للقائها، وقد ذهبت إلى ذلك اللقاء بصحبة الشيخ رسول بناهنده.

بعد ذلك اللقاء فهمت أنّها متمسكة بالحدود الشرعيّة الإلهيّة، ومعارضة لأيّ نوع من الاستنسابيّة والاستناد إلى اللاحجّة. وفي الوقت نفسه التي هي فيه عارفة تستند إلى الحجّة، ولا تتجاوز على الإطلاق حدود الشرع وكلام الشارع». ويتابع القول: «كنت قد رأيت الكثير من العرفاء، كانوا يستندون في كلامهم إلى اللاحجّة والأحلام والأوهام، كما إنّني شاهدت فقهاء كثيرين يتحدّثون فقط ضمن حدود الحجّة ولا يتخطّونها، وكنت أشعر أنّه قلما وُجد من يستطيع أن يجمع بينهما، لكن بانو كانت تجمع بينهما[1]، متمسّكة بالاستدلال العقليّ، وأيضًا كانت من أهل الإلهامات القلبيّة والاستشراف، أبعدتني عن اليأس والتشاؤم. في ذلك الحين كنت لا أزال شابًّا، والسيّدة كبيرة في السن، من هذا المنطلق قلت لها:

ـ خانم إن وجدت أنّ هذا العبد أمامك أهل للنصيحة، بماذا تنصحينه؟

قالت: يا بنيّ، اعمل بما تعرف.

هذا اللقاء المعنوي لقّنني درسًا لم يمحَ ولن يمحى من صفحة ذهني على الإطلاق».

يقول آية الله الحائري الشيرازي واصفًا السيّدة في هذا اللقاء: «حين دخلنا المنزل استضافتنا بمنتهى الصلابة والكِبر، وهي ترتدي عباءة (تشاورًا) أبيض منقطًا، ومقنعة بيضاء، كانت تصغي إلى كلامنا، وتجيب عن أسئلتنا».

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص67.

أما اللقاء الذي يحظى بأهميّة فائقة فهو لقاء بانو والعلّامة المفسّر الطباطبائي، صاحب تفسير «الميزان». وقد جرى هذا اللقاء في جوّ مفعم بالمعنوية والإخلاص[1].

ولقد جرت لقاءات عدّة بين السيّدة والعلّامة الطباطبائي، لكن كما ذكرنا من قبل، اللقاء الذي لم يسجّله صاحبه خطيًا أو يذكره الشاهد عليه، يموت بموت صاحبه، أما هذا اللقاء فقد روى تفاصيله الدكتور السيّد عبد الوهاب الطالقاني[2]، أحد الشغوفين بالعلوم القرآنيّة والتفسير، وهو نفسه كانت له لقاءات عدّة بالسيّدة.

يقول السيّد الطالقاني: «إنّ العلّامة المرحوم الطباطبائي جاء إلى إصفهان تصحبه زوجته، ونزل ضيفًا في منزل المرحوم الحاج آغا منصور

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه، الحاشية: الدكتور عبد الوهاب الطالقاني ابن السيد علي، وصهر المرحوم آية الله الحاج السيد مرتضى موحد الأبطحي. ولد في العام 1930 في إصفهان. تلقى دروسه الحوزوية في مدرسة الصدر في إصفهان، وفي المدرسة الحجتية في قم، وأنهى دراسة جميع المراحل الجامعية في كلية الإلهيات في جامعة طهران، ونال درجة الدكتوراه في فرع العلوم القرآنية بدرجة ممتاز، كما أجرى دورة في التربية والتعليم في بيروت في العام الدراسي 1957_1958.

في العام 1963م أسس في إصفهان مع مجموعة من الأساتذة الثانويين فريق الحكيم سنائي الثقافي بعد الثورة الإسلامية في إيران عُيّن بناء على اقتراح آية الله مطهري، أول محافظ في الجمهورية الإسلامية الإيرانية لمحافظة چهار محال وبختياري، بعد ذلك عين المستشار الأول لوزير التربية والتعليم الشهيد رجائي، وبذل جهودًا لتحقيق أهداف الثورة الإسلامية. وخلال السنوات 1984_1988 و1991_1995، كان المندوب الدائم لإيران في منظمة الحج والزيارة إلى السعودية. في السنوات الثلاث الفاصلة بين هذين التاريخين عيّن مسؤولًا عن «دار القرآن» في قم، عيّنه آية الله الكلبايكاني وهو الآن (2005) المدير التنفيذي لمؤسسة الإمام محمد الباقر الثقافية في إصفهان.

مؤلفاته: **الشهيد والشهادة، العلوم القرآنية وفهرس مصادرها، الأصول والفروع وطرق تدريسها، التعريف بقرارات السعودية، تاريخ التفسير** ومقالات متنوّعة في مجال ترجمات القرآن الكريم.

زاده، أحد الوعّاظ المشهورين، وأبدى رغبة وإرادة برؤية السيّدة نصرت أمين، وقد هيّأ ظروف اللقاء أحد أقارب السيّدة. وقد شهد هذا اللقاء فضلًا عن العلّامة وزوجته، الشيخ رضا ناطق، وأنا [الطالقاني]، استقبلتنا السيّدة بوقار مميز. مرّت الدقائق تلو الدقائق، والسيّدة والعلّامة ساكتان، فقال لي الشيخ ناطق: في مثل هذا المجلس الذي يحضره مفسّران للقرآن هما وفيلسوف وفيلسوفة، من المؤسف أن يضيع الوقت بالصمت. وجّه أنت سؤالًا لفتح باب الكلام، لنستفيد من محضر هذين الكبيرين.

سألت العلّامة عن «المخلصين»: من هم؟ ولماذا استثناهم القرآن الكريم من بين الآخرين؟

قال العلّامة: يكافأ العباد المخلصون بحسب أعمالهم، من هنا فإنّ حسابهم منفصل عن حساب الآخرين كليًّا، والشيطان أيضًا عاجز أمامهم.

سألت: كيف يمكن الوصول إلى درجة المخلصين؟

أجاب: يجب أن تذكروا الله دائمًا: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾، وللخلاص من أيّ وسوسة شيطانيّة وضلال، اذكروا الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[1].

قلت: أي الأذكار أفضل؟

تبادل العلّامة والسيّدة النظر، ثمّ أضاف: لا إله إلا الله.

سألت عن القلب السليم المشار إليه في سورة الشعراء ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2].

---

(1) سورة الأعراف: الآية 201.

(2) سورة الشعراء: الآية 89.

أجابت السيّدة: القلب السليم هو الـذي لا يكون فيه غير الله. والمخلصون هم أصحاب القلب السليم.

سألت: هل بإمكاني أن أقوم بفعل ما، وأنال الكشف والشهود؟ وإن كان ذلك ممكنًا، كيف؟

قالت السـيّدة: نعم، حتمًا يكـون: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[1].

استمرّت الجلسة من الساعة العاشرة حتى الثانية عشرة، وكانت مملوءة بالصفاء والمعنوية ومثمرة جدًّا، في نهاية اللقاء أهدت السيّدة كلّ واحد منا نسخة من كتابها النفيس «النفحات الرحمانيّة».

يتابع الدكتور الطالقاني كلامه قائلًا: «في ذلك اليوم، بعد انتهاء الجلسة، وإدراك مقامها الرفيع، أحسست أنّ من واجبي، طالما أنّني في إصفهان أن أستفيد أكثر من محضر السيّدة المعنوي، ومنذ ذلك التاريخ وما أتى بعده حظيت بلقاءات كثيرة بها. كان منزلها في شارع الشهيد مطهري الحالي، وباب البيت كان مفتوحًا دائمًا، والعلماء والناس يدخلون المنزل، بكلمة: «يا الله» فقط، ويلتقون السيّدة.

بعد عام من لقائي بها بصحبة العلّامة الطباطبائي، ذهبت لزيارتها، وحين دخلت المنزل، توجهت مباشرة إلى الغرفة المخصّصة للقاء. رأيتها نائمة على سريرها، جلست على الأرض وقلت: سيّدتي، ادعي لي الله أن يبعد عني الوساوس الشيطانيّة، وأن أخطو في مسار المعنويّة بإخلاص كامل. ادعي لي لأصل إلى مكان ما في هذا الطريق.

لم تجب السيّدة، وأنا أعدت قولي هذا، ولم أسمع جوابًا، أعدت

(1) سورة الأنعام: الآية 75.

الكلام للمرّة الثالثة، والسيّدة ساكتة، غصصت بريقي وقلت: سيدتي! هل رأيت مني شيئًا؟ فبقيت ساكتة.

أخيرًا قالت: من الآخر أيّها السيّد المحترم، الطريق أمامنا لم يتركه الأئمة الأطهار (ع) مخفيًّا، لقد عيّنوا لنا الطرق كلّها وشخّصوها. هل سرت أنت في هذه الطرق؟ وتريدني أن أدعو لك؟ في ليلة واحدة لا يمكن الوصول إلى أيّ مكان، وقطع طرق مئة عام. هذا الطريق هو طريق العمل، إن قمت بما أمر به المعصومون يقينًا ستصل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[1]، هل جاهدت وتريد الوصول إلى السبل غير المطروقة؟ يا سيّد كلّ شخص يُعطى الطريق التي تناسب قدراته».

بعد أن أنهى الدكتور الطالقاني عبارته الأخيرة هذه، شعر بالتأثّر لتذكّره هذا اللقاء، وقال بحالة من الوجد: «لقد أثّر هذا الكلام كثيرًا في مصيري وفي حياتي، وأبدًا لن أنسى ما حييت هذا اللقاء، وكلام السيّدة السماويّ».

وقال: «إنه دوّن ما جرى بينه وبين السيّدة في اللقاءات والحوارات المتعدّدة في دفتر صغير، كلّما أمعن النظر فيه، تجلّت أمام ناظريه معنويّة السيدة وعلمها ومعرفتها أكثر فأكثر»[2].

لقد بهرت السيّدة نصرت أمين بما أنجزته في مختلف العلوم، ولا سيّما الفقه والتفسير والحكمة، علماء كثر في النجف وقم، وأعطت إجازات لعلماء كثر أيضًا. عُرف منهم آية الله المرعشي النجفي، الذي منحته الإجازة في الرواية والاجتهاد العام 1358هـ/ 1940م. إنّ مجرّد طلبه الإجازة منها (وهي امرأة)، معناه اعتراف منه بفضلها ومقامها وقيمتها العلميّة، في ذلك

(1) سورة العنكبوت: الآية 69.

(2) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص68.

الحين، كانت السيّدة في الخامسة والأربعين من عمرها، وآية الله مرعشي في الثالثة والأربعين.

في هذه الإجازة دوّنت السيّدة أمين كلامًا جميلًا جدًّا، وبيّنت أوج ما وصلت إليه مريدة لأهل البيت (ع) وموالية.

عرف كذلك من بين الذين أعطتهم الإجازات حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ زهير الحسون، وهو من أهل الدراسة والعلم والتحقيق[1].

منحت السيّدة كذلك إجازة الرواية للسيّدة علويّة هُمايوني، وكان عمرها حينئذ 81 عامًا وهمايوني على أعتاب الستين. وفي هذا العام أي 1976م، أنهت آخر مجلّد من تفسيرها القيّم «مخزن العرفان».

(1) المصدر نفسه، ص75، وقد ضاع نص هذه الإجازة، كما ذكر الشيخ الحسون في المؤتمر التكريمي للسيدة الذي انعقد في إصفهان.

السيّدة نصرت أمين معلّمة

بدأت السيّدة نصرت أمين في الأربعين من عمرها التدريس: محاضرة أسبوعيّة في منزلها للنساء والشابات، وتدريس منتظم لتلميذتين: تدرّسهما المقدّمات، وتستفيدان فضلًا عن ذلك من أنفاسها القدسيّة (كما تقول مريدتها علويّة همايوني) في تزكية روحيهما.

إنّ تعرّف نساء ذلك العصر السيّدة نصرت أمين، أشعرهنّ بأنهنّ وجدن ضالتهنّ المفقودة، وتقدمن أكثر باتجاه زيادة التحصيل وزيادة الفهم. كان الكلام على حلمها وصبرها وأناتها وتقواها على كلّ لسان، وكانت هي تدأب على تذكير الناس، وتنبيههم على المبدإ والمعاد، وقيمة أعمالهم في هذه الدنيا، ويُروى أنّ امرأة إصفهانيّة جاءتها يومًا تطلب منها أن توقع اسمها على كفنها، وهي تعتقد أنّها بذلك تستفيد من شفاعة هذه السيّدة الشريفة في البرزخ ويوم المحشر (علمًا أنّ السيّدة كانت تحذّر النساء من الاعتقادات الخاطئة). ولعلّ سؤال هذه المرأة وأسئلة مثيلاتها ما دفع السيّدة إلى تحذير النساء في كتاب «طريق السعادة» من الخرافات والأوهام والاعتقادات الباطلة، فنظرت إليها السيّدة نظرة ذات معنى، وقالت لها:سيّدتي، هذا الكلام اكتبيه على صفحة قلبك لا على الكفن[1]!

(1) المصدر نفسه، ص71.

وجاءتها مرّة امرأة أميّة ترجوها أن تعلّمها، ولم يكن التعلّم في ذلك الحين أمرًا معتادًا عند الأميّين والأميّات، أو اللواتي يعرفن القراءة ولا يعرفن الكتابة، كانت تلك المرأة لا تعرف القراءة ولا الكتابة. حضّتها السيّدة على التعلّم، وعاهدتها إن هي تعلّمت القراءة والكتابة أن تجعلها في عداد تلميذاتها، وهذا ما حصل، فقد بذلت المرأة جهودًا مضنية في تعلّم القراءة والكتابة، ثمّ بدأت تحضر دروس السيّدة[1].

أولى تلميذاتها المنتظمات السيّدة علويّة همايوني[2]، التي كتبت سيرة السيّدة نصرت أمين، أستاذتها، ومثالها الأعلى، وصديقتها، وقد قالت إنّها كتبت سيرة السيّدة نصرت؛ لأنّها شخصيّة فريدة، ومثال أعلى للسيّدات في عصرها وفي كلّ العصور، ورأت أنّ من واجبها تجاهها أن تعرّف معالم شخصيّتها الحقيقيّة للناس، وأن تذكر بأعمالها ومكابداتها، التي لم تخالطها أيّ شائبة من الشوائب منذ أن أبصرت النور قبل مئة وعشرة أعوام (حين كتابة السيرة في العام 2005)، وقالت إنّ ما كتبته عنها إنّما هو حصيلة ما شاهدته وما سمعته منها وعنها، وما عاشته معها، طيلة رفقتها لها التي استمرت خمسين عامًا.

تقول السيّدة همايوني إنّها في العام 1934 أو 1935م، وكانت في نحو السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرها (أي كانت السيّدة نصرت في الأربعين، وعلى وشك إنهاء كتاب «الأربعون الهاشميّة»)، بدأت تدرس على يد السيّدة المجتهدة، وتقول همايوني إنّها من الجلسة الأولى

---

(1) المصدر نفسه، ص72.

(2) زينت السادات المشهورة بـ«علوية همايوني»، هي التي اعتُمد على ما قالته في تدوين سيرة السيدة في كتاب: **زندگانی بانو ایرانی** (حياة السيدة الإيرانية) واختصرناه في الحواشي بـ«**سيرة السيدة**». وقد كتبت السيدة همايوني سيرتها الخاصة بعنوان: **سفر نامه علویه همایونی** (رحلة علوية همايوني منذ لحظة الولادة) منشورات گلبهار، إصفهان، 1389هـ.ش/ 2010م.

أحسّت وهي في محضر هذه السيّدة العالمة بجاذبيّتها الروحيّة والإيمانيّة وبنورانيّتها.

وتقول إنّ تحوّلًا عجيبًا حدث في داخلها عند رؤيتها لها، وهذه الحادثة لا تزال عالقة في ذهنها على الرغم من مرور ستين عامًا عليها (حين كتبت السيّدة همايوني مذكّراتها الشخصيّة)، وتقول «إنّها أوّل طالبة يُتاح لها أن تتلمذ على يد السيّدة وتستفيد من فيوضات وجودها، وتقول عنها إنّها لم تكن من أهل التظاهر والتفاخر والمباهاة، وكان الناس يعرفونها بفضائلها الباطنيّة، وتقول إنّ توفيقها الرباني مصدره عدم شهرتها، فعشّاق الحقيقة (والسيّدة منهم)، بعد أن يجتازوا طريق التواضع وخمول الذكر، ينالون أعلى الدرجات، وكلما ارتفعت درجتهم العلمية وكمالاتهم، وارتفعت كذلك معرفتهم ومعنوياتهم، ازداد تواضعهم، حتى أنّهم يصلون إلى أن يتميّزوا من أهل الدنيا والناس الأرضيّين، إلى حدّ أنّ الآخرين لا يتمكّنون من معرفتهم على حقيقتهم، وهذا هو سرّ عداء الناس وإيذائهم لأولياء الله»[1]... وتتابع القول: «إنّ لا أحد في ذلك العصر والزمان كان يفكر أنّه من الممكن أن يوجد بين النساء مثل هذه الشخصيّة». وكان تتلمذُها على يديها توفيقًا إلهيًا، بواسطة أمّها التي كانت من مريدات السيّدة، والمعجبات بها، ودائمة الحضور في مجلسها، وكان من حظّ الابنة همايوني أن تصل إلى هذه السيّدة العالمة، وتشكر الله الذي أغدق عليها هذه النعمة وهذا التوفيق، ثمّ تقول إنّها لا تزال سائرة على نهجها، متابعة طريقها[2].

وتقول همايوني إنّ السيّدة في ذلك الحين كتبت «الأربعون الهاشميّة» بالعربيّة، وحظيت بالشهرة بين العلماء، ولا سيّما علماء النجف الأشرف وقم، كما إنّها نالت إجازات الاجتهاد من العلماء العظام، وكانت على

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، سفرنامه علويه همايوني، ص25ـ27.

(2) المصدر نفسه، ص29ـ30.

صلات بهم، ومن خلال هذه الصلات طلب إليها بعض العلماء الكبار إجازة الرواية وحصلوا عليها «لقد كانت السيّدة أمين حجّة على نساء عصرها، كما إنّها حجة على نساء إيران الإسلاميّة اليوم، إنّها غلّبت الأوامر والنواهي الإلهيّة والأحكام القرآنيّة على هوى النفس؛ كانت قد فهمت جيّدًا وشخّصت معنى التقوى وقيمة الإنسانيّة، وأنّ الإيمان بالمبدإ والمعاد هو ما يرشح عن العقل السليم والنظرة التوحيديّة لأيّ إنسان، وكانت أعمالها وأفعالها طيلة عمرها شاهدة على أنّها لم تتجاوز في أيّ لحظة من لحظات حياتها تعاليم النبيّ محمد (ص) وعترته الطاهرة. لقد كانت أخلاقها الاجتماعيّة، ومعاملتها المحارم وغير المحارم دليلًا على تقيّدها بتعاليم القرآن وصاحب القرآن، كما إنّ صبرها، وتحمّلها، وتسامحها، واهتمامها ببيتها وزوجها شواهد صادقة على تواضعها ومحبّتها لله (عزّ وجلّ)، وأيضًا الآثار والكتب التي خلفتها وراءها دليل على أنّها قضت عمرها الشريف في ترويج الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال المحاضرات والكتابات وتفسير القرآن، وتأسيس المدرسة الثانويّة للنساء والفتيات، ثمّ تأسيس الحوزة العلميّة (جامعة الزهراء في ما بعد)، وما تحمّلته في هذا السبيل[1].

وتقول السيّدة همايوني إنّ أستاذتها السيّدة أمين هي التي أصرّت عليها أن تدرّس هي أيضًا في منزلها السيّدات اللواتي كنّ يرغبن في دراسة اللغة العربيّة والعلوم الدينيّة، فحتى ذلك الحين، أي العام 1964م، لم تكن أيّ سيّدة إيرانيّة تدرّس العلوم الدينيّة واللغة العربيّة غير السيّدة نصرت أمين، لذلك أقدمت السيّدة همايوني، بتشجيع من أخيها، وبعد موافقة رئيس حوزة إصفهان آية الله خادمي، على المشاركة في امتحان القبول في فرع اللغة العربيّة والعلوم الدينيّة في الحوزة وفي الجامعة، وكانت السيّدة الوحيدة التي تدخل الجامعة لدراسة العلوم الدينيّة. بعد دخولها الجامعة

(1) المصدر نفسه، 29ـ30.

بعامين، جاءتها رسالة من إدارة الكليّة، فحواها: إنّنا لم نقبل مطلقًا أيّ سيّدة في الجامعة، ولمّا كنّا نعرفك (نعرف مؤهّلاتك) وافقنا على قبولك، لكنّ دخولك الجامعة أصبح ذريعة لدخول نساء أخريات، ونحن لا يمكننا قبولهنّ، وننصحك أن تعودي إلى إصفهان، وتدخلي كليّة الآداب. كان هذا الأمر دافعًا لأن تتشاور مع السيّدة نصرت لتأسيس كليّة دينيّة للبنات، وحيث إنّ الأستاذة لديها شهادة الاجتهاد يمكن الحصول على الرخصة باسمها، وهذا ما جرى، ولمّا علمت النساء والشابات اللواتي كنّ يحضرن كلّ يوم أربعاء درس التفسير في منزل السيّدة، طالبن بفتح مدرسة دينيّة ثانويّة، وأيضًا تمّ الحصول على الترخيص باسم السيّدة أمين، وتولّت إدارة الحوزة وإدارة الثانوية السيّدة علويّة همايوني[1]. الحوزة أو المدرسة الفاطميّة (مكتب فاطمة)، والمدرسة الثانويّة «مكتب أمين» شيّدتا على نفقة السيّدة نصرت أمين. وتقول السيّدة همايوني إنّ هذا الأمر الذي كان في حينه أمرًا مستغربًا، لا سابقة له، صار من بعد أمرًا عاديًّا، وشاع تأسيس مثل هذه المدارس والحوزات في مختلف أنحاء إيران وحتى خارج إيران[2].

في المدرسة الفاطميّة، أي كليّة البنات الدينيّة، درّس أساتذة عدّة، وكانت السيّدة نصرت تدرّس يومًا في الأسبوع تفسير القرآن. وكان مراجع قم يرسلون إلى السيّدة الطالبات اللواتي يدرسن في قم، لملاقاتها، وتوجيه الاستفسارات إليها، والاستفادة من محضرها[3].

ولا شكّ في أنها لقيت دورًا مهمًّا بوصفها معلّمة؛ بل إن دورها يفوق التصوّر، إن تذكّرنا أنّ اللواتي كنّ يحضرن مجلسها ومحاضراتها في منزلها، كنّ يحضرن مختارات، ما يعني أنّهن كنّ يتأثرن بكلّ كلمة تقولها، ويحاولن التقيّد بنصائحها، والسير على خطاها في أمور عدّة: الموقف السياسيّ-

(1) المصدر نفسه، ص72-74.

(2) المصدر نفسه، ص78.

(3) المصدر نفسه، ص79.

الدينيّ في قضيّة نزع الحجاب ومحاربة الدين، في تربية الأولاد تربية دينيّة، في مساعدة الفقراء، وغير ذلك، ولنا أن نتخيّل الأجيال التي تربّت في أحضان هؤلاء الأمّهات. إذًا نفهم دورها في التحضير للثورة الإسلاميّة إنّما بشكل غير مباشر، وأنا شخصيًّا شعرت بعبق أنفاسها، وأنا أقرأ كتاب «مولى الموالي» وكتاب «طريق السعادة»، في ما كنت قد قرأته من آراء منظّري الثورة الإسلاميّة المتعلّقة بالمرأة، قبل أن اطّلع على ما سبقتهم إليه.

يمكننا أن نطّلع على بعض نصائحها لتلميذاتها، مما ورد في كتاباتهنّ عنها، ولا سيّما السيّدة علويّة همايوني:

كقولها مثلًا للواتي يتسابقن إلى تعلّم اللغة العربيّة: «إنّ تعلّم اللغة بحدّ ذاته غير كاف (لأنّ تعلّم العربيّة هدفه دراسة القرآن والنصوص الدينيّة)، ودراسة العربيّة لا تتفق والجمود الفكريّ...، المهمّ أن تجتهدن لاكتساب الكمالات النفسانيّة والأخلاقيّة وفهم معنى العبوديّة لله[1].

وكانت تقول لهنّ: «الدراسة يجب أن تكون هادفة، والدارس يجب أن يكون عاشقًا لهدفه، ما لم يكن الهدف معرفة الله، والحصول على الفضائل ومكارم الأخلاق، فلن تكون النتيجة سوى التعب والنصب وموت القلب: إنّ مكارم الأخلاق ليست بحاجة إلى الناس، وعدم الحاجة كاف. يجب البحث عن مكارم الأخلاق داخل الذات».

في كلّ الأحوال فقد جمعت خلاصة درسها، كما ذكرنا من قبل، في كتابها «طريق السعادة» الموجّه إلى السيّدات.

ذكرت السيّدة علويّة همايوني عن أستاذتها أنّها كانت تدرسهنّ أسرار

(1) المصدر نفسه، ص14.

الآيات (للمرحوم ملّا صدرا الشيرازي) بطريقة ممتعة، جعلت كلماته كلّها تحتلّ قلوبهنّ وتستوطنها، فيعشن من خلالها حالات خاصّة[1].

وهذه الحالات الخاصّة هي التي دفعت السيّدة همايوني من دون شكّ لأن تنقل كتاب أسرار الآيات إلى الفارسيّة، هذا الكتاب الذي وصفه مؤلّفه بأنّه مفتاح أبواب جنّة الرضوان، وبه تُكتشف خزائن الرحمن، وتُعرف جواهر عالم الملكوت[2].

كما ترجمت هذه التلميذة كتاب أستاذتها «الأربعون الهاشميّة» بالفارسية، وعنها كتبت الأستاذة بمناسبة ترجمة الكتاب[3]: «العالمة الجليلة، الفاضلة من السادات الحسينيّين، بانو زينت همايوني، في عنفوان الشباب، السنّ الذي يهتم فيه الشباب ولا سيّما الشابات بالزينة والمظهر الخارجيّ، وعلى الرغم من أنّ الزمن والظروف كانت تتيح لها ذلك، لو أرادت، ولم يكن يقف في طريقها هذا أيّ عائق، جعلتها أصالتها وسيادتها الفطريّة تختار طريق السعادة، ومنذ الوهلة الأولى التي التقيت بها، رأيت على صفحة وجهها آثار السعادة، والاستعداد للكمال، فاستحضرت قوله (عزّ وجلّ): ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾»[4].

أمّا التلميذة أو المريدة الثانية، فهي السيّدة عفت الزمان أمين التي ظلّت طيلة عمرها، أو منذ أن بدأت دراسة العلوم الدينيّة إلى حين وفاتها (لمدّة أربعين عامًا)، تفتخر أنّها تلميذة السيّدة المجتهدة نصرت أمين، وهي من مواليد العام 1913 (أصغر من أستاذتها بثمانية عشر عامًا)، وتوفيت سنة

(1) المصدر نفسه، ص72.

(2) المصدر نفسه، ص73، نقلًا عن الترجمة الفارسيّة.

(3) المصدر نفسه، ص73.

(4) سورة الأعراف: الآية 58.

1977م. درست العلوم الحوزويّة على علماء إصفهان، ونالت إجازة الرواية من آية الله العظمى الشاهرودي، وهي أيضًا صاحبة كتاب «جهل حديث أمين» (الأربعون حديثًا) بالفارسيّة، سيرًا على خطى أستاذتها[1].

حين تتحدّث تلميذاتها عن تواضعها، يذكرن قولها لشخص طلب إليها أن تعطيه نبذة عن حياتها، ليدوّنها في أحد كتبه، فأجابته أنّها لا تحبّ أن تكتب سيرتها في كتاب؛ لأنّ حياتها عادية، ومن يريد أن يذكرها فليعدّد كتبها[2].

ويذكرنَ قولها: «...حين يبلغ اليأس وفقدان الأمل والأحزان أعلى الدرجات، إمّا أن يتحوّل في لحظة واحدة إلى أمل وفرح عجيب، أو أن تلوح من خلال إعصار اليأس المهول بارقة محيرة من زاوية مبهمة في الروح، فتضيء وجودنا كلّه، وتهمس في أذن روحنا؛ في تلك اللحظات التي تتجاوز فيها أفراحنا وثقتنا بغير الله حدّها نجد أنفسنا بعد لحظة في غمار نوع من الحزن واليأس المبهم، الذي لا نعرف له سببًا. هل من أحد يعرف ما كانت عليه تلك اللحظة؟ إنّها اللحظة ذاتها التي لجأت فيها روحنا من دون أن نعي ذلك، إلى غير هذا العالم، وقالت مناجية: إلهي! هذا الإنسان الضعيف الذي فقد ذاته في أعاصير الأفراح والثقة بغيرك، وهو الآن حزين لفقدان ذاته، ارحمه وأعده إلى نفسه!»[3].

وتقول: «من المستحيل ألّا ينتاب الإنسان في حياته ـ ولو للحظات ـ في هذا العالم المضطرب شعور بالغربة، ففي عمرنا لحظات نشعر فيها أنّنا

---

(1) زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين**، ص73، نقلًا عن: محمد حسين رياحي، **مشاهير نساء إصفهان**، ص72.

(2) هُمايوني، المصدر نفسه، ص114.

(3) المصدر نفسه، ص116، نقلًا عن أوراق مخطوطة مودعة لدى السيدة هُمايوني. **زندگانى بانوامين**.

غرباء حتى عن أنفسنا، وما من شيء يمكن أن يبدل هذه الغربة الموحشة باليأس مثل الذكر»[1].

«في أثناء الذكر والدعاء، حين نشعر بحتميّة زوالنا وفنائنا، وندرك أنّ حياتنا محدودة ولا شيء يذكر مقارنة بعمر عالم الوجود، وأنّها تعادل ثانية مقارنة بمليارات القرون والعصور، حينئذ يداعب مشام أرواحنا نسيم من الأبديّة، يبيّن لنا أنّ عمر عالم الوجود كثانية مقارنة بالأبديّة»[2].

وحين بدأ العمل في الكليّة الفاطميّة (مكتب فاطمة) كانت السيّدة قد بلغت السبعين من العمر، ومنشغلة بكتابة تفسيرها «مخزن العرفان»، مع ذلك كانت تعطي دروسًا منتظمة يومي الاثنين والأربعاء؛ لأنّها كانت تدرك أنّ الكلمة المسموعة حين تكون ثمّة حالة تواصل بينها وبين تلميذاتها أفعل من الكلمة المكتوبة. وكانت مواد التدريس المقرّرة: الأدب العربيّ، والصرف والنحو والقرآن، واللغة العربيّة إملاء ونحوًا وبلاغة، واللغة الفارسيّة، واللغة الإنجليزيّة، والتفسير والأصول.

كان عدد الطالبات أوّل الأمر ستين طالبة، والمدرّسات هنّ تلميذات السيّدة نصرت: السيّدات علويّة همايوني، وقلمكاريان، وحكيميان، وكلستانيان، وسدهى.

انتصار الثورة الإسلاميّة في العام 1978م أتاح المجال أمام النساء الإيرانيّات لينلن حقوقهنّ ويعملن في جميع المجالات من دون استثناء، ويتلقين التعليم في الفروع المختلفة، وتقول إحدى تلميذاتها (السيّدة غازي) إنّ السيّدة نصرت أمين كانت تحترم الإمام الخمينيّ الذي يعدّ محيي شخصيّة المرأة، وأنّها بعد أن قرأت كتابيه «سر الصلاة» و«رسالة لقاء

(1) المصدر نفسه، ص134.

(2) المصدر نفسه.

الله»: قالت لها (للسيّدة غازي) «أنا حين قرأت هذين الكتابين، وجدت أن مستوى السيّد المعرفيّ رفيع جدًّا، قولي للناس عن لساني، إن أنتم لم تنصروا الثورة لا سمح الله، فإنّكم تكونون ظالمين لأنفسكم».

تروي السيّدة صدّيقة حكيميان، إحدى المدرّسات الثلاث الأوائل اللواتي درّسن في مكتب فاطمة، أنّها كانت في قرابة السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرها، حين قرأت للمرّة الأولى كتاب «السير والسلوك» للسيّدة نصرت أمين، فعرفتها غيابيًّا، وذهبت إليها طالبة منها أن ترشدها إلى الطريق الصحيح لدراسة العلوم الدينيّة والقرآنيّة، فقالت لها: «يجب أن تدرسي اللغة العربيّة»، فبدأت السيّدة صدّيقة دراسة اللغة العربيّة، وفي الوقت نفسه بدأت تحضر دروس السيّدة الأسبوعية في التفسير والأخلاق، ودروس تلميذتها السيّدة هُمايوني.

وتذكر أنّه لم يكن يوجد في ذلك الحين أيّ مركز لتدريس العلوم الدينيّة للنساء، اللواتي كنّ إما غارقات في ظلمات الجهل، أو غارقات في تفاصيل الحياة اليوميّة، أو ثقافتهنّ غربيّة؛ لذا كانت السيّدة نصرت بالنسبة إلى النساء ساحل نجاة الطاهرة قلوبهنّ. وبعد تأسيس «مكتب فاطمة» بناء على اقتراح السيّدة همايوني وموافقة الأستاذة، والجهود التي بذلتها زوجة ابنها السيّدة فروغ: تلميذتها وابنة أخيها، وكذلك جهود وكيلها ومحاميها، تأسّس المكتب أو (الكلية) العام 1965م، واللواتي تقدّمن للتدريس في هذه الكليّة، أجري لهم امتحان في منزل السيّدة نصرت أمين، والممتحنون كانوا من العلماء الأفاضل، وتقول السيّدة صدّيقة إنّها تولت تدريس الأدبين العربيّ والفارسيّ والفقه، بعد اجتيازها امتحان الدخول في هذه المواد.

وتقول السيّدة بتول غازي[1]، وهي من أوائل الطالبات اللواتي درسن في «مكتب فاطمة» بعد أن تروي سيرة حياة السيّدة، إنّها لمدّة ثمانية عشر

(1) المصدر نفسه، ص165ـ169.

عامًا كانت قريبة من السيّدة نصرت أمين شاهدة على الدرجات الرفيعة والسامية التي بلغتها هذه السيدة العالمة التي كانت تدرّس في «مكتب فاطمة» التفسير وغير ذلك من المباحث العلميّة، وتشرف في منزلها على قلّة من الطالبات المتميزات، وناظرة إليها، وتقول السيّدة بتول غازي إنّها تشرّفت بأن تكون إحدى تلميذاتها الخصوصيّات، وساعدتها في تدوين الأجزاء الخمسة الأخيرة ـ من العاشر حتى الخامس عشر ـ من تفسير «مخزن العرفان».

تتحدّث كذلك السيّدة غازي عن شدّة إعجابها بالسيّدة التي كانت، فضلًا عن مقامها العلميّ الرفيع وفضيلتها، تتمتّع بحسن الأخلاق والسير والسلوك، وتمرّ بحالات عرفانيّة، يدركها المقرّبون منها، كانت تحدّث هؤلاء المقرّبات عن الحالات العرفانيّة والإشراق والاطّلاع على بعض المسائل الغيبيّة، وتقول عنها: إنّها كانت كلما ارتفع مقامها العلمي زادت تواضعًا، وحسن خلق.

وتقول عنها السيّدة فخر السادات قلمكاريان[1]، وهي إحدى المعلّمات الأُول، اللواتي درّسن في «مكتب فاطمة»: «إنّ النساء طيلة التاريخ كنّ يعشن إمّا في التخلّف والتحجّر والعزلة والجهل، أسيرات للخرافات، وإن هنّ دخلن الميدان وحطّمن القيود، يصل بهنّ الأمر إلى التفلّت واللاتقوى. لكن أيضًا في كلّ الأزمنة وُجدت نماذج من النساء جوهر وجودهنّ كامل للعيان، وهنّ الدليل على أنّ المرأة يمكنها أيضًا أن تصل إلى الكمال الإنسانيّ، وتجمع الأضداد في شخصيّتها»، وبعد أن تتحدّث عن الحالة الاجتماعيّة في أثناء حكم الشاهَين تقول: «فجأة أضاء كوكب (السيدة نصرت) بين نساء إيران، صارت قمر المجالس». وتقول عنها: إنّها على الرغم من أنّها تنتمي إلى عائلة معروفة وثريّة، وكلّ وسائل

(1) المصدر نفسه، ص171ـ177.

الراحة والرفاه ميسّرة لها، عصمتها تربية أبويها الصحيحة، المبنيّة على العفاف والمعنويّة، (من العيش كبنات العائلات المرفّهة)، وكانت في الوقت نفسه مجتهدة وعارفة وزاهدة وفيلسوفة ومحدثة وأديبة».

وتنقل السيّدة قلمكاريان قول الأستاذة (بالعربيّة): «اعلم أنّي في زمان الصباوة وأوائل البلوغ كنت حريصًا (حريصة) على مطالعة الكتب العلميّة والاستماع إلى المواعظ السنيّة، وكنت أجد نفسي كأنّها أعرضت عن اللهويّات ومزخرفات الدنيا، ولا تستأنس بها؛ بل تعلّق قلبي بشيء آخر مع عدم تشخيصه وعدم تمييز مطلوبي ومحجوبي من غيره».

«وبعبارة أخرى: وجدت قلبي تعلّق بشيء مجهول، لكن كنت مهما (كلما) سمعت من عالم أو واعظ شيئًا من أوصاف الله تعالى، مال قلبي إليه ميلًا مفرطًا، وكأنّي صرت سمعًا من القرن إلى القدم لاستماعه، وكنت حريصًا (حريصة) على استماع صفات الله تعالى، ولم أزل كذلك حتى رغبت في تحصيل العلوم العربيّة، فاشتغلت بتحصيل المقدّمات من الصرف والنحو وغيرهما من مقدّمات الفقه وشيء من المنطق والحكمة».

وتقول تلميذتها عنها إنّها كانت في أثناء دراستها تقوم بأداء وظيفتها زوجة وربّة منزل كأيّ امرأة عاديّة، حتى بعد أن وصلت إلى درجة الاجتهاد، وكانت مفسّرة ومحدّثة وعارفة، وهذا هو الكمال الإنسانيّ، ألّا يتخلّى الإنسان عن وظيفته الطبيعيّة، في أثناء صعوده ووصوله إلى درجة القرب الإلهيّ، وتنقل عنها قولها (بالعربيّة): «إنّي اشتغلت بالتحصيل مدّة مديدة، وظننت أنّه يوصلني إلى المقصود، وما كان الاشتغال التام بالتحصيل ميسورًا لي حينئذ مع اطمئنان القلب، وعدم تشوش البال؛ لأنّي في أغلب الأوقات كنت مبتلى (مبتلية) بالإياب والذهاب، أو بتدبير المنزل، أو بغير ذلك حتى حصلت لي علوم قليلة».

تتحدّث السيّدة قلمكاريان عن المرحلة التي تتلمذت فيها على يد

السيّدة، التي كانت في ذلك الحين، كبيرة في السنّ، وتعمل على تدوين تفسيرها «مخزن العرفان»، وتتحدّث عن بساطة الغرفة التي تعمل فيها، وتستقبل فيها العلماء والطلبة الذين يأتون لزيارتها ومحاورتها.

وتقول إنّها كانت تسألها دائمًا: «ماذا تقرأين الآن؟ كيف تجدين الله حاليًا؟ كيف تنظرين إلى العالم؟» ثمّ تضيف بعد ذلك: «العالم كلّه واحد، كسلسلة مترابطة، وقد نشر نور وجود الحقّ أشعّته عليه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]».

وكانت تطرح عليها موضوع الوحدة في الكثرة، وتوصيها بالدراسة المستمرّة والتدبّر في آيات الآفاق والأنفس.

وتقول السيّدة محبوبة كلستانيان[2] إحدى مريداتها، وإحدى المعلّمات الأول اللواتي درسن في «مكتب فاطمة» إنّها لم توفّق في المرحلة الثانويّة لحضور المحاضرات التي كانت تقيمها السيّدة في منزلها حول تفسير القرآن، وأصول العقائد، والأخلاق والأحكام، لكن بعد أن أنهت المرحلة الثانويّة نصحتها أمها التي كانت من المواظبات على حضور دروس الأستاذة أن تشارك في تلك الجلسات. أوّل مرّة سمعتها وهي تفسّر القرآن، انجذبت إليها منذ اللحظات الأولى وقرّرت أن تشارك باستمرار في هذه الجلسات. وفي إحدى المرّات أعلن في بيت السيّدة أنّ ثمّة قرارًا بفتح معهد دينيّ «مكتب فاطمة»، ومدرسة ثانويّة، ومن يريد ولديه الكفاءة للتدريس والعمل في هاتين المؤسّستين يجب أن يشارك في الامتحان المقرّر بتاريخ كذا، (تتحدّث عن جلسة الامتحان، وتسمّي العلماء الذين امتحنوها).

---

(1) سورة النور: الآية 35.

(2) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص197ـ200.

تقول: إنّ السيّدة أمين كانت في هذه المرحلة تخصّص يومًا تأتي فيه إلى الثانويّة، وتعطي الدرس للتلميذات في صالة المدرسة. بعد ذلك تعمل معهنّ ساعتين أسبوعيًّا داخل الصف وتختار من بينهنّ واحدة أو أكثر، يعطين الدرس أمامها، وتضع لهنّ علامة.

تقول السيّدة كلستانيان إنّها تريد أن تسجل بعض مشاهداتها عن السيّدة في المرحلة التي أتيح لها أن تستمع إليها وتحادثها وتصحبها:

ـإنّ السيدة فيما يتعلّق بالعقائد تشدّد على الإلهيّات، والمبدإ، والمعاد، وتزكية النفس، والأخلاق.

ـكانت شديدة النفور من السفور، وسمعتها تقول: إنّ «تمزيق الحجاب، تمزيق لأوراق القرآن».

ـكانت شديدة التواضع في تعاملها مع الأساتذة والتلميذات والموظفات والعاملات، وكانت دائمًا تقول: «الكبر يؤدّي إلى هلاك الإنسان».

ـكانت شغوفة بالقراءة والمطالعة.

ـكانت تعامل الآخرين بمنتهى الرحمة والرأفة والحبّ، هادئة بعيدة من العصبيّة والغضاضة.

ـكانت صبورة جدًا، وشديدة التنظيم والدقة والعدالة في وضع العلامات للطالبات، وتقويم عملهنّ.

ـكانت رائدة لمن حولها في كلّ شيء، تزرع الأمل في نفوسهم.

ـتعطي دروسها بحبّ وشغف، لا دافع عندها ولا غاية إلّا رضى الله، وهداية عباده.

ـ كانت تحادث الناس بحسب مستواهم الثقافيّ، وبحسب أعمارهم وتطلب إلى المعلمات طرح المواضيع والأحكام المناسبة للشباب.

ـ كلامها سهل ممتنع، مفهوم من الجميع.

ـ تردّد في حديثها عبارات من مثل: «لا مؤثّر في الوجود إلّا الله»، «التزكية أهمّ من التعليم»، «يجب أن تكون النيّة خالصة لله تعالى»، «العلم من دون تهذيب النفس حجاب»، «يجب أن تكون العبادة بعيدة من الرياء»، «انتهاز فرصة الشباب للعبادة»، «يجب ألّا ننخدع بالمظاهر الدنيويّة الزائلة»، «لا يجب أن تكون الدنيا هدفًا؛ بل مقدّمة للآخرة»، «وجوب السعي لنيل رضى الله ومحبّته»، «لا يجب أن يتغلّب هوى النفس على العقل»[1].

إحدى مريداتها السيّدة فردوس مثقالي تروي أنّها كانت يومًا في زيارة الإمام الرضا (ع) في مشهد، حيث التقت بسيّدتين هنديّتين، وقرأن معًا الدعاء والزيارة، سألتاها من أيّ مدينة هي، ولما عرفتا أنّها من إصفهان قالتا: مرحبًا، أنت من بلد السيّدة أمين (بانو ايرانى)، سألتهما: من أين تعرفانها؟ فقالتا، إنّنا نعرف الفارسيّة، وقد أهدتنا إحدى صديقاتنا الإيرانيّات كتب السيّدة، فقرأناها. وفي نهاية اللقاء قبّلتاها وقالتا لها: «هنيئًا لك، تعيشين حيث كانت تعيش السيّدة المجتهدة، وتتنشقين هواء ذلك الفضاء».

هذا الكلام دليل على أنّ عظمة الروح الإنسانيّة تُعرف من خلال آثار أصحابها وما تخطّه أقلامهم، والكتّاب الذين تبقى آثار علمهم وكتاباتهم أفضل شاهد صادق على عظمة أرواحهم وقدراتها، ولا سيّما أولئك الهادفة كتاباتهم إلى تحسين الأخلاق وإصلاح المجتمع[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص197.

(2) المصدر نفسه، ص210.

وتقول عن السيّدة أمين، إنّها تشبه السيّدة خديجة، بَذَلت فضلًا عن مالها وثروتها، وجودها كلّه في سبيل نشر الدعوة الإسلاميّة[1].

إحدى تلميذاتها السيّدة فردوس الهاشمي، التي أمضت في صحبتها ثمانية عشر عامًا، تحدّثت عن صبرها وحلمها، وقلبها السليم، وشبّهتها بإبراهيم (ع)، لشدّة المصائب التي تعرّضت لها، ولم تثنها عن متابعة دراستها ونشر علمها، وهل أصعب على الأم من فقد ولدها؟ فكيف إن كانوا ستة بالتدرّج فقدتهم تباعًا، بسبب الأوبئة التي أعقبت المجاعة في إيران، في أوائل القرن المنصرم، وتروي عنها قولها: إنّ المربية جاءتها في أحد الأيام مصطحبة طفلتها البالغة من العمر أربع سنوات، وطفلها الرضيع، وكيف أنّها أحست بقلبها يقفز من مكانه حين رأتهما لشدّة عاطفة الأمومة التي كانت تملأ كيانها، ولما بدأت بإرضاع الطفل شعرت بإحساس عجيب، وكأنّ قلبها انتزع من مكانه. بعد ساعة مرض الطفل، وبدأت حاله تسوء لحظة بلحظة، وفارق الحياة بعد أربع وعشرين ساعة. وبعد أسبوع من وفاة الرضيع لحقت أخته به، والحادثتان وقعتا والوالد مسافر.

وتنقل عنها قولها: كنت جالسة وحدي أبكي، فإذا بي أتذكّر جواب إبراهيم (ع): ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، عندها شعرت أنّني كإبراهيم عاشقة لله تعالى، وقلبي لا يجب أن يتسع لعزيز غير الله. فجفّ دمعي»[3].

ومرّة أخرى فقدت ابنة صغيرة (شابة)، وظلّت صامدة، حتى أنّ أستاذها السيّد علي نجف آبادي، الذي كان يدرّسها في منزلها تغيّب حين

---

(1) المصدر نفسه، ص210.

(2) سورة البقرة: الآية 131.

(3) زينت السادات علويّة هُمايوني، زندگانى بانو ايرانى: مجتهده نصرت السادات امين، ص210.

سمع بوفاة ابنتها، وإذا بالسيّدة ترسل إليه من يأتي به، ليعطيها الدرس، وكان تعلّقها بالدرس أمرًا مثيرًا للتعجب[1].

هو القلب السليم وراء ذلك، قلبها الذي جعلته حرمًا قدسيًا لله (عزّ وجلّ)، «أشدّ حبًا لله» وأيّ محبّة أخرى إنّما هي في ظلّ محبّة الحقّ تعالى.

ومن كان قلبه سليمًا، تتجلّى فيه معرفة الله ومحبّته، يبعد الله الأغيار منه، كي لا يتعلّق بغيره.

أمّا الصبر على البلاء، فقد أصبحت مضربًا للمثل في صبرها وتوكّلها، ففضلًا عن المصائب التي حلّت بها، وفقدانها أولادها، أصيبت بأمراض عدّة، وفي الاثنين وعشرين عامًا الأخيرة من حياتها، منعها الطبيب عن كثير من الأطعمة، فكان طعامها طيلة هذه المدّة قليلًا من مرق لحم الماعز وقبضة من الأرز، واللافت أنّها لم تشكُ من ذلك أبدًا[2].

في العام 1989م، أرسلت السيّدة علويّة همايوني إلى رئيس الجمهورية السيد علي الخامنئي، تقول فيها: «إنّ السيّدة المجتهدة أمين، نادرة العصر والزمان، والتي لا تخفى شخصيّتها العلميّة والعرفانيّة على أهل العلم والعرفان، وكتبها ومؤلّفاتها معروفة، ولا سيّما تفسير القرآن، وكذلك تأسيسها المدارس و«مكتب فاطمة»، وبالأخصّ أنّ الإمام الخميني (مدّ ظلّه) يعرف في مرآة وجوده وعرفانه أهل السلوك والعرفان الأصيل جيّدًا. من الضروري أن تكرّم لما قدّمته طيلة تسعين عامًا من خدمات جلّى لترويج الدين والمعرفة الدينيّة، وهي الفيلسوفة العالمة، والعاشقة الخالصة لله (عزّ وجلّ)، ومن العباد المخلصين لله (عزّ وجلّ)، علمًا أنّ المعظّم لها، لم تكن في حياتها تُعير أي اهتمام للتكريم والتعظيم.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه، ص211، نقلًا عن زوجة ابنها.

لكن نحن من واجبنا، من باب تعظيم شعائر الله أن نرجو رئيس دولتنا العادل المتديّن أن نقيم في الذكرى السادسة لوفاتها (مؤتمرًا) يليق بروحها الطاهرة تُفرح به قلوب الإيرانيّات المؤمنات، ويعرفن من خلاله على نحو أفضل ما هو موضوع فخر لهنّ»[1].

مع الاحترام: علويّة همايوني

14ـ1ـ1368ش/ 2ـ9ـ1989.

بعد أسبوع من تاريخه، وصل مرسوم من رئاسة الجمهوريّة إلى وزير الإرشاد والثقافة الدكتور السيّد محمد خاتمي، مرفقًا برسالة السيّدة علويّة همايوني، جاء فيه:

باسمه تعالى

(حضرة) حجّة الإسلام جناب الدكتور السيّد محمد خاتمي (دام عزّه) وزير الثقافة والإرشاد الإسلاميّين المحترم.

بعد السلام، نرسل إليكم ربطًا رسالة السيّدة علويّة همايوني، بخصوص تكريم السيّدة المجتهدة أمين، وضمنًا مشروع قرار رئيس الجمهوريّة الآتي نصّه:

جناب السيّد خاتمي الوزير المحترم:

إنّ تكريم السيّدة العالمة الكبيرة الإصفهانيّة، والتعريف بشخصيّة سيّدة عرفانيّة فقهية وفلسفية في بلدنا، عمل مفيد لجهة إحياء القيم الإسلاميّة لدى النساء. من المناسب القيام بالإجراءات المناسبة بهذا الخصوص.

---

(1) المصدر نفسه، 296ـ297.

نرجو إعلامنا بنتيجة ما ستختارونه.

22ـ1ـ1368ش/ 10ـ4ـ1989م.

السيّد مصطفى مير سليم

رئيس ديوان رئاسة الجمهوريّة

وقد عقد المؤتمر التكريميّ الأوّل للسيّدة نصرت أمين في أيّار من العام 1992م في إصفهان، وبعد أسبوع عقد المؤتمر الثاني في شيراز، وقد ألقى العلّامة آية الله الحائري الشيرازي في هذا المؤتمر كلمة قيّمة.

في العام 1993م، عُقد مؤتمر تكريمي ثالث للسيّدة في قم، بجهود الدكتور علي لاريجاني، شارك فيه عدد من علماء قم، من بينهم آية الله جوادي الآملي الذي تحدّث عن شخصيّة السيّدة[1].

(1) المصدر نفسه، ص145.

المصادر والمراجع

1 ـ باقر عاقلي، **روز شمار تاريخ ايران از مشروطة تا انقلاب اسلامى**، نامك، 1388هـ.ش.

2 ـ دلال عباس، **المرأة في الدستور الإيراني**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الفكر الإيراني المعاصرة، بيروت، **2009**.

3 ـ ـــــــــــ، **المرأة والأسرة في الدستور والقوانين الإيرانيّة**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الفكر الإيراني المعاصر، بيروت 2009.

4 ـ ـــــــــــ، **بهاء الدين العامليّ: أديبًا وفقيهًا وعالمًا**، دار الحوار، بيروت 1995، ودار المؤرّخ العربي، ط1، بيروت، 2010.

5 ـ زينت السادات علويّة هُمايوني، **زندگانى بانو إيرانى: مجتهده نصرت السادات أمين**، منشورات گلبهار إصفهان، ط3، 1386هـ.ش/ 2007.

6 ـ ـــــــــــ، **سفر نامه علويه همايوني** (رحلة علويّة همايوني منذ لحظة الولادة)، منشورات گلبهار، ط2، إصفهان، 1389هـ.ش/ 2010م.

7 ـ سيمين دانشور، **سون وشون**، منشورات خوازمي، ط15، 1380هـ.ش/ 2001م.

8 ـ علي أكبر دهخدا، **لغتنامه دهخدا**، منشورات جامعة طهران.

9 ـ مجلة: زن روز (المرأة المعاصرة)، العدد 926، طهران، 1362ش/1983م.

10 ـ مجلة: ندا، العدد 8، شتاء 1999.

11 ـ مجلة: ياد، السنة الرابعة، العدد 14، ربيع العام 1994.

12 ـ محمد تقي بهار (ملك الشعراء)، **تاريخ مختصر احزاب سياسى ايران**، مطبعة سبهر، طهران 1363ش/ 1984م.

13 ـ مصطفى مير سليم وغلام علي حداد عادل (إشراف)، **دائرة معارف العالم الإسلامي**، م1 و6، بيروت، 2009.

14 ـ مهدي قلي هدايت، **خاطرات وخطرات**، طهران 1363ش/ 1984م.

15 ـ نصرت أمين، **النفحات الرحمانية في الواردات القلبية** (بالعربية)، لا تا.

16 ـ ــــــــــ، **جامع الشتات** (بالعربية)، جمعه ورتّبه وصححه: مرتضى المظاهري النجفي، منشورات مؤسسة العائلات الفاقدة المعيل، إصفهان، 1422هـ/ 1992م.

17 ـ ــــــــــ، **روش خوشبختى**، منشورات گلبهار، ط12، إصفهان، 1392هـ.ش/ 2013م.

18 ـ ــــــــــ، **سير وسلوك در روش أولياء وطريق سير سعداء**، 1946م.

19 ـ ــــــــــ، **مخزن الأسرار** (بالفارسية)، وهو تفسير للقرآن الكريم في خمسة عشر مجلدًا.

20 ـ ــــــــــ، **مخزن اللآلي في فضيلة مولى الموالي علي بن أبي طالب** (بالفارسية)، منشورات مؤسسة العائلات الفاقدة المعيل، ط3، إصفهان، 1389هـ/ 1970م.

21 ـ ــــــــــ، **معاد يا آخرين سير بشر**، منشورات گلبهار إصفهان، ط11، 1385هـ.ش/ 2006م.

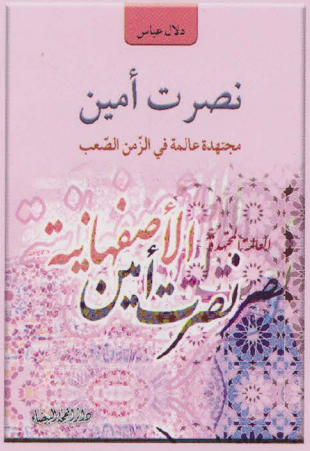

ISBN 978-614-426-894-0

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com